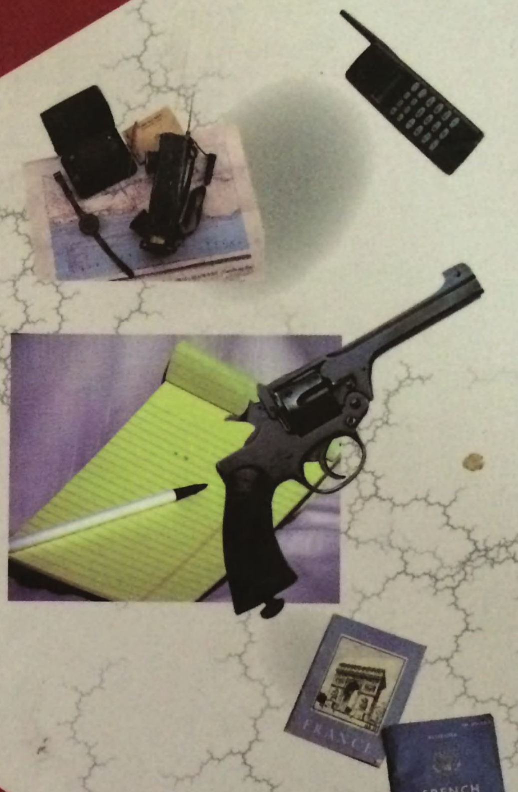
موسوعة

أشهر جواسيس العالم



إعداد
عدنان الخالدي

دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن - عمان

مــوسوعــة

أشهــر جواسيس العالم

إعــداد

عــدنان الخالدي

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن - عمّــان

الناشر

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن – عمّان

تلفاكس : ٤٦٤٧٤٤٧ – فاكس: ٥٨٦٢٦٢٣

ص. ب : ١٤١٧٨١

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٠م

مُقَدِّمَة

كلمة جاسوسية تنفر النفس وتبعث القلق لدى كل من يسمع هذه الكلمة ولكن هذا العمل بالرغم من خطورة اللجوء إليه إلا أنه معمول به لدى جميع دول العالم دون استثناء، وهو لون من ألوان الأعمال السياسية التي تعتمد عليها الدول والمنظمات العالمية اعتماداً أساسياً في حياتها الأمنية والعسكرية.

لا شك أن الجاسوسية قد عرفها الإنسان منذ أن عرف الخصومة والعداء وظل يستخدم هذا الجانب لدرء المخاطر وتجنب مشاكل العدو والحفاظ على سلامة الوطن الذي ينتمي إليه، ولهذا وجدنا أن الجاسوسية بمعناها الاصطلاحي قد حظيت بمكانة هامة لدى كل جيوش العالم.

ففي أثناء المعارك كان قادة الجيش وما يزالون يبعثون بالأعين والجواسيس لاستكشاف المناطق والطرقات التي سوف يعبرها الجيش أو يسير فيها. ومن هنا كانت التقارير التي يأتي بها هؤلاء الجواسيس تشكل عنصراً هاماً في نجاح الجيش في معركته القادمة.

وقد حرصت دول العالم أن تدرب عدداً كبيراً من أبنائها لتعلم هذا اللون من فنون العسكرية، حتى أننا نقرأ كثيراً بأن أغلب الدول المتقدمة لديها كليات متخصصة في هذا الجانب وتدرب العديد من الشباب الذين يرغبون في الالتحاق بهذا العمل العسكري.

ورغم المخاطر التي تنتظر أغلب من يمارس هذا العمل إلا أن كثيراً من الذين يعملون فيها يجدون لذة وإن كانت لا تظهر لغيرهم إلا أنهم يتمتعون كثيراً عندما يحصلون على معلومة عسكرية أو استخبارية أو تحقق دولتهم

نصراً أو تتجنب هزيمة فإنهم يكونون في قمة سعادتهم فلولاهم لما تحقق ذلك سواء في النصر أو الهزيمة.

نرى بعد كل ذلك أن هذه الموسوعة جمعت بين جوانبها مجموعة من قصص الجاسوسية على الصعيد العالمي، ومن خلالها تستطيع أيها القارئ أن تصل إلى حقيقة وهي أن الجاسوسية إما أن تكون عملاً بطولياً إذا كان في خدمة الوطن وإما عملاً مخزياً إذا كانت في خدمة عدو أبناء وطنك.

نسأل الله أن نكون وفقنا في توضيح هذه المسألة .. والله من وراء القصد ..

الناشر

ما الجاسوسية ؟

في المنجد هي مهنة الجاسوس : منظمة تؤلفها الدول في بلادها لتتجسس لها الأخبار وتستطلع الأسرار وتأتيها بها.

يقول السيد سعيد الجزائري في كتابه (الجاسوسية من ضروريات الحياة):

والجاسوسية كما تفسر اليوم في العرف الدولي .. هي هذه المحاولات التي تقوم بها دولة من الدول للحصول على أسرار دولة أخرى سواء أكان هذا بالطرق السرية .. أم بالتضليل والخداع..

تاريخ الجاسوسية:

وهي إلى هذا ظاهرة قديمة درجت عليها الدول منذ آلاف الأعوام..

فقد كانت لدى المصريين منذ خمسة آلاف سنة نظام للجاسوسية بديع غريب. ومن أخبار هذا العهد العريق في القدم أن ضابطاً مصرياً يدعى الكابتن توت استطاع بواسطة عيونه وجواسيسه إدخال مائتي جندي مسلح إلى مرفأ يافا ضمن أكياس القمح والدقيق حتى إذا بلغوها وثبوا عليها واحتلوها.

وفي "الإلياذة" نرى "هومر" الشاعر يتغنى قصة رائعة من قصص الجاسوسية حين نقل الطرواديون بعض جنودهم ضمن جواد كبير صنعوه من الخشب إلى قلب مدينة العدو..

أما في القرون الوسطى فقد تمكن الإنكليز من أسر "جان دارك"[(١)] بمساعدة جاسوسهم بيير كوشون .. الذي كان يعمل لحسابهم..

---

(١) جان دارك (١٤١٢- ١٤٣١) بطلة فرنسية قديسة . ساعدت الملك شارل السابع وردت الإنجليز عن حصار أورليان ١٤٢٩. قبض عليها وأحرقت في روان.

وأما في الحرب العالمية الأولى والثانية فإن قصص الجواسيس كانت تملأ صفحات هذه الحرب ، وقد برزت في هذه الصفحات أسماء نساء شاركن في الجاسوسية وقدمن إلى بلادهن أجل الخدمات مثل " مارتاكنوكارت" البلجيكية .. و"ماري والتر" الفرنسية .

أشكال الجاسوسية:

لقد تعددت اشكال الجاسوسية فهناك جواسيس الأمن[1] الداخلي لمراقبة الأحزاب، والمتطرفين وخصوم الحكم القائم، والمغامرين ومحترفي القلاقل والثورات.

وهناك الجواسيس الذين يعملون في الخارج لمراقبة سياسة الدول المختلفة، والتحقق من مدى تسلحها وقوة جيشها وخطط أركان حربها المختلفة، التي توضع سلفاً ودائماً وأبداً لمجابهة الحروب المفاجئة ، أو الأزمات الدولية التي تقع إذا ما اشتد التوتر وبدت نذر الحرب والخلاف العالمي.

وبعض هؤلاء العيون يعملون في كثير من الأحيان في القارات المختلفة كموظفين عاديين في نظر الناس حتى لا يفطن لخطرهم أحد، أو يحذر من التحدث إليهم إنسان من معارفهم، أو من الذين يتعرفون عليهم أثناء عملهم.

وفي أحيان كثيرة يعتمد هؤلاء الموظفون على أفراد من الوطنيين لمدهم بالمعلومات التي يحتاجونها مقابل مبالغ يدفعونها ثمن للخبر الذي يقدمونه ، ووفقاً لأهميته وخطره.

---

(١) يجب على من يكلفون بمثل هذه المهمات الخطيرة أن يتمتعوا بمزايا خاصة كالجرأة والصبر والذكاء والبراعة في الوصول إلى الأخبار من مصادرها الأساسية. إن أكثر من يسلك الجاسوسية إما أن يكونوا اخلاصاً لوطنهم أو كرهاً لمذهب أو اتجاه لا يتفق مع مصالح بلدهم او للحاجة إلى المال. إن الولوج في الجاسوسية ينبغي أن يتملك المرء فيها المؤهلات والتدريب والتعليم في العديد من الشؤون السياسية والجيش ونظم الدفاع.

الوصول إلى المعلومات:

وأما الوصول إلى المعلومات العسكرية فيبدو من المصادر التي لدينا، أن الوصول إليها كان يبدأ بواسطة جماعة يعملون في الجيش نفسه، أو لهم صلة بأشخاص يعملون في هذا الجيش كموظفين أو ضباط.

وقد اعتمد الألمان في العهد الهتلري[1] على الجاسوسية الداخلية لمراقبة أفراد الشعب ومدى تعاونهم مع النظام الجديد كما اعتمد الاتحاد السوفيتي على عيونه للغرض نفسه.

أهمية الجاسوس السياسي:

وتحدثنا دائرة المعارف البريطانية عن أهمية الجاسوس السياسي في عهود الانقلابات والفتن والثورات الداخلية فتقول :

لقد استخدمت هذا السلاح إنجلترا في عهد الملكة اليزابيث الأولى كما استخدمه الكردينال دي ريتشيلو في عهد لويس الثالث عشر.

وكان المشرف على بوليس الكاردينال السياسي الأب جوزف دي ترمبلاي المشهور في التاريخ باسم صاحب السيارة السوداء.

وفي عهد الملك لويس الخامس عشر نرى مدير البوليس السياسي في عهده رجلاً يدعى غبريال دي سارتين الذي أصبح وزيراً للحربية.

كما استعمل هذا السلاح في أميركا أثناء الحرب الأهلية ١٨٦١-١٨٦٥. ومن الطرفين المتخاصمين. ولعل "جوزيف خوسيه" لا يزال يعتبر

---

(١) أدولف هتلر (١٨٨٩- ١٩٤٥) مستبد ألماني ١٩٣٣ – ١٩٤٥ عمل للسيطرة السياسية على الأمم الأخرى ولما فشل قام بالاحتلال العسكري فحكم عام ١٩٤٢ كل أوربا وملايين الأميال المربعة من روسيا.

حتى اليوم أخطر مدير للبوليس السياسي في عهد نابليون[1] فهو الذي قام على تنظيم إدارته وتوسيع صلاحياته لمجابهة المؤامرات التي كانت كثيرة الشيوع في عهد القنصلية والإمبراطورية..

وأما في روسيا فقد توثقت أقدام البوليس السياسي فيها مدى سنوات عديدة في العهد القيصري ، وبعده في عهد الثورة الشيوعية، ثم في عهد ستالين[2] .

وليس هناك شك اليوم في أن البوليس السياسي السوفيتي أو عيونه على الأصح، تعم العالم كله، ولا تخلو بلد من بعض رجاله، حتى ليقال بأن بعض هؤلاء العيون هم الذين يمكنوا من الوصول إلى أسرار القنبلة الذرية في كندا على وجه الدقة.

ومما لا شك فيه أن كل حكم جديد تفرضه ثورة داخلية ، يرى من واجبه إرسال عيونه للتجسس على الزعماء الذين تمكنوا من مغادرة البلاد قبل وقوع الثورة أو في أثنائها أو بعدها ليتدارك خطرهم، ويعلم بما يبيتون ضده قبل وقوع هذه المحاولة.. والاستعداد لانقلاب جديد.

وفي كل سفارة من سفارات العالم اليوم يوجد ملحقون عسكريون وسياسيون واقتصاديون لجمع المعلومات المختلفة عن البلاد التي ينزلونها.

وفي بعض الحالات يفضح هؤلاء الموظفون نشاطهم مما تعرضهم للشك من قبل الدولة التي يعملون فيها كممثلين لبلادهم فتتهمهم بالتجسس وتأمرهم

---

(١) نابليون بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١) إمبراطور فرنسي وعبقري عسكري ١٨٠٤- ١٨١٥ هو أحد المع المحاربين في التاريخ الحديث وأعظم القادة على مر العصور. حكم أوروبا بأسرها تقريبا عندما كان في أوج مجده. وقد أفاد في أثناء حكمه من جواسيسه .

(٢) جوزيف ستالين (١٨٧٩ – ١٩٥٣) حاكم روسيا عام ١٩١٧ . حكم البلاد بقبضة من حديد من عام ١٩٢٩ وحتى موته عام ١٩٥٣.

بالعودة إلى بلادهم[1] .

قلنا أن الغاية من التجسس هي الحصول على أكبر قدر من المعلومات السرية عن الجيش وسلاحه ومعداته وتدريبه وضباطه واستعداده وخطط أركان حربه في حالة وقوع حرب أو الوشوك على اندلاعها.

أول تنظيم للجاسوسية العسكرية :

ويعتبر الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني العظيم[2] أول من نظم الجاسوسية العسكرية إذ قسم عيونه إلى ثلاث أقسام :

١. اختار جواسيس من الفلاحين والعمال لقاء تقاضيهم مبالغ زهيدة من المال.

٢. اختار جواسيس يلعبون دوراً مزدوجاً إذ يعطون للدولة الأخرى معلومات خاطئة (غير صحيحة) عن دولتهم وسلاحها واستعدادها.

٣. اختار جواسيس من الضباط والسفراء والنبلاء (والذين كانوا يستخدمون بعض النساء الجميلات ليتعرفن إلى ضباط الدولة التي يتجسسون عليها ويحصلن على المعلومات المثيرة أثناء غلبتهم الخمرة ودون أن يشعر المخمور بما دبر له.. أو عن قصد هذه أو تلك من النساء اللواتي يذهبن معهم إلى شققهم الخاصة أو يأتون هم إلى بيوتهن.

---

(١) كما حدث للكابتن فرانزفون بابن الملحق العسكري الألماني حينما كان في واشنطن مما اضطر حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لابعاده وطرده عن بلادها.

(٢) فريدريك (١٧١٢- ١٧٨٦) إمبراطور بروسيا ١٧٤٠- ١٧٨٦ عرف بإنجازاته العظيمة بدأ حرب الوراثة النمساوية وانتصر في معاركها وحصل على سيليزيا . عقد حلفاً مع إنكلترا عام ١٧٥٦ . ثم بدأ حرب السنوات السبع ضد النمسا وروسيا والسويد وساكسونيا.

وقد قال فريدريك مفاخراً بعملـــه :

- إن زميلي قائد جيش العدو يذهب إلى الحـــرب يتقدمـــه مائـــة مـــن الطباخين أمـــا أنا فيتقدمني مائة من الجواسيس .

وتذكر المصادر التاريخية أنه كان لألمانيا في فرنسا أكثر من ثلاثين ألف جاسوس قبل حرب السبعين (وهي الحرب الفرنسية الألمانيــة ١٨٧٠- ١٨٧١) اشتهرت باسم الحرب السبعين سعى إليها بسمارك ليحقق الوحدة الألمانية.

سببها المباشر كان مطالبة أسرة هوهنزولون بعرش اسبانيا ممــــا دفـــع فرنسا إلى إعلان الحرب على بروسيا (ألمانيا) ومجابهة الولايــــات الألمانيـــة المتحدة.

أدت هذه الحرب إلى هزائم فرنسية متتابعـــــة وســـقوط الإمبراطوريـــة واستسلام نابليـــون الثالث بعد معركة ســـــيدان ١٨٧٠ ، وخســـارة الألـــزاس واللورين وإنشـــاء الجمهورية الثالثة. وتكرس اعلان الإمبراطورية الألمانية في فرساي ١٨٧١.

وقد تمكن الجيش الألماني من تمزيق الجيش الفرنسي في هـــذه الحـــرب ووضعوا الحصار حول باريس وزرعوا جواسيسهم فـــي بـــاريس ليمدونـــهم بالمعلومات والأخبار عن تحركات خصومهم الفرنسيين . وقد اهتم الألمان قبـــل الحربين العالميتين بالجاسوسية[١] .

---

(١) تم إلقاء القبض على ماتاهاري التي كانت إحدى الجواسيس الألمان في فرنسا، وقد جرت محاكمتها . وكـــان قد وشى بها الجاسوس الألماني ولتر وبلهلم كاناريس الذي أصبح فيما بعد أميرالاً في الأسطول الألمـــاني ورئيســـاً لدائرة الاستخبارات في وزارة الخارجية الألمانية في عهد ريبنتروب ووزيرها أثناء الحكم الهتلري والمشهور بتوقيعـــه معاهدة عدم الاعتداء بين ألمانيا وروسيا التي شجعت ألمانيا على اقتحام بولونيا وإشعال فتيل الحرب العالمية الثانية.

ورغم قوة رئاسة الاستخبارات العسكرية الألمانية إلا أن هذا لـــم يمنـــع "بريا" رئيس الاستخبارات الروسية من الوصول إلى سر التعديلات التي ادخلت على الغواصات الألمانية أثناء الحرب بواسطة عيونه السريين.

وقد جرى إغراق الدراعة البريطانية "أرك روايان في مقرها البحري في "سكابافلو" رغم احاطتها بشبكة من الأسلاك الفولاذيـــة التـــي تمنـــع وصـــول الغواصات إليه.

وكـــان وجود هذه الدراعة في مكانها قد جرى على أثر معلومات تلقتـــها القيادة

الألمانية البحرية من أحد جواسيسها في اسكتلندا.

وقد جاء في المعلومات :

"إن الدراعة البريطانية "أرك روايان" موجودة في مقرها البحـــري فـــي سكابافلو وأن الحراسة عليها ليست شديدة وأن هناك منافذ تستطيع أي غواصـــة ألمانية الوصول منها إلى البوارج الراسية في داخلها.

وقد أرسلت هذه المعلومات بواسطة جهاز إرسال صغير في حوزة هـــذا الجاسوس.

أما الروس فكان لهم نشاط جاسوسي في اليابان يقوم به عميلهم "ريتشارد سورج"[١] مع عدد من معاونيه ورجاله.

وقد استطاع سورج أن يتابع التحركات العسكرية الألمانيـــة وهـــو فـــي طوكيو بواسطة أحد اليابانيين الذي كان يتقاضى مبالغ عن معلوماته.

(١) تم القبض عليه من قبل اليابانيين وأعدموه.

وإذا عدنا إلى ١٣٠٠ سنة فإن تاريخنا العربي يقول:

كان المهلب الذي حارب الخوارج يرسل عيونه لمعسكر الخوارج لينقلوا إليه أخبارهم وحركاتهم وعددهم وسلاحهم. حتى قضى عليهم.

وفعل كذلك معاوية بن ابي سفيان قبله في معركة (صفين) التي وقعت بينه وبين الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فقد كان له في جيش الإمام علي عيون تنقل إليه أخبار الجيش والانقسام مما ساعد معاوية إلى النفاذ إلى الخلافة من خلالها.

خطر الجواسيس:

قال أحد الكتاب الفرنسيين مصوراً خطر الجواسيس:

"إني لعدو لدود للجواسيس ، لأنهم أبداً أعداء بلادي وأعداء السلام فهم الذين يثيرون الاختلافات بين الدول، وهم الذين يحرضون الشعوب بعضها على بعض وهم الذين يقيمون الثورات، ويخلقون المشاكل ويفسدون في الأرض" ..

" انهم يتدخلون في كل خلاف ، ويفسدون بذهبهم الرنان الضمائر والقلوب يكرهون الحياة والحرية للشعوب والجماعات ، لا يتورعون عن ارتكاب الجرائم وأشنع المفاسد.. يمزقون كل من يقف في طريقهم ، لا يصدقون عهداً ولا يرعون وداً، ولا يحجمون عن شيء في سبيل أغراضهم" ..

" وأما أغراضهم فهي التفوق التجاري والسياسي والصناعي والمصرفي لمن يعملون له ويخدمونه".

" نعم لقد ساعدتنا دائرة الاستخبارات البريطانية في ريح الحرب ولكنها فعلت ذلك لمصلحتها ، ولولا هذه المصلحة لم تساعدنا.. ثم انها في الوقت نفسه عادت فاستغلت انتصارنا المشترك لمصلحتنا ايضا".

" ففي أثناء مؤتمر باريس الذي افتتح في جو من التفاؤل لعل عالما جديدا يشرق منه وينبثق عن مقرراته ، كم خابت آمال وتلاشت أحلام، وحل محل الأماني الحسان الفشل والخيبة ".

" مسكينة أنت أيتها الشعوب التي ظننت أن ساعة التحرير قد دنت، ويوم الخلاص قد أشرق، ولكن الواقع كما عرفتم بعد ذلك كان غير ذلك. لم تكن تلك الساعة ساعتكم وانها ساعة "الانتلجانس سرفيس ".

لقد أنشأت إنكلترا درعا من الجواسيس وأجرت له نهرا من الذهب ووراء هؤلاء الجواسيس والعيون تقف الانتلجانس سرفيس – دائرة الاستخبارات الإنجليزية الرهيبة– وهي حكومة تحكم في الخفاء.

ففي القرن السادس عشر استعدت إسبانيا لغزو إنكلترا ، فأفسدت " الانتلجانس سرفيس" حملة الأسطول الإسباني كما أفسدت بعد ذلك مساعي نابليون الأول لغزو الجزر الإنجليزية والسيطرة على أوروبا ، واخيرا دمرت غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، عندما صرح بأن مستقبل ألمانيا فوق البحار.

وعندما اتفقت ألمانيا مع النمسا والمجر وإيطاليا قبل الحرب العالمية الأولى انضمت إنكلترا إلى التحالف الفرنسي الروسي لحفظ التوازن . ولعبت بإيطاليا حتى أخرجتها من الحلف الذي يربطها بألمانيا ، فلما وقعت الحرب العالمية الأولى رفضت إيطاليا المشاركة فيها مع ألمانيا ثم انضمت أخيرا إلى خصومها ضدها.

إن الجواسيس من مختلف الجنسيات ومن مختلف طبقات المجتمع تـــرى بينهم السياسي والموظف والتاجر والمهندس والطبيب والعامل وماسح الأحذية، وعامل النظافة، والخادم في المقاهي والمطاعم والبارات.

قبل الحرب العالمية الثانية زار أمير هندي أوروبا ونزل في فندق فخـــم في إحدى عواصمها، وتعرف في هذه الأثناء على راقصة مشهورة قضى معـها ساعات من العبث واللهو، وقدم لها شيكاً بمائة ألف فرنك ، على سبيل الهديـة ، إلا انها ألقته في وجهه وهي تقول:

اختر .. إما مليون فرنك أو الفضيحة ..

وقد خشي الفضيحة ووقع لها شيكاً بمليون فرنك.

وبعد أيام عندما أراد الإبحار ليعود إلى بلاده – تقدم إليه شخص – يجهله وهو على ظهر الباخرة وسلمه مظروفاً مختوماً واختفى الشخص فلمـــا فـض الغلاف وجد فيه الشيك الذي كتبه بمليون فرنك للغانية ، لم تصرفه مصحوبـــاً ببطاقة من أحد أصدقائه الضباط ممن يعملون في الانتلجانس سرفيس. عليـــها الجملة الآتية :

"مع أخلص التهاني".

وفطن الأمير إلى رجال الانتلجانس سرفيس هم الذين تحركـــوا لخدمتـــه وإرجاع ماله إليه وانهم انما فعلوا هذا لتطويق عنقه بجميلــــهم حتـــى إذا مـــا احتاجوا إليه كان عند حسن ظنهم.

ومن غرائب رجال الانتلجانس سرفيس ما وقع في أثناء الحرب العالميـــة الأولى حيث كانت القوات التركية بمساعدة الألمان تحاول غزو مصر، فقد نزل إلى القاهرة في هذه الأثناء ضابط إنجليزي كان يقضي نـــهاره وليلـــه عابثـــاً

مخموراً. حتى ضاقت منه الأوساط المصرية والإنكليزية بعد أن وقع في مشكلة اعتبرت من الفضائح.

ورُفع الأمر إلى القيادة الإنكليزية فدعاه المسؤول إليه ليحقق معه ويبلغه قراراً أصدره بحبسه في القلعة.

وقد ظهر انه من رجال الانتلجانس سرفيس وقد جاء إلى مصر للتحقيق في قضية من قضايا الجاسوسية.

وهناك قصة النائب السابق في مجلس العموم البريطاني (تريبتش لنكولن) أو أبراهام شوارز، كما أراد أن يدعو نفسه ، فقد لبس هذا النائب ثوب راهب من التيبت وانتقل بعد سقوط غوبوز من المجر إلى إيطاليا ليراقب الحركة الفاشتية الناشئة .

وحدث بعد دخول (تريبتش لنكولن) إلى إيطاليا أن اغتيل النائب (متوتي) فقبض على رجل بتهمة تدبير المؤامرة ، وصرح هذا الرجل عند الاستجواب انه يدعى (اوتوشيرزل) وبعد أيام تمكن من الفرار من سجنه وظهر بعد هذا انه (ترايبتش لنكولن).

إن القوات الإيطالية التي كانت تحتل طرابلس الغرب لم تكن في يوم من الأيام خطراً على النفوذ البريطاني في مصر ولا على السويس ولا على القاعدتين العسكريتين في مالطة وجبل طارق. ولا تشكل خطراً على طريق الهند قبل استقلالها.

ومع هذا .. فقد ضبطت السفن الحربية الفرنسية كثيراً من البواخر المشبوهة التي كانت تنقل الأسلحة والذخائر الحربية إلى طرابلس الغرب .

ولما أرادت السفن الحربية الفرنسية مصادرة هذه المعدات الحربية أبـرق الأميرال البريطاني قائد قوقع مالطة يقول :

"هذه البواخر موجهة إلينا ، دعوها تتابع طريقها .. وستحرسها طـوادات إنكليزية".

لقد كانت هذه الأسلحة والتموين والاعتدة الحربية ، موجه إلـى الثـوار الأحرار العرب في طرابلس الغرب الذين اغتنموا فرصة انهماك إيطاليـا فـي الحرب العالمية الأولى ورفعوا علم الثورة لتحرير بلادهـم مـن الاسـتعمار والطغيان.

ولكن الإنكليز لم يكونوا بالتأكيد يريدون تأييد الثوار العرب، بقـدر مـا كانوا يريدون إخراج الإيطاليين من طرابلس الغرب لتكون لهم.

ووردت في الأخبار أن حاكم عدن الإنكليزي يهرّب السلاح إلـى البـدر وأعوانه ليثيرا الفتن في اليمن ويعيد تمزيق المملكة (التي كانت تسمى السـعيدة قبل العهد الإسلامي) والتي وصلت إلى عهد الأئمة وسياستهم إلى أحط دركـات العبودية والجهل والفقر والمرض، خوفاً مـن أن تتقـدم وتقـوى فـي عـهد جمهوريتها الجديدة فتصبح خطراً على مصالح بريطانيا في الجنوب العربي.

ان سياسة (الانتلجانس سرفيس) لا تتغير ولن تتبدل.. إنها عبارة عـن أضعاف كل أمة أو حكومة تسيطر بريطانيا بشرها على سياستها ومصالحها.

كذلك ان لدى المسؤولين الفرنسيين وفي أوراقهم السرية ملفاً يحتوي على تقارير مدهشة ، حررتها أقلام ضباط فرنسيين بعد ضبـط بواخـر الأسـلحة المذكورة وفيما كانت القوات الإيطالية تقاتل مع الحلفـاء _ فرنسـا وإنكلـترا وروسيـا _ ضد ألمانيا والنمسا ، كانت الجاسوسية الإنجليزية تمـد خصـوم إيطاليا بالأسلحة والعتاد. كما نصبت دوائر الاستخبارات الإنجليزيـة مكائدهـا

وشباكها في طرابلس الغرب أثناء الحرب الأولى ونصبتها فيما بعد في جبال سورية وعلى صخور الريف.

ولقد ظل تدخل الاستخبارات مجهولاً مكتوماً في ثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في الريف ضد فرنسا ، طلباً لاستقلال بلاده ، حتى أوقف الجاسوس الإنجليزي (ماك نمارا) بالقرب من (بيزرته) في ١٥/ كانون الثاني/ سنة ١٩٢٦ ، وتبين من التحقيق أن الاستخبارات الإنكليزية تساعد الأمير الريفي، وتمده بالسلاح والذخيرة ، وهذا ما كان ينقصه لأنه كان يملك الرجال ويملك الجرأة والأبطال.

وليس من شك في أن (ماك نمارا) هذا قد نثر الجنيهات الإنجليزية نثراً في جنوبي تونس ، ليحرض العشائر فيها على الثورة.

وكان غرضها إخراج الفرنسيين من شمالي أفريقيا ليحل الإنجليز محلهم. ويستدل من مخابرات (ماك نمارا) هذا الذي كان يعمل في الفرع الاستعماري للاستخبارات الإنجليزية أن سبعة وأربعين موظفاً من رجال الاستخبارات تطوعوا في قوات الأمير عبد الكريم للمشاركة في تحرير الريف واستقلالها.

وقد أفاد هذا البطل من كل هؤلاء المتطوعين ان كان عارفاً بأغراضهم ولكنه كما يبدو سلك سبيل (ونستون تشرشل) رئيس الوزراء الإنجليزي في أثناء الحرب العالمية الثانية، رداً على من انتقد تعاونه مع الشيوعيين في أثناء هذه الحرب بأنه على استعداد للتعاون مع الشيطان للتغلب على هتلر والنازية.

وفي لندن أثناء الحرب الريفية الفرنسية أنشئ مكتب للشؤون الريفية بشارع هلبورن..

وفي هذا المكتب كانت توضع الخطط وإليه تصل طلبات الذخائر والأغذية على اختلافها.

وكان لدى هذا المكتب عدة بواخر لتموين ثورة الريف تحمل عليها الأسلحة والحبوب وغيرها، ولم تكن السفن الفرنسية تتعرض لها لأنها كانت تحمل العلم الإنجليزي.

وكان بين الذين تطوعوا في الثورة الريفية من الإنجليز الكابتن غاردنر، والكابتن غوردون كاننع.

خافت فرنسا على كيانها المصيري في شمالي أفريقيا فاستنجدت بأسبانيا وأغرتها بمساعدتها.

ودخلت اسبانيا الحرب ..

ووقف الأمير عبد الكريم[1] يحارب دولتين كبيرتين .

وكانت النهاية ما يعرفها الجميع من استسلامه رحمة بأصحابه ورجاله من الموت .

---

1) عبد الكريم الخطابي ١٨٨٢- ١٩٦٣ مجاهد عربي . زعيم قبائل الريف بالمغرب . ثار على الأسبان وهزمهم قرب مليلة عام ١٩٢١ . استسلم للفرنسيين عام ١٩٢٦ . توفي في القاهرة.

نظـام الجهـازيـن:

إن أكثر الدول أقرت نظام الجهازين ..

فماذا يعني هذا النظام ؟

النظامان أحدهما في دوائر المخابرات عسكري تابع لأركان حرب الجيش له نظامه وأغراضه . والآخر الذي يعود بمسؤولياته للحكومة المتمثلة في الوزارة أو الحاكم الواحد (المنفرد بالسلطة) ، هذا الجهاز العسكري يدعى في الاتحاد السوفيتي (ج . ر. أو) أو دائرة المخابرات وموظفو هذا الجهاز من العسكريين[1] الروس الذين يشرفون وينظمون عملية التجسس.

أما الجهاز الآخر فقد بدأ كجهاز بوليسي للمحافظة على سلامة العرش الروسي ونظام الحكم ضد المخربين والثائرين في الداخل.. إلا انه وبمرور الوقت توسع وامتد عمله إلى كافة أنحاء العالم للتوصل إلى أسرار الدول الأخرى.

وفي ألمانيا النازية استطاع جهاز المخابرات تحت رئاسة هملر[2] عام ١٩٤٤ من السيطرة على الجهاز العسكري والإشراف على أجهزته ومخابراته.

أما في روسيا فيعمل الجهازان معا كجهاز واحد مع سيطرة الجهاز الحكومي على الجهاز العسكري كان ذلك في عام ١٩٤٧ وأن مسؤولياتها وأغراضهما لا حدود لها.

---

(١) هم الذين أشرفوا ونظموا عملية التجسس لمعرفة أسرار الأسلحة الذرية من السفارة السوفيتية في أوتاوا بكندا أثناء الحرب العالمية الثانية.

(٢) هاينرش هملر (١٩٠٠- ١٩٤٥) رئيس الغستابو ووزير الداخلية في العهد النازي في ألمانيا ، عمل على إبادة اليهود . انتحر.

وينبغي هنا أن ننوه أن هناك أجهزة بوليسية سريّة تعمل في الدولة غير هذين الجهازين إلا انها محدودة المسؤوليات والأغراض.

وفي عام ١٩٥٨ وضع خروتشوف[١] أخلص رجاله في رئاسة الجهاز العسكري وهو الجنرال (ايفان سيروف) ليكون عينه ورجله الخاص لمراقبة تحركات كبار ضباط الجيش في الداخل وعينه وأذنه في خارج روسيا ، وتنفيذ رغبات الحكومة السوفيتية مهما اختلفت وتعددت.

وان جهازه أداة للقمع والتدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة من دول العالم.

كتب السيد (ألن دالسن) رئيس المخابرات المركزية الأمريكية يقول :

"إذا ما أرسل السوفييت يوماً صاروخاً إلى القمر فإني أعتقد أن أحد رجال المخابرات السوفيتية سيكون بين الركاب".

قال ألن هذا الكلام عن المخابرات السوفيتية ولكن المخابرات المركزية الأمريكية لا تقل عن السوفيتية في التدخل والقمع والإرهاب والاغتيال وتدبير الانقلابات في كل بلاد العالم أيضاً.

وإذا عدنا إلى العهد القيصري فإننا نجد أن الغرض من إنشاء الجهاز المخابراتي كان لحماية العائلة المالكة ونظام الحكم.

وقد قام هذا الجهاز بمراقبة أفراد الشعب حتى انه قبل الثورة كان أحد رجال المخابرات يلاحق خطوات الكاتب والروائي الروسي الشهير

---

(١) نيكيتا خروتشوف (١٨٩٤- ١٩٧١) رجل دولة سوفيتي ، أمين عام الحزب الشيوعي ١٩٥٣. رئيس الوزارة ١٩٥٨- ١٩٦٤ . نهج مسلكاً معاكساً للنهج الستاليني وعمل على رفع مستوى المعيشة ، تبنى سياسة الانفتاح والتعايش مع الغرب.

(ليوتولستوي)[١] وكان يعتبر في هذا الوقت وقبل الحرب العالمية الأولى ضابطاً سابقاً في الجيش ورجلاً مشبوهاً.

وفي أواخر القرن التاسع عشر كثر عدد الخارجين والثائرين والمتآمرين على الحكم الروسي في خارج روسيا لذا أرسل جهاز المخابرات السوفيتي بعض رجاله للانضمام والعمل مع الخارجين والثائرين والمتآمرين على الحكم الروسي ومحاولة الحصول على أخبارهم وأسرارهم ، وعندما كان لينين[٢] في براغ عام ١٩١٢ كان يقيم معه جاسوس من الجهاز البوليسي الروسي دون أن يعلم.

وما كاد البولشفيك يظفرون بالسلطة الروسية حتى أنشأوا نظامهم الجاسوسي الخاص بهم.

وفي كانون الثاني من عام ١٩٧١ ظهر جهاز (الشيكا)[٣] برئاسة "فليكس زرزنيكهي" وكان الغرض من إنشائه مطاردة أعداء الثورة ومن يريد أو يحاول إفساد العمل الثوري أو معارضته.

وعندما فشل الثوار الروس البيض في معاركهم مع البولشفيك هربوا للخارج وأقاموا على الحدود المجاورة استعداداً لانتفاضة جديدة.

---

(١) ليوتولستوي (١٨٢٨ –١٩١٠) كاتب قصصي روسي. حاول إصلاح المجتمع عن طريق العدل والمحبة وعدم العنف. صور العادات الروسية وانتقد المساوئ . أشهر رواياته "الحرب والسلم" و"آنا كارينينا".

(٢) فلاديمير لينين (١٨٧٠– ١٩٢٤) زعيم الثورة الروسية ومؤسس الحزب الشيوعي في روسيا السوفيتية . أعاد تنظيم الحزب البلشفي بمساعدة ستالين ١٩١٧. وكان من كبار منظرّي الماركسية . من كتبه: "ما العمل؟" و"الاستعمار قمة مراحل الرأسمالية" و"الدولة والثورة".

(٣) الشيكا عبارة عن جهاز بوليسي دولي اعتمد على ما كان ينقله إليه مخبروه العديدون فقضى على جماعات كثيرة بحجة عدائهم للثورة ومعارضتهم للحكم القائم. وكانت الشيكا تتبع الجيش الأحمر أيضاً في حروبه مع الثوار الروس البيض للقضاء على كل عدو أو متآمر.

ولهذا انقلبت الشيكا إلى جهاز للجاسوسية السياسية الخارجية وإلى جهاز للدفاع والمقاومة.

وقد استعملت الشيكا وسائل قاسية وغير مشروعة كخطف الخصوم والاعتداء عليهم أو حجزهم أو اغتيالهم كما حصل لتروتسكي(١) .

وفي باريس وفي عام ١٩٢٦ تحديداً قام جهاز الجاسوسية الروسي باغتيال الجنرال (بتليورا)(٢) .

وفي عام ١٩٣٠ وفي باريس خطف الجواسيس السوفييت الجنرال (كوتبوف)(٣).

كم خطفوا الجنرال ميللر بعده لما تولى الزعامة بعده.

وفي عام ١٩٢٢ أصبحت الشيكا الدائرة السياسية الحكومية أو ما يطلق عليها (أ . ب . أو) ثم تطورت في عام ١٩٣٤ لتصبح كومسيارية الشعب للشؤون السياسية أو (م. ك. ف. د) وكانت محاولة لجمع كل الأجهزة البوليسية والجاسوسية في الدولة تحت وزارة واحدة.

وقد ازداد اهتمام السوفييت بالجاسوسية في الخارج والداخل حتى قيل انه في عهد (ستالين)(٤) كان بين كل خمسة أشخاص جاسوس واحد.

---

(١) ليو تروتسكي (١٨٧٩- ١٩٤٠) من مشاهير الثورة الروسية وزعمائها رفيق لينين. نفاه ستالين ١٩٢٩ . اغتيل في المكسيك في ٢١ آب سنة ١٩٤٠ وضربه أحد رجال المخابرات بالفأس فقتله.

(٢) هو قائد الوطنيين الأوكرانيين الذي لجأ إلى باريس بعد أن ظفر البلشفيك بالحكم في روسيا .

(٣) زعيم الروس البيض في معارك عام ١٩١٧.

(٤) جوزيف ستالين (١٨٧٩- ١٩٥٣) سياسي روسي من رجال الثورة. أمين عام الحزب الشيوعي ١٩٢٢. خلف لينين في زعامة الحزب والدولة السوفيتية ١٩٢٤ حتى وفاته. أبعد تروتسكي ١٩٢٧ وقضى على مناوئيه في محاكمات صورية واستبد بالسلطة . من أكبر قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. أطلق الحرب الباردة في مطلع الخمسينات ضد الدول الرأسمالية. هوجم تسلطه بعد موته ودانه مؤتمر الحزب ١٩٥٦ فشجب عبادة الشخصية وأعاد الاعتبار إلى بعض ضحاياه.

وكان صلاحية الكوميسيارية السيطرة على ميليشيا الحدود وميليشيا الجند الخاص والاشراف على السجون كما تراقب الحكومة والحزب الشيوعي كذلك.

وكان من قوة صلاحياتها أن تلقى القبض على من تشاء وتحكم وتنفيذ الحكم على كل من تتهمه أو تشتبه به ودون الرجوع للمحاكم..

يقول ألن دالس[1] :" إن السوفييت قد رفعوا فن الجاسوسية إلى غاياته وبرعوا فيه كل البراعة".

وفي أثناء الحرب تعرض الجهاز السري السوفييتي لبعض التعديل فقد قسم جهاز الـ (م. ج. ب) الى (ك. ج. ب) وكلف بالتجسس الخارجي والداخلي والشؤون البوليسية.

ولقد استفاد ستالين في الثلاثينيات من بوليسة السري (ج. ب. ف) للقضاء على حركة الفلاحين.

ثم استغل الجهاز السري الآخر (م. ك. ف) للقضاء على المعارضين.

وفي عام ١٩٣٧ قام هذا الجهاز بتصفية الدائرة البوليسية التي قامت بالتصفيات الماضية كون أن كبار هذه الدائرة ورئيسها يعرفون الكثير عنه وعن أعماله. وكان لا بد من القضاء عليهم إبقاء على حياته وحكمه .

ولما توفي ستالين كان الجهاز البوليسي في روسيا قويا مما اضطر خلفاء ستالين إلى القضاء على رؤسائه مثل لافرتي وبريا وغيرهم.

وفي عام ١٩٥٦ أبدل خرتشوف اسم وزارة الشؤون الداخلية إلى وزارة العدل والنظام . وقد صدر في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٢ نظام للمراقبة

(١) رئيس الاستخبارات الأمريكية السابق.

يجعل كل عامل في أي عمل من الأعمال رقيباً على تنفيذ أوامر الحزب والحكومة حتى لا تهدر أموال الشعب وتستغل مصالحه.

وقد عين الكسندر شيليبين لرئاسة الهيئة التي تشرف على تنفيذ هذا القانون وكان قبل ذلك رئيساً لدائرة (ك. ج. ف. ب) خلفاً للجنرال ايفان سيروف في عام ١٩٥٨.

يعتبر رجال الجاسوسية من الطراز الأول في عالم الجاسوسية لكون تدريبهم جرى ويجري على نظام دقيق وشديد لسنوات عديدة.

ومع هذا فإن هؤلاء الرجال يضحون بأنفسهم في سبيل عملهم وانهم بلا شك أصحاب مبدأ:

"الغاية تبرر الوسيلة ".

ورجل المخابرات السوفيتي قد يكون سائقاً في إحدى السفارات ولكنه قد يكون أعلى رتبة من السفير رتبة وأكثر منه شأناً ونفوذاً.

وبمناسبة الحديث عن تضحية رجال الجاسوسية السوفييت بارواحهم وبكل ما يملكون في سبيل عملهم نقول : هل تعلم أن الجنرال (ف. س. اباكوموف) في أثناء الحرب العالمية الثانية قد تم القاء القبض على شقيقته بتهمة الاتجار بالسوق السوداء وحار الموظفون ما يفعلونه وكتبوا له في ذلك ولشدة ما آثار عجبهم واستغرابهم عندما كتب هامشاً قال فيه :

" لماذا تسألوني ؟ ألا تعرفون واجبكم ؟ الاتجار في السوق السوداء أثناء الحرب خيانة أطلقوا النار عليه".

وتمّر الأيام لتكون نهاية الجنرال بعد وفاة ستالين كنهاية شقيقته.

يقول ألن دالين:

" جمع الأخبار يتم من طرق مختلفة وليس في هذا الأمر صعوبة ولا عناء وهذا يصدق طبعاً على الأخبار التي تؤخذ من الصحف ، الكتب ، المطبوعات العلمية، القرارات الرسمية، عن أعمال الحكومة والراديو والتلفزيون حتى الرواية يستطيع المرء أن يفيد من قراءتها ليعرف حياة الشعب الذي تصوره وكيف يحيا ويعيش.

وفي الاتحاد السوفييتي يوجد طريقان للحصول على الأخبار أولهما طريق الصحيفتين (أزفستيا)[١] و(برافدا)[٢] .

المهمة الجاسوسية :

إذن الجاسوسية تعني الوصول إلى غرض ما لشخص أو لسر من الأسرار أو لاختراع بحيث يستطيع الجاسوس سماع أو تصوير ما يراه أمامه دون أن يفطن له ويقدم تقريره لمن أرسله (لمرؤسيه) بعد جمعها واختيارها والتأكد من صحتها.

مداخلات مخابراتية :

يقول دالس في كتابه :

((في الوقت الذي أثارت فيه بريطانيا ضجة كبيرة في العالم بنشرها صورة القمر الذي تلقاها مرصد (جودريل بانك) بعد تحويل الإشارات اللاسلكية القادمة من لونا (٩) إلى صور.

---

(١) وهي لسان الحكومة وهي تعني (الأخبار).

(٢) وهي لسان الحزب وتعني (الحقيقة).

التزمت الولايات المتحدة الأمريكية السكون الغريب مع أن لها عشـــرات الأقمار الصناعية الخاصة بالتجسس على الفضاء من نوع "ســـاموس" ســابحة حتى الآن.. لتلتقط كل إشارة وكل صورة وترسلها إلى الأرض ولها مئات مــن محطات التتبع الأرضية لالتقاط كل إشارة من الفضاء وبعض هذه المحطات في عدد من الدول المحايدة وحتى في بعض الدول غير الموالية للغرب كما اعترف (ادوارد ويلش) السكرتير التنفيذي للمجلس القومي للفضاء والملاحة الجوية فــي الولايات المتحدة.

وقد أعلن أن مئات الاشارات والصور القادمة إلى الأرض من لونـــا (٩) تجري الآن دراستها بسرية وبسرعة.

وان الولايات المتحدة لا تستطيع أن تعلن[١] عن أسماء الدول التي توجــد فيها أطباق التتبع هذه لأنها تشبه الأطباق الضخمة التي تدور باستمرار وتلتقــط من الفضاء كل نشاط يمكن تحويله إلى صور مرئية)).

ويقول الجزائري:

في أحد أيام شهر مايس وفي باريس التقى جون بماكي ولم تقــل هيئـــة المخابرات المركزية كالعادة، كيف تمت المقابلة ولا كيف استنتج جون ان ماكي غير راضي عن حاله ولكن ما حدث هو ان ماكي كانت لدية معلومات يريد أن يجد شخصاً مهما يدلي بها له.

وفي أحد مقاهي سانت جيرمين جلس جون ومـــاكي يتبـــادلان الحديـــث العادي وفجأة قال ماكي:

انني ضابط في هيئة المخابرات السوفييتية عـــدت تـــواً مـــن الولايــــات المتحـــدة في طـــريقي للاتحاد السوفييت وزوجتي لا تزال في أميركا وأنا لا

(١) عدم الاعلان عن هذه الدول كما يقول ويلشر لأسباب دبلوماسية وسياسية قبل أن يكون لأسباب عسكرية.

أريد العودة إلى موسكو هل يمكنك أن ترسلني إلى أحد المسؤولين ذوي النفوذ؟

ولم يتردد جون فقد كان يعرف عميل هيئة المخابرات المركزية في السفارة الأمريكية في باريس فاتصل به تلفونياً ثم عاد ليصحب ماكي إليه.

وفي دار السفارة الأمريكية في باريس قص يوجين ماكي قصته..

كان اسمه الحقيقي رينوهابهانن ولم يكن فنلنديا بل سوفيتياً من مواليد قرية كاسكيساري قرب لينيغراد وكان يعمل بالجاسوسية لحساب الاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية لمدة أربع سنوات تحت ستار ميكانيكي في ورشة سيارات.

بعد يومين نقل هابنهانن إلى نيويورك حيث قابله ألن دالس مدير مكتب التحقيق الفيدرالي وكانت قصة هابنهانن دليلاً جديداً على الكفاءة العالية لنظام الجاسوسية السوفييتي في جمع المعلومات.

كان هابنهانن يجيد اللغة الفنلندية فعين مدرساً ثم جُند بالبوليس السياسي وتدرب في مدرسة الجاسوسية.

وعندما نشبت الحرب بين الاتحاد السوفييتي وفنلندا عام ١٩٣٩ أرسل إلى الجبهة ليتولى ترجمة الوثائق التي تقع تحت أيدي الجيش السوفييتي ويحقق مع الأسرى.

وفي نهاية تلك الحرب كان منوطاً به التحقق من ولاء العمال السوفييت في فنلندا بالإضافة إلى تجنيد العملاء ثم أصبح مسؤولاً عن الكشف عن العناصر المعادية للاتحاد السوفييتي بين رجال المخابرات.

وفي عام ١٩٤٣ أصبح هابنهانن من الخبراء السوفييت في شؤون المخابرات السوفييتية . وفي صيف عام ١٩٨٥ استدعى إلى موسكو وكانت المخابرات السوفييتية تعده لمهمة جديدة تستدعي قطع علاقاته تماما بأسرته.

فتعلم اللغة الإنجليزية وأجاد تصوير المستندات وكتابة رسائل بالشفرة.

وأصبح هابنهانن بعد ذلك يدعى نيكولاي ماكي من مواليد اينافيل بولاية إيداهو الأمريكية جاء برفقة والده الفنلندي اينافيل وأمه الأمريكية إلى استونيا في منتصف القرن العشرين حينما كان في الثامنة من عمره.

ولم يعرف هابنهانن ماذا حدث لماكي الذي كان على علاقة وثيقة بالأهل في أميركا وانهم بعثوا له بعدة رسائل يشكون من سوء الحال في استونيا وعزمهم على العودة إلى الوطن.

وفي تموز سنة ١٩٥١ زار هابنهانن سفارة الولايات المتحدة في هلسنكي وقدم شهادة ميلاد صادرة من مكتب مواليد ايداهو تدل على أنه من مواليد (ابتانيل) في ٣٠ مايو ١٩١٩. وقال أنه يريد جواز سفر ليتسنى له العودة مع زوجته إلى الولايات المتحدة وحصل على جواز سفر بعد ذلك بعام.

وفي ٢١ تشرين الأول سنة ١٩٥٢ وصل إلى نيويورك على ظهر الباخرة كوين ماري ولحقت به زوجته بعد ذلك بأربعة أشهر.

وقد استدعى إلى موسكو حيث تعرف على ميخائيل الذي سيكون رئيسه في الولايات المتحدة . وكان مكان الاتصال في محل عام في سنترال بارك بنيويورك .

وكان على هابنهانن فور عودته أن يضع علامة خاصة على لافتة المحل حتى يعرف ميخائيل أنه عاد فإذا كان مراقبا وضع علامة أخرى تدل على ذلك.

عمل هابنهـانن مع ميخائيل من عام ١٩٥٢ إلـى عـام ١٩٥٤ حيـث استبدل ميخائيل بعميـل جديد يدعى (مارك) وكانا يتقابلان للضـرورة عنـد محطة مترو الأنفاق في بروسكيت بارك.

أما المعلومات فكان يتركها في مخابئ خاصة في منطقة نيويورك وفـي مكان مجوف شق في أحد السلالم في بروسكيت بارك.

وقام رجال مكتب التحقيق الفيدرالي[١] بالتحقيق من المعلومات فوجـدوا في سلالم بروسكيت بارك رسالة تقول :

"لم يحضر أحد للقائي يومي (٩،٨) كما طلبتم . لماذا؟ "

هل يكون في الداخل أم في الخارج؟

هل التوقيت خطأ؟

المكان يبدو لا غبار عليه.

مطلوب الرد .

وضحك (هابنهانن) في مـرارة ، لقد كان هو الذي وضع هذه الرسـالة قبل عامين. ولكن يبدو أن المكان سـد بالأسمنت قبل أن يتمكن (مارك) مـن تسليم الرسالة.

وكان يبدو أن ثمة علاقة بين الرسـائل والتجاويف، فرأى رجال مكتب

---

(١) بالفحص الذي أجراه مكتب التحقيق الفيدرالي ظهر أن على وجه القطعة ثقبا دقيقا يمكن بإدخال إبرة دقيقـة أن تشقه إلى نصفين ليظهر تجويف يحوي ميكروفيلم بصور عشرة أعمدة من الأرقام مكتوبة على الآلـة الكاتبـة وكل رقم مكون من خمسة أعداد في مجموعات كل منها ٢١ رقما و لم يتمكن الخبراء بالفحص الدقيق جدا مـن حل الشفرة بل و لم يتمكنوا من تحديد نوع الآلة الكاتبة التي سجلت الأرقام.

التحقيق الفيدرالي أن يعرفوا رأي "هابنهانن" في العملة المجوفة[1] فقال "هابنهانن" على الفور :

إنها من عمل الجاسوسية السوفيتية ، وإنهم يستخدمون الأقلام والمفكات والبطاريات والعملات المجوفة .

بل إنه قدم قطعة فنلندية مجوفة بنفس الطريقة . وقدم الميكروفيلم إلى "هابنهانن" ففك الشفرة بسهولة .

كانت الرسالة تقول :

نهنئك بسلامة الوصول . تسلمنا رسالتك على عنوان ... فرأها رقم (١) .

سنزودك بثلاث آلاف دولار . اتصل بنا قبل أن تستثمر المبلغ سندلك على نوع الاستثمار .

طريقة تحميض الفلم سترسل إليك في رسالة .

الوقت مبكر على ارسال الشفرة استخدم القصاصات . لا ترسل معلومات كاملة عن اسمك ومكانك في رسالة واحدة ، ارسل المعلومات على دفعات .
الظرف مسلم لزوجتك شخصياً ، الأسرة بخير نتمنى لك النجاح رقم (١) .

وقال "هابنهانن" إنه يبدو أن الرسالة كانت ستسلم له شخصياً ، فور قدومه إلى الولايات المتحدة ، حيث في الرسالة إشارة إلى زوجته الفنلندية.

---

(١) بالفحص الذي أجراه مكتب التحقيق الفيدرالي ظهر أن على وجه القطعة ثقباً دقيقاً يمكن بادخال ابرة دقيقة أن تشقه إلى نصفين ليظهر تجويف يحوي ميكروفيلم بصور عشرة أعمدة من الأرقام مكتوبة على الآلة الكاتبة وكل رقم مكون من خمسة أعداد في مجموعات كل منها ٢١ رقماً و لم يتمكن الخبراء بالفحص الدقيق جداً من حل الشفرة بل و لم يتمكنوا من تحديد نوع الآلة الكاتبة التي سجلت الأرقام .

ولكنه لم يعرف كيف تسربت قطعة العملة . ولكنه ضمن أنها فقدت من ميخائيل. وحاول المكتب أن يوقع بميخائيل ، ولكن اتضح أنه اختفى تماماً ، وأغلب الظن أنه عاد إلى موسكو .

وانطبقت أوصاف ميخائيل على شخص يدعى "ميخائيل نيكولا يغيش سفرنين" السكرتير الأول لوفد الاتحاد السوفيتي لدى الأمم المتحدة . ولكنه غادر البلام قبل عام .

بقي مارك ، ولكن "هابنهانن" لم يكن يعرف مكانه وإن كان يعرف أنه أحد عملاء الجاسوسية السوفيتية ، وإنه تسلل إلى الولايات المتحدة من كندا عام ١٩٤٨ .

وكان "هابنهانن" قد قابل مارك عدة مرات ، كلفه في أحدها بمقابلة جاويش أمريكي، كان ملحقاً بالسفارة الأمريكية في موسكو، حين جندته المخابرات السوفيتية. وكان يعرفه باسم (كوبيبك) .

ومرة أخرى لعبت الصدفة دورها ، فعثر أحد رجال المكتب الفيدرالي، في إحدى عملياته ، على قطعة صلبة غامضة .

وعكف "هابنهانن" على فحص القطعة الصلبة، وفجأة انشقت نصفين، عن تجويف يحتوي ميكروفيلم، عليه رسالة ، أمكن بعد حل رموزها التعرف على الجاويش "كوبيبك" . فظهر أنه "روي رودس" وقبضت على "كوبيبك" وحكم عليه بالسجن لمدة "٥" سنوات.

وبمقارنة الأوصاف التي أولى بها هابنهانن لمارك، أمكن التعرف على المصور "اميل جولدفاس" الذي يقطن الشقة (٢٥٢) شارع فولتن بيروكلين.

ولكنه لم يكن موجوداً هناك .

وفرضت رقابة على المكان . وبعد ثلاثة أسابيع عـــاد جولـــد فـــاس ، وأمكن تصويره بكاميرا خفية وهو يدخل منزله ، فتعرف عليه "هابنهانن" علـــى الفور. وهكذا قبض على الكولونيل "رودلف ايفانوفيتش ايبـــل " أو "مـــارك" أو "اميل جولد فاس" .

وبفضل شهادة "هابنهانن" تلقى ايبل حكماً بالسجن (٣٠) عامـــاً . وقـــد اطلق سراحه بعد مدة قصيرة مقابل مقايضته بجاسوس أمريكي .

ونظام الجاسوسية في روسيا من أدق النظم التي عرفها العالم الحديـــث. وقد كان -وما يزال- للجواسيس الروس نشاط كبير في أمريكـــا ، فالتجســـس عليها من أهم أهداف الروس . وهم يعتمدون على مختلف الوسائل لاكتشـــاف الحقائق المتصلة بالبحوث العلمية التي تجريها أمريكا . والوقوف على أســـرار القوات المسلحة وخططها، ومعرفة نقط الضعف في الشعب الأمـــيركي التـــي يمكن استغلالها لأغراض الجاسوسية والدعاية ، وكذلك الوقوف على أســـرار السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية.

ومن الحيل التي عمدوا إليها لسرقة أسرار المصانع والمعامل ، أنـــهم انشأوا منذ سنوات مكتباً زعموا أنه لتشجيع الاستيراد من أمريكـــا ، فكـــان أن فتحت المؤسسات الصناعية أبوابها لمندوبي المكتب الذين كـــان هدفـــهم الأول سرقة أسرار تركيب المنتجات الصناعية الحديثة .

وهكذا تنتقل الأسرار من مرؤوس إلى رئيس حتى تصل إلى الرئيـــس الأعلى الذي ينقلها إلى الكرملين في "الحقيبة الدبلوماسية" .

كما حصل مع المندوبين الذين ينقلون الأسرار إلى رئيس المكتب الذي ينقلها بدوره لرئيسه الأعلى وهكذا.

ويتخذ أولئك الجواسيس أسماء مستعارة ولا يعرف الواحد منهم سوى أسماء مرؤوسيه ورئيسه المباشر ، ويجهل أسماء الرؤساء الآخرين ووظائفهم وأعمالهم. فإذا اكتشف نشاط الهيئة ، تعرض الجزء الأسفل وحده من الهرم للمحاكمة . وكل هيئة تحدد لأعضائها مواعيد الاجتماعات وأمكنتها لدرس الخطط الموضوعة . وعلى كل عضو أن يتأكد أثناء ذهابه إلى المكان المحدد أن أحداً لا يتبعه ، فإذا ساوره أدنى شك، واصل سيره في طريقه أمام المكان ومر به دون أن يدخله ، فيفهم زملاؤه هذه الإشارة ويغادرون هم المكان أيضاً واحداً بعد الآخر ، مؤجلين الاجتماع إلى موعد آخر قد اتفقوا عليه سلفاً .

وإذا أراد أحد الأعضاء لقاء رئيسه الذي غالباً أنه لا يعرف عنوانه، عمد إلى نشر اعلانات متفق على صيغتها باحدى الصحف السيارة، كأن يقول "شاب كيميائي عمره (٣٣) سنة يطلب عملاً في مؤسسة صناعية أو معهد للبحث" .

ولكي لا يكشف أمر الاعلان ، فإنه قد ينشره في عدة صحف ولعدد معين من المرات .

وحينما يراد التقاء جاسوس بآخر للمرة الأولى ، تعطى كل منهما إشارات كثيرة لكي يتحقق بها الواحد منهما من هوية صاحبه ، فإذا طلب من شاب أن يقابل سيدة تنتمي للهيئة ، اعطيت له فضلاً عن أوصافها والمكان الذي تنتظره فيه تعليمات بأن يدخل هذا المكان ويطلب مشروباً ذا لون معين ، وتكون هي أيضاً قد طلب منها بعد أن تستوثق من مطابقة أوصافه لما أعطى

لها عنه أن تجلس بالقرب منه ثم تطلب مشروباً آخر ذا لون معين ثم تسأله بعد نصف ساعة عن الوقت ، فيجيب عليها بعبارة معروفة من قبل كأن يقول :

"أن ساعتي من نوع رخيص لا يمكن الاعتماد عليها" .

وبعد حين تغادر الفتاة المقهى فيتبعها ، حتى إذا ما بلغت محلاً لبيع الزهور وقفت تتطلع إلى نافذة المتجر .

بهذه الخطة المرسومة يستطيع كل من الاثنين أن يتحقق من شخصية صاحبه وأن يحادثه والا فقد تكون الفتاة وسيلة للايقاع به .

ويقوم رؤساء المنظمات الجاسوسية بتزويج العزاب من أعضائها وغالباً ما تكون الزوجات متدربات على الجاسوسية .

ويعيش الأعضاء غالباً خائفين من بطش رؤسائهم بهم ، فهم لا يتورعون عن تدبير قتل أي عضو تحوم حوله الشبهات ويقولون للضحية عادة قبل قتلها أنه حوكم "غيابياً" في روسيا ووجد مذنباً ، وهم ينفذون فيه حكم الاعدام .

والسوفيت ينفقون على جاسوسيتهم بسخاء ، فإذا فصل عضو أو مساعد للهيئة من وظيفته ، صرف له راتب شهري كبير حتى يجد وظيفة أخرى . وفي كتاب أشهر الجواسيس في القرن العشرين يقول الدكتور محمد رجب سلامة عن كيم فيلبي:

لقد خدم كيم فيلبي السوفيت سنوات طويلة ضد مصالح بريطانيا .. إنه الجاسوس البريطاني كيم فيلبي الذي شغل الرأي العام البريطاني .

فيلبي هو مدير مخابرات بريطانيا لمكافحة التجسس في واشنطن ونائب المدير العام في لندن للمخابرات (أم.آي.سكس) .

إذن من هو كيم فيلبي ؟ .

في عام ١٩٣٠ انضم إلى اليسار البريطاني حسب عرض جاك بيرجس إلا أنه انضم للمخابرات السوفيتية .

وفي عام ١٩٣٣ تزوج من البولندية ليزا عضـــو الحـزب الشـيوعي العالمي (الكومنترن) بعد تخرجه من الجامعة .

وفي عام ١٩٣٥ أصبح جاسوساً رسمياً في باريس على يد البولنـــدي اندريه بيتوفنتش وفي عام ١٩٣٩ دخل المخابرات البريطانية وخدم في جـــهاز مكافحة التجسس (أم.آي.سكس) الخارجي .

وفي عام ١٩٤٩ عين سكرتيراً أولاً للسفارة البريطانية فـــي واشــنطن ومديراً عاماً لهذا الجهاز في أمريكا .

وفي عام ١٩٥١ حوكم بعد عودته إلى لندن وفصل من وظيفته[١] . ثـم أعيد بعد اتفاق الخارجية والمخابرات والقصر الملكي الذيـــن كـــانوا يعرفـــون خيانته إلا أنهم أرادوا الايقاع به وعلى شبكته من خلال مراقبته .

وقد أعيد عام ١٩٥٢ بوظيفـــة صحفـــي لصحيفتـــي الأوبـــز رمـــز والايكونومست وكانت بيروت مقراً لعمله . إلا أنه باشر بعمله في عام ١٩٥٦. وفي عام ١٩٥٩ تزوج ثانية من إلياتور .

---

(١) إذ إنه كان قد التقى عام ١٩٥٠ زميل دراسته بورجيس وماكلين في أمريكا وصارحاه بملاحقـــة المخـــابرات الأمريكية كونهما عميلين للسوفييت وساعد هربيهما لموسكو .

أوقعت به احدى الشخصيات اللبنانية تعمل مع المخابرات البريطانية . ولدى متابعته من قبل المخابرات البريطانية شاهدوه وهو يتصل بشاب أرمني يعمل مع المخابرات الروسية .

والذي زاد الطين بلة اعتراف غوليتسين وهو ضابط سوفييتي هارب من المخابرات السوفيتية كان ذلك في آب ١٩٦٢ حيث قال :

لقد رأيت ملفه وصورته في أحد أدراج الـ (كي.جي.بي) الحديدية السرية. وفي أيلول من نفس العام اعترفت عليه الصهيونية اليهودية فلوراسلومون وكشفت عن خليته الشيوعية السرية وادعت أنها عشيقته وقد عرض عليها العمل معه في المخابرات الروسية فرفضت . قالت هذا في الوقت الذي كان فيلبي يعمل في الصحافة في أسبانيا .

رغم اعترافه أمام لجنة من المخابرات (أم.آي.سكس) التي استجوبته في بيروت وأيد ذلك الاعتراف خطياً[١] إلا أنه استطاع الهرب[٢] للاتحاد السوفييتي كان ذلك عام ١٩٦٣ .

وقد تزوج ثالثة من نينا الروسية الت أهديت له . لقد قدم فيلبي للسوفييت الآف المعلومات ومئات قوائم الأسماء والخرائط والتقارير والتحليلات والصور . وكان قد رسم لهم خارطة الغرب وتحالفاته وآليات عمل التجسس وأحدث الأساليب لمكافحة التجسس ونقاط القوة والضعف في جهازي (أم.آي.سكس) و (أم.آي.فايف) .

---

(١) قبل استجوابه جاء القائد الاستخباري السوفييتي الكبير (يوري مودين) وقد وجهه بكل حركة أثناء التحقيق معه وكان اعترافه كان أكاذيب للتضليل .

(٢) ساعده زميله في التجسس رئيس شعبة مكافحة التجسس على الهرب .

لقد سبب فيلبي لبريطانيا أزمة حضارية وأخلاقية مع الغرب عامة وأمريكا خاصة. وقد طلبت أمريكا من خلال مدير المخابرات الأمريكية (انغلتون) اعطاءهم الخبرة البريطانية في المكائد والاغتيالات لاغتيال الرئيس الكوبي فيدل كاسترو ونحو كوبا الشيوعية وقال :

طالما أنتم محترقون من الشيوعيين مثل (فيلبي) وربما أخطر منه وطالما أنتم لا تستثمرون مكائدكم في نسف الشيوعيين فأعطونا خبراتكم حيث أننا بحاجة لها كوبا خطر علينا كما هو (جمال عبد الناصر)خطر عليكم وعلينا فإذا وضعتم ما يشاغل ناصر حتى تقضون عليه مثل اسرائيل فأعطونا ما يقضي على كاسترو .. أنكم حتماً قادرين .

كيف كانت خطتكم الأخيرة ، ١٩٥٧ لاغتيال ناصر وهل هي ناجحة لاغتيال كاسترو ؟ والنتيجة فشل خطة اغتيال ناصر.. كما كانت النتيجة في فشل خطة اغتيال كاسترو .

كان ذلك بسبب شبكات الجواسيس وخدمات فيلبي وأعضاء شبكته الجاسوسية.

وإذا عدنا للسيد سعيد الجزائري فنراه يتحدث عن أسرار الحرب وأشياء أخرى عن الجاسوسية في ألمانيا :

في صباح ذات يوم من أيام سنة ١٩٤٤ ، فتح الباب الحديدي لزنزانة مطلة على فناء أحد السجون الألمانية وخرج منها رجل عار أشيب الرأس مكبل بالسلاسل يتعثر في خطواته، ويكاد يقع لولا الحارسان اللذان يمسكانه ، وكانت دلائل تعذيبه واضحة ، وما كاد يقطع خطوات حتى تسمر في مكانه

لفرط الرعب الذي استولى عليه ، إذ رأى أمامه مشنقة تتدلى منها خمس جثث عارية لرفاق يعرفهم ، وإلى جوارهم حبل يتأرجح في انتظاره ! .

وقام أحد الجنود بتثبيت الحبل حول عنق السجين ثم أومأ الضابط المختص بإشارة خاصة ، فإذا بالأرض تحت قدمي السجين تنشق عن فجوة خفية هوى جسمه فيها .

ومضت دقائق وهو معلق بين الحياة والموت وأخيراً صاح الضابط بجنوده غاضباً : "اقطعوا الحبل" .

فقطعوه ..وهو جسم السجين إلى قرار الفجوة ، وفي عنقه بقية الحبل المقطوع ! .

وفيما كان السجين يجاهد لتخفيف ضغط الحبل المشدود على عنقه ، أسرع الضابط إلى مكانه مزمجراً ، وأخذ يكيل له السباب ويركله بكل قوته آمراً إياه بالنهوض ، وهو يقول له :

لن تموت بسهولة كأصدقائك أيها الخائن الخطير ، إن مثلك لا يكفي أن يشنق مرة واحدة .

وبعد دقائق أخرى ، كان السجين قد أوقف تحت المشنقة مرة أخرى حيث التف حول عنقه حبل جديد ، ثم هوى جسمه في الفجوة للمرة الثانية .. فكانت القاضية.

وهكذا كانت نهاية حياة الجاسوس "وليم كاناريس" ، رئيس إدارة المخابرات التابعة للنازي تنفيذاً لأوامر هتلر .

عندما قامت الحرب العالمية الأولى ، كان "كاناريس" ضابطاً برتبة ملازم في اسطول ألمانيا ، وقد وقع أسيراً في قبضة الانكليز ، فنفي إلى شيلي، وهناك بدأ مغامراته الجريئة التي اشتهر بها فيما بعد ، فتمكن من الفرار إلى مدريد ، بجواز سفر مزيف باسم "ريدروزاس" من رجال الأعمال في شيلي .

بقي هناك عاماً كاملاً ، استطاع خلاله أن يتصل بإدارة الاسطول الألماني. وأن يقوم بالحبث عن مراكز خفية تصلح كميناً للغواصات بالقرب من الساحل الاسباني وقبل أن يكتشف أمره هرب إلى ألمانيا في احدى الغواصات ! . تزوج "كاناريس" بعد عودته من اسبانيا وبقي في ألمانيا (١٨) عاماً أنجب خلالها طفلين واكتسب ثقة المسؤولين، كما قدر هتلر اخلاصه الشديد ودهاءه وجرأته ، فعينه سنة ١٩٣٥ مديراً عاماً لإدارة المخابرات الألمانية على اختلاف فروعها .

ولكن "كاناريس" لم يكن نازياً بقدر ما كان وطنياً وقد شعر أن سياسة هتلر في غزو العالم للسيطرة عليه ستؤدي بدمار ألمانيا . وبحكم منصبه كان يعرف ما كان يدور وراء الستار ، ويكشف له أتباعه عن حياة زعماء النازي الخاصة المليئة بالعبث وفاضت نفسه مرارة وألماً . واتفقوا فيما بينهم على وجوب التخلص من هتلر لانقاذ البلاد من الكارثة التي تتهددها .

وما علم أولئك المتآمرون بخطة هتلر لغزو تشيكوسلوفاكيا ، حتى قرروا العمل على احباط هذه الخطة ، وتنفيذاً لذلك اتصل "كاناريس" بالمسؤولين في انكلترا حيث شرح لهم حقيقة الموقف في ألمانيا .

مؤكداً أن الجيش ينتظر الفرصة المناسبة لطرد هتلر ، وأن عليهم لذلك أن يتخذوا إزاءه موقفاً حازماً بإعلانه أن بريطانيا لن تسمح بأي اعتداء

على تشيكوسلوفاكيا. فإذا تم ذلك ثار الجيش وقام أحد أعوان "كاناريس" بالقبض على هتلر!.

وأعد "كاناريس" العدة لتنفيذ ذلك ، ولكن الحكومة البريطانية لم تقم بما تعهدت به فأوفد إلى الملحق العسكري بالسفارة البريطانية في برلين رسولاً خاصاً أبلغ تفصيلات الهجوم الألماني المزمع على تشيكوسلوفاكيا ، كما أبلغه خبرين خطيرين للتدليل على صدق رغبته في التعاون مع بريطانيا .

وكان الخبر الأول أن وزير خارجية هتلر "فون ريبتروب" يدري مفاوضات سرية مع الكرملين وأما الخبر الثاني فكان أن ألمانيا سوف تغزو بولندا في الأسبوع الأخير من شهر اغسطس سنة ١٩٣٩ .

وجاءت الأيام مصدقة لما قاله كاناريس ، واندلعت شرارة الحرب العالمية الثانية في الموعد الذي حدده ، وعلى هذا وثقت به إدارة مخابرات الحلفاء ، ومن ثم بدأ هو محاولته الثانية لوقف هتلر عند حده ، فأنشأ شبكة عجيبة ، من الجاسوسية ، امتدت من "لشبونة" إلى "موسكو" وأصبح له في كل عاصمة من العالم مندوب ينقل إليه المعلومات السرية ويتولى في الوقت نفسه الاتصال بين إدارة المخابرات البريطانية وفرق المقاومة السرية ، واستطاع بفضل هذه الشبكة الدقيقة أن ينبئ قوات الحلفاء بكل حركة ، يعتزم هتلر القيام بها ، قبل الموعد المحدد لها بأسابيع .

وكان في الوقت نفسه يقدم لهتلر تقارير مضللة يزعم أنه تلقاها من أعوانه في مختلف البلدان الأوربية .

وكان طبيعيا أن تشتد المنافسة بين "كاناريس" وهتلر رئيس الجستابو . ومع أن هتلر كان يشغل منصبا أعلى ، لم يكن يسعه في كثير من الأحيان إلا أن ينفذ التعليمات التي يصدرها كاناريس .

وكلما زادت كوارث الحرب زاد عدد أولئك الاتباع من كبار رجال الجيس الراغبين في الثورة على النازي .

وكانوا جميعا يؤمنون بأن لا نجاح لهذه الثورة ما دام هتلر على قيد الحياة. وعلى هذا نبتت فكرة اغتياله بين هؤلاء ، وحصل بعضهم على قنبلة فتاكة صنعت في انكلترا . وتمكنوا من تهريبها إلى سمولنك في روسيا قبل أن يبلغها هتلر ببضعة أيام لزيارة رجاله هناك وما كاد يغادر تلك البلدة عائدا إلى برلين في مارس سنة ١٩٤٣ حتى كانت القنبلة قد اخفيت في ركن من أركان الطائرة ، ولكنها لم تنفجر كما كان متوقعا ، إذ أن البرد الشديد الذي تعرضت له في روسيا حال دون هذا الانفجار ! .

وفي كانون الأول سنة ١٩٤٣ ، حنق هتلر فجأة على "كاناريس" ولم يكن ذلك بسبب اكتشافه خططه . بل بسبب التقارير السيئة التي تولى ورودها عن سير الحرب في البلاد المختلفة ، وانتهى الأمر بنقل "كاناريس" إلى وظيفة صغيرة في قسم البحوث الاقتصادية . وأخذ يتحين الفرصة ليتمكن فيها من اغتيال هتلر .

وحدث في ٢٠ تموز سنة ١٩٤٤، أنه كان هتلر في شرق بروسيا وإذا بقنبلة تنفجر بالقرب منه فتصرع أربعة من مرافقيه . وأما هو لم يصب بغير حروق بسيطة، وتبين أن القنبلة صناعة انكلترا .

فقام رجال الفستابو بالقبض على كثيرين ممن ارتـــابوا فـــي أمرهـــم، وانتهز هتلر هذه الفرصة للانتقام من "كاناريس" فاعتقله ومعه إثنا عشر رجـــلاً مـــن معاونيه. وظل رجال الجستابو يعذبونهم تسعة أشهر كاملة ولكنـــــهم لـــم يتمكنوا من استخلاص شيء منهم.

ويقول سجين كان يجاور "كاناريس" في السجن :

إن "كاناريس" كـــان يمدد عارياً فوق ألواح من الثلج ثم تدق المســـامير في فخذيه ويديه. وإنه عاد مرة بعد "التحقيق" معه ليرتمي على الأرض وهـــو يقول في صوت ضعيف لاهث :

"لقد كسرت عظام أنفي ! إنني أموت ، أرجو أن تبلغ زوجتي وولـــدي تحيتي عندما تغادر السجن" .

وفي اليوم التالي تم اعدامه شنقاً مع خمسة من رفاقه .. وقد قدم اثنـــان ممن قاموا بتعذيبه واعدامه للمحاكمة في سنة ١٩٥١ ، أمام محكمة عســـكرية شكلت لمحاكمة "صغار مجرمي الحرب" .

فبرأتهم المحكمة على أساس أنهم كانوا مكلفين بتنفيذ الأوامر .

أوضاع الجواسيس:

إذا أراد أحد بحث أوضاع الجواسيس[1] أو ذكر أسمائهم أن يضع اسم الكولونيل لورانس[2] في مقدمة هذه الأسماء أو بينها .

فقد كان لورنس الإنجليزي هذا عيناً هاماً لدوائر الاستخبارات والتجسس قبل أن يؤكد على أنه أحد كبار قادة الجيوش غير النظامية في التاريخ الحديث .

لقد كان لورنس جاسوساً بارعاً وأستاذاً حاذقاً في فن التجسس ولهذا يدين له الجنرال آللنبي[3] بالنصر الذي أحرزه في ميدان فلسطين . إذ لولا

---

(١) هناك نوعان من المقاييس تجريات على المتقدم ليصبح جاسوساً هما : ١- المقياس الجسدي ، ٢- المقياس الذهني . وإن هيئة المخابرات في أية دولة تفضل الرجال الذين يتمتعون بكامل قواهم الجسدية والعقلية وأصحاب البصر والسمع السليمين وأن يكون ضغط دمهم ووزنهم ومظهرهم طبيعي وعادي . وبعد إجراء المعاينة الطبية يتعين على المتقدم من احتياز الفحوص والاختبارات وهي : ١- تسلق حاجز خشبي بارتفاع ١٨٥ قدماً وبخطوات لا تتجاوز في وسعها ٨ سنتيمترات. ٢- ارتقاء سلم للحريق بعلو ٤٠ قدماً يؤدي لغصن شجرة وعليه أن يحبو عليه لطرف الغصن ثم يتزلق هابطاً على حبل ٧٠ قدماً إلى جذع شجرة أخرى. ٣- السير مسافة عشرين قدماً فوق حبل مترهل يمتد بين شجرتين مرتفعتين ويكون ارتفاع الحبل عن الأرض ٣٠ قدم ولا سند سوى حبل مماثل يمتد فوق الرأس. ٤- تسلق شجرة بارتفاع ١٢ قدماً واليدين عاريتين ومن ثم السير فوق لوح خشبي بعرض قدم واحد وطول عشرين قدماً يمتد لشجرة أخرى . ٥- تسلقم سلماً عمودياً بارتفاع ٢٥ قدماً يؤدي إلى منصة ويلقي المتقدم بنفسه في الهواء ليمسك على حبل يبعد عنه ست أقدام ثم يتزلق هابطاً للأرض .

(٢) توماس لورنس ، ١٨٨٨-١٩٣٥ ضابط وكاتب انجليزي . اتصل بالشريف حسين وشجع ثورة العرب على الأتراك ١٩١٦-١٩١٨ . لقب بـ "لورنس العرب" .

(٣) آدمون آللنبي١٨٦١-١٩٣٦ لمارشال بريطانيا،احتل فلسطين وجزء من سوريا ١٩١٧، المندوب السامي في مصر ١٩١٩-١٩٢٥،سحق جيش الأتراك عام ١٩١٨في معركة مجيدو فانسحب الأتراك بعدها من كل المشرق .

التقارير[٢] التي كانت تصله باستمرار وبدقة ما فيها من لورنس عن حركات الأعداء لما تقدمت الحملة ونالت النصر .

والواقع أنه في كل الميادين كافح الإنجليز بكل قواهم التجسسية جواسيس دوائر الاستخبارات الألمانية في الأناضول والشرق الأدنى .

وقد ذكر ضباط استخبارات الجنرال اللنبي اثنين من أشد هؤلاء دهاءاً ومكراً وهما بروسر وفرنكس .

وقد كان بروسر أشد تمرناً من فرنكس وكانت له خبرة وحنكة لورنس في الشرق الأدنى وقابليته بالتفكير وسرعة البديهة والتخفي وكان يسميه حلفاؤه العثمانيين بـ "البدوي" .

وقد نجح بروسر ثلاث مرات في دخول مصر والخروج منها. كما دخل متخفياً إلى مقر القيادة الإنجليزية العامة في القاهرة ودون أن يفطن إليه أحد .

أما "فرانكس" فقد قضى عدة سنوات متنقلاً في مختلف المستعمرات الإنكليزية باحثاً عن خطة تارة كمرب للماشية في استراليا ، وأخرى تاجراً في بومباي أو صحافياً في جنوب أفريقيا وأخيراً نراه يجرب حظه في مضمار التجسس .

وقد وصل فرانكس إلى فلسطين متطوعاً وعين بالمدفعية الثقيلة ونقل إلى ميدان الحرب في حيفا – القدس .

---

(٢) كانت تقارير لورنس ترسل إلى الجنرال اللنبي بواسطة شبكة الجاسوسية التي نظمها باتقان.

وكان له قابلية عظيمة في التحدث - علاوة علـــى اللغـــة الإنكليزيـــة الاعتيادية وكان يملك خزانة مليئة بملابس الضباط الإنكليز،حيث كانت البســته تتنوع على الدوام. حيث استطاع الظهور بين الخطـــوط الحربيـــة الإنكليزيـــة كضابط انكليزي أو كضابط من المستعمرات .

وفي احدى مهماته قام بتفتيش لواء مدفعية إنكليزية وهو بلباس ضـــابط مدفعي.

وزيادة على ذلك فقد كان "فرانكس" اخصائي في قطع الخطوط التلفونية وإعادة ربطها دون إثارة الشبهات فكان كثيراً ما يستعمل آلـــة التلفـــون التـــي يحملها لسماع المحادثات الرسمية التي تجري بين القواد الإنكليز . ثـــم يقـــوم بتقليد الأصوات الإنكليزية وإصدار الأوامر المغلوطة لإحداث الفوضـــى فـــي صفوف الجيش الإنكيزي .

وفي خلال الحرب العامة كان ضباط الاستخبارات في وزارة الحربيـــة البريطانية بلنـــدن يطبعون كل خمسة عشر يوماً خارطة تحدد توزيـــع قـــوات العدو في ميادين الحرب الشرقية مدى السنوات الأربع ، وعلى هذه الخارطـــة كانت تظهر قطعة كبيرة كتب عليها بالحبر الأحمر حروف بارزة بالإنكليزيـــة لاسم"واسمس" وفي الواقع كان جنوب إيران برمته تحت تأثير نفـــوذ القنصـــل الألماني، الذي لم يكن قـــد تجاوز الخامسة والثلاثين عند إعـــلان الحـــرب، والذي أصبح بعد ذلك مـــن الشخصيات التي تثار حولها القصـــص الخرافيـــة شرقي قناة السويس .

وكان الوضع الإيراني في آب سنة ١٩١٤ مرتبكاً جداً تتخلله حـــروب أهلية، وكان الألمان يطمعون بحقول النفط الغنية، كطمع الإنكليز حينها، لذلـــك

كان القنصل الألماني كلما اختط خطة لحركاته وتجسسه، يقوم بتنفيذها فـــورا، ومن جمله خططه، أنه تزوج من ابنة أحد رؤساء الإيرانيين المتنفذين بعـــد أن سويت الفروق الدينية فجرى الزفاف في أبهى ما يكون من المظاهر الآســيوية القديمة، وللعــرف والعادات المتبعة أصر العريس على أن يقوم هـــو بجمــع نفقات العرس طالبا من والد عروسه الذي كان يتمتع بمساعدة مالية كبيرة مــن ألمانيا أن يدعو صفوة رجالاته الموالين إلى الحفلة .

وفي أثناء الحفلة التي كلفته حوالي ١٤٠ ألف مارك ذهب، قام معـــاون بروكمن بمباغتة الضيوف المدعوين بتوزيع كمية كبيرة من النقـــود عليــهم وعلى أثرها قام بتسجيل أسمائهم كجواسيس(١) .

إن "واسمس" كان يتقن الجاسوسية الألمانية بكل مهارة فـــي المنطقــة الممتدة من الهند إلى قناة السويس على ضفتي نهري دجلة والفرات.وللســيطرة على سير الحركة التجارية الحيوية التي كانت على أشدها بين الـــهند وموانـــئ البحر الأبيض المتوسط والأحمر والخليج العربي .

وقد جهز عددا كبيرا من السفن الشـــراعية الخفيفـــة لتقـوم بمهـــام استكشاف على طول طرق البواخر القادمة من الهند في الوقـــت الذي أخـــذت فيه الحملات الإنكليزية تهدد العراق والدردنيـــل وفلســطين وشــرقي أفريقيـــا الألمانية، كما أخذ الجيش الروسي في ميدان ارمينيا يتقـــدم نحـــو ارضــــروم وطرابزون .

وكان الجواسيس الذين يرسلهم "واسمس" من الجيل الذي اتخذه مقرا له،

---

(١) تقول دائرة الاستخبارات البريطانية بأنها قدرت ما سجل من جواسيس لمصلحة الألمان في ذلك اليوم بما يزيـــد عن نصف مجموع الأهلين الذين ذاقوا طعام فطور عرس القنصل واسمس.

يصلون إليه بسهولة .

فقد أخذ يبعث بسيل من التقارير المهمة الخاصة بالإنكليز وحركاتهم بعد كل معركة إلى الكولونيل "ليمان فون سندرسن" القائد العام الألماني في الشرق الأدنى ومرافقيه .

إن رقابة "واسمس" الشديدة على حركات تقدم القوات البريطانية في العراق كانت من أقوى الأسباب الرئيسية لإطالة أمد هذه الحملة .

ولكن عندما اكتشف أمر "واسمس" لدى إدارة الاستخبارات البريطانية خصصت هذه الإدارة ثلاث آلاف ليرة إنكليزية ثمنا للقبض عليه حيا أو ميتا، ويزيد هذا المبلغ بعد ذلك حتى وصل في أواخر ١٩١٧ إلى أربعة عشر ألف ليرة إنكليزية ولكن هذه المحاولات لم تجد نفعا .

ومن الإنتصارات التي حققتها الاستخبارات الإنكليزية في الحرب العالمية الأولى ، ظفرها بمفتاح الشيفرة الألماني .

فتمكنت بواسطته من الاطلاع على مخابرات وزارة الخارجية الألمانية مع سفيرها في واشنطن ، وقدمت هذه المخابرات هدية خالصة إلى وزارة الخارجية الأميركية .

والواقع أنه رغم ما قامت به ألمانيا في أثناء الحرب العالمية الأولى من احراج الأميركيين والتعرض لبواخرهم التي كانت تنقل الأغذية والمعدات إلى إنكلترا، فإن أميركا لم تحرك ساكنا مكتفية بالاحتجاج طبعا .

ولكنها لم تفكر في إعلان الحرب على ألمانيا .. إلا حين تمكن الجواسيس الإنكليز من الحصول على الشيفرة الألمانية ومن معرفة المخابرات

التي كانت تدور بين وزير خارجية ألمانيا وسفيره في أميركا بشأن الاتفاق مع المكسيك على محاربة أميركا إذا ما حاولت هذه إعلان الحرب على ألمانيا .

لقد كانت ألمانيا تنتظر هذه البادرة الأميركية ولهذا اتخذت حيطتها ورسمت طريقها وقررت التفاهم مع الحكومة المكسيكية لتشغل أمريكا عنها عندما تدعو الضرورة إلى ذلك .

وكان وزير الخارجية الألمانية يرسل في هذه الفترة إلى سفيره في أميركا ببعض التعليمات السرية الخطيرة .

وكان السفير يرسلها بدوره إلى القنصل الألماني في المكسيك . وكان مفتاح هذه التعليمات المكتوبة بالشيفرة تحفظ في برلين، وفي مركز أركان الحرب في البلجيك فقط ولا يعرفها إلى المسؤولين في المخابرات الألمانية .

وفي الثالث والعشرين من شهر شباط سنة ١٩١٧ ، دعا المستر بلفور[1] وزير خارجية إنكلترا سفير أميركا إلى مكتبة وأعطاه نسخة من المعاهدة السرية المعقودة بين ألمانيا والمكسيك مترجمة للغة الإنجليزية وكانت صورة طبقة الأصل عن التعليمات السرية التي أرسلها وزير خارجية ألمانيا إلى سفيره في واشنطن وأرسلها هذا بدوره إلى القنصل الألماني في المكسيك .. ليصار إلى تنفيذها حين تعلن أميركا الحرب على ألمانيا .

ولما أطلع السفير الأميركي على الاتفاقية أبرق إلى حكومته بمضمونها .. وزاد السفير الأميركي على برقيته ما نصه :

"لما عرف المستر بلفور بهذه الاتفاقية الخطيرة اطلعني عليها وأخبرني أن انكلترا تمكنت من معرفة مفتاح الشيفرة الألمانية وتمكنت

(١) آرثر جميس بلفور (١٨٤٨-١٩٣٠) سياسي إنجليزي . وزير الخارجية ١٩١٧، أصدر وعد بلفور (المشؤوم) بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين .

بهذه الواسطة من ترجمة كل البرقيات التي تتبادلها ألمانيا مع سفرائها في الخارج ، وهي الآن تترجم جميع البرقيات التي تبادل بين برلين والقنصل الألماني في المكسيك وستطلعنا عليها حين تفرغ من ترجمتها. ولما كان حل الشيفرة من الأمور الخطيرة وأسرار الحرب ، فإن الحكومة الإنكليزية قد أسدت إلينا خدمة عظيمة باطلاعنا على ما عرفته، ونرجو أن يظل حديث الشيفرة هذا سرا مكتوما " .

ولكن أميركا طلبت مفتاح الشيفرة ، فرفضت إنكلترا ، لرغبتها في الاحتفاظ بهذا السر لنفسها .

وأخذ المستر لانسينغ وزير خارجية أميركا يفكر في الأمر . . وقال في نفسه قد يكون حديث الشيفرة أمرا مدبرا تحاول بواسطته بريطانيا حمل أميركا على إعلان الحرب على ألمانيا .

وتمكن بعد جهود أن يحمل الوزارة الإنكليزية على السماح لأحد موظفي السفارة الأميركية في لندن بالدخول إلى دار الاستخبارات البريطانية لكي يتحقق الأمر بنفسه .

وبعد جهود وصعوبات كثيرة تمكن هذا الموظف من ترجمة الاتفاقية ، وعندئذ أيقن أولو الأمر في أميركا أن إنكلترا قد صدقت في قولها وإنها لم تكن تعمل لمصالحها الخاصة .

وعندئذ أصدر المستر ويلسون[1] رئيس الولايات المتحدة أمره إلى سفيره في لندن ليخابر وزارة الخارجية الإنكليزية بشأن نشر المراسلات التي

---

(١) توماس ولسون (١٨٥٦-١٩٢٤) رئيس الولايات المتحدة الأميركية ١٩١٣-١٩٢١، اشترك بمعاهدة الصلح في فرساي وارادان يركز السلام العالمي ، على نقاطه الأربع عشر. حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩١٩ .

دارت بين ألمانيا وسفيرها في واشنطن بشأن الاتفاق مع المكسيك . ولما نشرت هذه المراسلات أحدثت ضجة عظيمة .

وأعلنت الحرب بعدها على ألمانيا ..

ومن المؤكد أن الفضل في دخول أميركا الحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفاء يرجع إلى تمكن الجاسوسية الإنكليزية من الحصول على أسرار الشيفرة الألمانية بطريقة مبتكرة غريبة .

إذ أن بعد جهود عظيمة ثبت أن الصورة الثانية لمفتاح هذه الشيفرة موجودة في دائرة أركان الحرب العامة في بروكسل .

وكان لا يعرف أجزاؤها وتفاصيلها إلا القائد العام للجيش والأميرال الأكبر للاسطول ووزير الخارجية نفسه ، ولو أن آلة التلفون اللاسلكي كانت حسنة منتظمة في بروكسل لما كان بمقدور الحلفاء الحصول على صورة الشيفرة .

لكن هذه المحطة اللاسلكية كانت تحتاج للاصلاح،فاضطرت السلطات الألمانية إلى الاستعانة برجل يعيش في بروكسل وكان من أصل إنكليزي ونمساوي معا .

طلب هذا الرجل الذي يدعى "اسكندر رك" إلى مقر القيادة الألمانية العامة في بروكسل ، وبعد أن بحثوا في أوراقه بعثوا رجال البوليس لتفتيش منزله فوجدوا عنده آلة لاسكلكية كان قد اخترعها خصيصا لنفسه ، ورأوا في هذه الآلة تقدما عظيما يختلف اختلافا ظاهرا عن الآلة المستعملة ولا يخفى أن التلغراف اللاسلكي في سنة ١٩١٤، كان أول نشأته .. ولقد كان من الممكن

إعدام هذا الشخص لحيازته مثل هذه الآلة، ولكن الألمان كانوا في حاجة إلى خدماته فخيروه بين الموت والتعاون معهم ففضل الثانية فكلفوه أن يقوم بتلقين أخبار الحلفاء بواسطة آلته .

وأخذ الرجل يخدم الألمان حتى تمكن من اكتساب ثقتهم وحتى أخذوا يطلعونه على بعض أجزاء الشيفرة الخاصة بهم لاستخدامها في أغراضهم .

ولما عرفوا الإنكليز ، بعثوا إليه بفتاة بلجيكية كانت تشتغل معهم لتحرير بلجيكا . وهذه أخذت تتعمد اغواءه وتحدثه عن بلاده وكيف أنه يخونها بخدمته لألمانيا.

ثم طلبت منه أن يخدم بلاده وأن ينضم إلى الجمعية السرية التي كانت تعمل لحساب البلجيك .

ونزل اسكندر عند رغبتها فدخل في الجمعية واقسم أن يضحي بحياته في سبيل بلاده وعندئذ طلبت منه الجمعية السرية البلجيكية أن يسرق الشيفرة الألمانية.

لذلك قرر اسكندر أن يحفظ الشيفرة وطلاسمها عن ظهر قلب ، وذلك في الوقت الذي يعطى له مفتاحها حين يكون في عمله يتلقن البرقيات اللاسلكية ويفك طلاسمها ، وبعد سبعة أشهر تمكن من إنجازه .

لكن الألمان رأوه مع رجل بلجيكي فأوقفوه عن العمل ولكنهم لم يجدوا دليلا يثبت لهم خيانته فتركوه ومنعوه من مغادرة بروكسل .

وتمكن اسكندر من الهرب بمساعدة أحد عمال دائرة الاستخبارات الإنكليزية الذي أعطاه تحريرا إلى مدير الاستخبارات الإنكليزية في هولندا ،

وبعد أن زود بجواز سفر مزور . ركب دراجة صغيرة وسـار إلـى الحـدود الهولندية ولكن الحدود الهولندية كانت مطوقة بالشريط الحديدي وكانت الأسلاك الكهربائية الموضوعة عليها تجعل من المستحيل مرور أحد .

لكنه تمكن من اختراع آلة من الكاوتشـوك انجته مـن الخطـوط الكهربائية وبهذه الواسطة وصل سالما إلى الحدود الهولندية ومن الغريـب أن هذا الجاسوس قد اختفى بعد هذا التاريخ،أي بعد هربه في ١٥ آب سنة ١٩١٥.

ويقول المطلعون أنه قتل،وإن الذين قتلوه هم نفسهم الذين هربوه لأنـهم بعد أن توصلوا إلى معرفة سر الشيفرة الألمانية رأوا من الحكمة أن لا يـتركوا لغيرهم سبيلا إلى معرفتها فأعدموا صاحبها .

أصدرت صحف باريس سنة ١٩٢٥ ، خبرا غريبا مفاده أن البوليـس الفرنسي القى القبض على رجلين إنكليزيين يقومان بالتجسس لحسـاب دائـرة الاستخبارات المركزية في لندن .

وتفاصيل هذا التجسس، إن أحد رجال الاستخبارات الإنكليز اسـتطاع اقناع أحد الشبان الفرنسيين بالتعاون معه ، وكان هذا الشاب نجل أحد القناصل، ولما قبض رجال البوليس على الشاب الخائن ، اعترف أنه يعمـل لمصلحـة شخص إنكليزي ، وهذا بدوره قال :

" إنه يعمل لدائرة الإستخبارات الإنكليزية، وأنه كـان يسـعى جـاهدا لمعرفة التطورات والتحسينات الجديدة التي طرأت على سلاح الجو الفرنسـي وعدد الطائرات العاملة ومراكزها وأرقامها وغير ذلك من الأمور التي تتصـل بالطيران في مختلف فروعه وأشكاله" .

ولقد أحدث هذا الخبر ضجة عظيمة في فرنسا ، وأسرع السفير الإنكليزي ينكر علاقة دولته بالجاسوس .

كان الجواسيس الإنكليز منتشرين في كل أقطار العالم والعادة المتبعة أن لايزيد عددهم في أيام السلم في فرنسا عن مئة فقط ، ودوائر الإستخبارات في فرنسا تعرف أكثرهم ولكن أكثر هؤلاء لاخطر منهم ، وليست تزيد صلاحيتهم عن شم الأخبار من هنا وهناك .

وهناك من هم أعظم منهم خطورة وشأنا ..وهؤلاء يأتون بزي التجار والسواح ثم يعودون إلى بلادهم وقد حملوا معهم ماهم بحاجة إليه من أسرار وأخبار.

والمعلوم أن هناك في انكلترا مدرسة خاصة للجاسوسية ..يتخرج منها الجاسوس ، وقد يمضي فيها أكثر من سنة لإستعداده .

وكثيرون من شبان الإنكليز ينخرطون في سلك الجاسوسية وهم على يقين من أنهم يقومون بواجب وطني عظيم أضف إلى ذلك حب الإنكليز للمخاطرة والمكارة.

والواقع أن الإنكليز يدفعون لجواسيسهم المبالغ الطائلة التي لايحلم بها الفرنسيون .

حين كان مؤتمر فرساي يعقد جلساته في باريس ، كان أكثر الجواسيس الإنكليز في العاصمة الفرنسية ، ليتعرفوا على مطالب كل دولة أو جماعة كبيرة، قبل أن تذاع بين الناس ويعرفها رجال الدولة الأخرى .

إن القصة الأولى وقعت في باريس،ذهب ضحيتها جنرال روسي كان قائدا لحرس القيصر .

جاء هذا الجنرال إلى باريس سنة ١٩٢٠ يصحبه جماعة من أنصاره يطلب تأسيس دولة " روسية البيضاء" بين بولونيا ولتوانيا، واتخذ هذا الجنرال له منزلا في شارع بيارد ، وأخذ يسعى مع رجال الحل ، والعقد في العاصمة الفرنسية حتى تمكن من الحصول على مساعدة الرئيس ويلسون الذي دعاه لحضور مؤتمر خاص للبحث في القضية والنظر في تنفيذها ..

وكان الإنكليز لهذه الحركة بالمرصاد ..وساءهم تدخل الرئيس ويلسون لأنهم يكرهون بولونيا ولتوانيا .

وفي ساعة متأخرة من الليل دخل أشخاص ملثمون إلى منزل الجنرال وبعد أن قطعوا سلك التلفون وأوقفوا الجنرال حملوا كل مافي المنزل من أوراق ومستندات وأسرار تؤيد قضية الجنرال وأنصاره ومضوا في سبيلهم وأغرب من ذلك أن نتائج هذا السطو الليلي كانت غريبة ومفجعة ..

فعندما جاء الجنرال في صباح اليوم التالي يشكو أمره إلى رجال البوليس الفرنسي .. قبض هؤلاء عليه بتهمة التجسس لصالح ألمانيا[١].

ولم يظهر التزوير إلا بعد أسابيع (حيث ادعى البوليسس بوجود أوراق تثبت أن الجنرال جاسوسا) . وبعد أن ظل الجنرال في السجن فترة طويلة اضطر بعدها البوليسس الفرنسي إلى الاعتذار له واطلاق سراحه .

---

(١) لقد وجد المحققون أوراقا تثبت علاقة الجنرال بالألمان وكانت الأوراق مزورة تزويرا محكما . وقد بعث بها الجواسيس الإنجليز إلى دائرة البوليس في باريس .. ولما عقد البوليس الفرنسي اجتماعا للبحث في هذا الأمر قرروا على الأثر القبض على الجنرال وكان الأمر كذلك.

وكان هذا التأخير سببا في فشل الاجتماع مع الرئيس ويلسون وسببا لفشل السياسة الروسية البيضاء أيضا ..

لقد حققت المخابرات الألمانية في العهد النازي تقدما ملحوظا .. فقد كانت محطة أنقرة من أهم محطات التجسس الألمانية ضد الحلفاء . وكان أحد ضباطها من الحذاقة أنه استطاع الإيقاع بنائب السفير البريطاني في ١٣/١٠/١٩٩٤. هذا ما أوضحه "مويزيش" كبير ضباط المخابرات الألمانية عن الجاسوس الذي حمل اسما مستعارا (شيشرون) .

يقول مويزيش : لقد اتفقت مع شيشرون[١] أن يقدم المعلومات التي يحصل عليها والأفلام والوثائق الدبلوماسية على أن يتلقى مقابل كل مغلف ١٥ ألف باوند. وأن توفر مخابراتنا له الحماية في حالة الخطر داخل تركيا .

لقد قدم الألمان لشيشرون مبلغ ثلاثمائة ألف جنيه استرليني لتنفيذ عملية (القط الأسود) .

في العشرين من شهر كانون الأول عام ١٩٤٣ كان شيشرون يقف في الظلام عندما توقفت أمامه سيارة أوبل سوداء فقفز إليها فورا وسلم مغلفا إلى قائدها واستلم نقوده المتفق عليها وقفز من السيارة في حقل قريب .

يقول مويزيش :

عدت مستعجلا للسفارة وحمضت الأفلام الصغيرة التي استلمتها من شيشرون وقد عجبت للصورة والخرائط للخطة[٢] المتكاملة التي رسمها ضباط محترفون

---

(١) أصبح شيشرون من مشاهير الجواسيس في القرن العشرين لأنه قدم وثائق هدم الرايخ الهتلري قبل سقوطه بفترة ولو كانت القيادة الألمانية قد عملت بها لكان من السهل تفادي سقوط النازية .

(٢) كانت العملية تحت اسم (اكس. تو) .

لقتل هتلر بطائرة ألمانية تم تجنيد طيارها الألماني من قبل ضـــابط مخـــابرات بريطاني مقره السفارة البريطانية في أنقرة .

والغريب والعجيب في هذه الأفلام أنها أظهرت حتـــى رقـــم الطـــائرة ونوعها وإشارة بسهم أحمر يشير للقنبلة التي ستسقط على رأس الفوهرر هتلـــر أثناء انتقاله من منزله لمقر القيادة الجوية .

ورغم أني كتبت لهتلر تقريرا أوضح به ما قام به شيشرون من براعـــة وشجاعة إلا أن الفوهرر لم يعر اهتماما للموضوع كونه يكره الجواسيس .

كما أن وزير الخارجية الألماني ريبنتروب كان قد كتب للفوهرر عـــن شيشرون إلا أنه أوضح له أن شيشرون عميل مزدوج ..ولامانع من اســـتمرار عملية القط الأسود .

وذات يوم كنت في احدى الحفلات التي أكـــد هتلـــر لحضورهـــا، رن جرس الهاتف ولما رفعت السماعة قال المتحدث بالألمانية :

-أنا القط الأسود مياو..مياو..مياو.

ثم أغلق السماعة . وكان ذلك يعني أن شيشرون سيكون في الحاديـــــة عشرة في المكان المحدد في الموعد السابق للضرورة .

وعندما التقيت شيشرون استلمت وثائقه وأفلامه عن وثـــائق القـــاهرة وطهران لقيادات الحلفاء حيث عقد المؤتمرين .

وكان بامكان هتلر أن يقضي على الحلفاء لولا الشك المريــــب الـــذي زرعه وزير الخارجية بقلب هتلر نحو شيشرون .

وقد اظهرت الوثائق والخرائط على خطط الحلفاء للقضاء على هتلر عبر ثلاث مراحل (مؤتمر موسكو) الذي ضم ستالين وايدن[1] وكوردهل .

ثم مؤتمر القاهرة وضم روزفلت[2] وتشرشل[3] وشيان كاي شكك .

ومؤتمر طهران الذي ضم ستالين وروزفلت وتشرشل .

وكان آخر عمل لشيشرون تقريره المصور عن سفر رئيس دولة تركيا للقاهرة للقاء الرئيس الأمريكي روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل .

وقد غادر شيشرون بجواز تركي وبمساعدة المانية إلى إحدى دول أمريكا الجنوبية .

لايزال خبراء المخابرات الأمريكية يهزون رؤوسهم أسفا وعجبا لذلك الكاهن الفرنسي الذي استطاع الهرب إلى انكلترا أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم تطوع للعودة إلى فرنسا كعميل لـ (أو.س.س) (مكتب الخدمات الستراتيجية) فتلقى تدريبا شاملا ودقيقا في الهبوط بالبراشوت وحل رموز الشيفرة واستعمال الراديو والحبر الخفي وفنون التخريب قبل أن يصار إلى اسقاطه خلف خطوط الألمان في بريتاني .

---

(١) سير انطوني ايدن ١٨٩٧-١٩٧٧ سياسي بريطاني . وزير الخارجية مرارا منذ ١٩٣٥ رئيس الوزراء ١٩٥٥-١٩٥٧ .

(٢) فرانكلين ديلانو روزفلت ١٨٨٢-١٩٤٥ رئيس الجمهورية الأمريكية الـ٣٢ (١٩٣٣-١٩٤٥) كان له دور فاعل في انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية .

(٣) السير ونستون تشرشل (١٨٧٤-١٩٦٥) اشتهر بصموده الذي أسهم في انتصار الحلفاء بالحرب العالمية الثانية. حائز على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٥٣ .

وفيما هو يمشي في طريق ريفي في الصباح التالي بعد أن دفن براشوته متقيدا تماما بالتعليمات ، صادفه بالطريق أحد رجال دورية ألمانية فبادره قائلا :

أسعدت صباحا يا أبتي .

فأجابه القس بفرح :

أسعدت صباحا يا بني

سأله الألماني :

يوم جميل أليس كذلك أيها الأب ؟

فأجابه القس :

أجل ...إنه جميل .

فصاح النازي بصوت عال :

ماذا تفعل هنا في هذا الوقت الباكر ؟

فأجاب القس بكل هدوء :

إنني جاسوس ..أعمل لحساب الأمريكان .

ولحسن حظ القس أن رئيس مقاومة الجاسوسية في تلك المنطقة من أصحاب النكتة ، فلم يأخذ الأمر على محمل الجد واكتفى بزجه بالسجن حتى نهاية الحرب .

وقد اسقط بالبراشوت في جنوب بلجيكا أحد الجواسيس متنكرا بلباس فلاح ، وفيما كان يسير وراء جماعة من الفلاحين . بيد أن المتاعب وقعت عندما سأله الجندي الألماني في احدى نقاط التفتيش عن نوع عمله ؟

فرد الليوتانت إنني فلاح بلجيكي .

إن وقفة هذا الرجل وانتصاب قامتــه تدلان على أنه جنـــدي بعكــس الفلاح ذي الأكتاف المنحدرة من حراثة التربة .

وتم القبض على الليونانت وعذب بــوحشية ، ولكنه لـــم يبــح بأيــة معلومات لهم ..كما لم تنجز المهمة التي انيطت به .

وقد اقدمت احدى عميلات المخابرات البريطانية وهي عاملـــة راديــو شقراء على ترك عملها لأن رئيسها رجل لايحب الرقص .

غادرته والتحقت بشبكة تجسس بريطانية أخرى . ولما عـــثر عليــها رئيسها الأول ضربها ضربة أعادت إليها صوابــها فعادت إلى وظيفتها لديــــه فورا وأصبحت عشيقة له .

لقد كانت هذه الشقراء من طراز تلك النســوة اللواتي عنـــاهن نويــل كوارد بقوله المأثور :

"إن معظم النساء مثل الناقوس الصيني ..يجب أن تضرب باستمرار".

أما مسألة الجنس فهي لعبة خبيثة وخطرة بالنسبة لرجل المخـــابرات . ولايزال رجال (مكتب ديكسيم) وهو فرع مقاومة الجاسوسية في المخــــابرات الحربية يذكرون التجربة الغريبة التي مر بها ضابط المدفعية الوسيم الذي نـــال عطلة أيام يقضيها في المدينة التي تبعد عشرين ميلا خلف الخطوط الأمامية .

وقدره أن يلتقي بممرضة باريسية فاتنة تقيــم بنفس الفنـــدق الصغــير الذي نزل فيه . وفي الليلة الأولى التي التقيا بها اكتشـــف الضابط أنـــها تجيــد أشياء أخرى .. وتؤديها بعزيمة لاتعرف الكلل طوال الليل .

جعلت ضابط المدفعية ينسى كل شيء عن الحرب والألمان وقصف بطارياتهم الموجهة بدقة غير عادية .

وكان الصباح على وشك البزوغ عندما بدا أن الممرضة الفاتنة قد اكتفت فجذبت رأسه وضغطته على صدرها وغمغمت باعزاز :

" آه ليبشن ... آه ليبشن " كررت كلمتها بسعادة ونشوة ...

لم يكن الضابط ممن يفك الطلاسم ..

ارتدى الضابط ثيابه وانسل من الفندق ليبعث بتقرير عن تلك الحادثة إلى مكتب مكافحة الجاسوسية الفرنسي . وسرهم غيرته وولاءه للواجب خاصة بعد أن ألقى رجال المباحث نظرة على الفتاة .

واكتشفوا أنها لم تكن ممرضة ولا هي باريسية بل جاسوسة ألمانية ماهرة انتهت حياتها باعدامها رميا بالرصاص .

وقد حدث مع عميل مكتب الخدمات الاستراتيجية الذي اسقط في فرنسا وقت الإحتلال النازي ليفو وأفراد "الماكويز" في حرب العصابات ضد جيوش الإحتلال.

وتبين له أنه بعد كل غارة على الإنشاءات الألمانية يعقبها جولة تفتيش مفاجئة ومجزرة يتعرض لها أهالي المقاتلين .

أخيرا لاحظ العميل أن معظم أفراد المقاومة يهربون رسائل إلى ذويهم تقوم بنقلها صبية فاتنة تدعى "رينيه " كانت عشيقة قائد " الماكويز " المحلي .

وضرب الأمريكي موعدا مع (رينيه) وخرجا للتنزه في سيارة، وعلم منها أن عشيقها الأول كان جنديا المانيا ولكنه لاقى حتفه .

ولم يلبث العميل الأمريكي أن يشرع يغازلها كما توقعت . بعد بضـــع ليال أخرى مارسا الحب في السيارة ..ثم أخذا يرتشفان الكونياك من زجاجـــة معهما .

واستطاع الجاسوس الأمريكي أن يدس مخدرا في كأسها ليتســـنى لـــه تفتيش حقيبة يدها وعثر على أكثر مما توقع .. إذ كانت الفتاة من الغباء لدرجـة أنها حملت في حقيبة يدها بطاقة انتسابها إلى الجستابو .

وأقدم العميل على العمل الذي يترتب عليه فعله في مثل هذه الحالة .

فأطلق الرصاص على رأسها ثم دفنها .

أمـــا قصة عميل قسم مقاومة الجاسوسية في الاسكا .. فأنه لـــم يجـد متسعا من الوقت لمجرد التفكير بالامر .. فقد كـــانت بطاريـــات " ويرفمنـــت" تصلي بنيران مدفعها المدينة التي اتخذها أحد الفيالق الأمريكية مركزا لقيادته ..

كانت القذائف تنصب على مستودعات الذخيرة فتدمرها . ونشط فريـــق خاص من رجال مكافحة الجاسوسية وراحوا يجوبـــون المدينـــة . وســـرعان ماالكتشفوا أن ثمة جهازا لاسلكيا يعمل كل ليلة ..

وكان صائدي الجواسيس يقيم في بيت كبير مريح في منتصف المدينـــة حيث نزل ضيفا على مالكه الوجيه ..

وسرعان ما أصبحت ابنة صاحب المنزل الفاتنة عشيقة للرئيـــس منـــذ الليلة الثانية لوجوده في البيت.. وفي الليلة الخامسة تمكن متتبعـــو الإشـــارات اللاسلكية من تحديد المكان الذي ينبعث منه الإرسال الســـري .وذهـــل رجـــال مكافحة الجاسوسية بما فيهم رئيسهم عندما اتضح لهم أن جهاز الإرسال السري

موضوع في البيت الذي يقيم فيه رئيسهم.

وعندما اقتحموا باب العلية وجدوا صاحب المنزل يجلس إلى الجهاز. يبث رسائله وإلى جانبه تقف ابنته الفاتنة التي اسرعت تخرج مسدسا كانت تخفيه في درج مكتب هناك . فما كان من عشيقها إلا أن أطلق الرصاص عليها في الحال من رشاشه الاوتوماتيكي فأرداها قتيلة .

فإذا ذهبنا لليابان نجد أنها ارادت إنشاء شبكات تجسس لها في الصين في أوائل الثلاثينيات ..

أنشأت حلقة من دور البغاء على جانب رفيع من اتقان الصنعة ، كان جميع موظفيها ومدرائها عملاء سريين كرسوا وقتهم لتملق الزبائن الصينيين واستلال المعلومات منهم .

وصدرت الأوامر إلى جواسيس اليابان الذكور العاملين في الصين بأن يرتادوا تلك الدور لقضاء وطرهم فيها ..

إذ انهم يكونون فيها آمنين على حياتهم من جهة ويستطيعون ارسال تقاريرهم السرية عن طريقها إلى طوكيو من جهة أخرى .

والسؤال يتردد : "ما هي مؤهلات الجاسوس"(١) ؟

يتعين على الجاسوس أن يكون قوي الملاحظة ، يمتلك ذهنا تحليليا. ومن الاختبارات الألوى التي يمر بها المرشحون للعمل في الجاسوسية عند دخولهم المدرسة المضروب حولها حراسة شديدة في منطقة "س" بفرجينيا" .

---

(١) عالم التجسس ، سعيد الجزائري.

الاختبار الأول المعروف بـ "الممتلكات الخاصة" أو الأغراض التي تتعلق بالأشخاص . يؤخذ المرشح إلى غرفة ويمنح عشر دقائق ليدرس خلالها محتويات الغرفة لكي يقرر شخصية ساكن الغرفة السابق ومعرفة السبب الذي جعله يترك الغرفة.

ولسوف يجد الجاسوس النبيه المفكر ستة وعشرين قطعة أو أداة تشير إلى "حقيقة" أن شاغل الغرفة السابق كان عالما نفسانيا من منطقة "س" نفسها .

وكان له علاقات جنسية كثيرة وإنه هرب عندما بلغه أن عملاء العدو على علم بعلاقاته هذه وإنهم شرعو بتهديده والتشهير به .

يقول عالم النفس "وليم ج. مورجان" عما حدث مع عميل فرنسي محنك، يقول :

إن الجاسوس الفرنسي عثر على القائمة الحقيقية في نفس الوقت الذي أطلق فيه صاحب الحانة صيحة الإنذار ، ولكن العميل لم يفر من الباب الخلفي .. وبعد دقائق عثروا عليه مختبئا في السقف ، وأجاب موضحا هذا التصرف بقوله :

"إن صاحب الحانة هذا يدعي إنه صديقي .. بيد أن صديقا يطلق تحذيرا بصوت عال كهذا .. فلا شك إنه يحاول خداعي .. حيث إنه يريد إعلام البوليس بمكان وجودي . فقررت أن لا أصدق كلمة مما قال ، وأن لا اتبع أية نصيحة قدمها لي" ونال هذا العميل درجات عالية لفطنته هذه .

ولكنك كيف تتصرف إذا قبض عليك رجال مقاومة الجاسوسية بالفعل ؟

وإذا امسكوا بك متلبسا بجريمة سرقة معلومات ؟

إن الجاسوس المتفوق القدير ، عليه أن يحاول تبرير موقفه بأن يستنبط على الفور تفسيرا منطقيا أو شبه معقول يبرر سبب وجوده في هـذه المنطقة "المنطقة المحرمة" .

في أمسية الثالث والعشرين من اغسطس سنة ١٩٤٢. دخل "كلايتـون" الجاسوس الأميركي كازينو "دل كورال" في الارجنتين وهناك التقـى "غـبريل ماريتنيز جينارو" صاحب الكازينو الذي مد يده مصافحا ثم مدها إلى داخل أحد أدراج مكتبه وأخرج مغلفا أبيض ودفعه عبر سطح المكتب إلى "كلايتون" الـذي قبضه وأخرج من داخله ورقة نقدية مجعدة من فئة عشر دولارات أميركية مـن فئة ب ذات الرقم المتسلسل ج ٧٩٦٥٩٨١ هـ . وتحمل ختـم اصـدار بنـك الاستيداع الفدرالي فرع شيكاغو .

وقال جينارو :

"إنها ما تدعونه أنتم الأميركان بالعملة المزيفة ؟! " .

أطرق كلايتون قائلا :

"إنها متقنة التزييف !" .

لم يكن اختيار "كلايتون" من قبل رؤسائه في واشـنطن لـهذه المهمـة ضربة عشوائية .. "فكلايتون" مفتش سابق في مصلحة الخزينة.وبالإضافة إلـى أنه يعمل في قطاع أميركا اللاتينية . فإلى جانب اتقانه الأسبانية فإن "كلايتـون" على دراية وخبرة واسعة بالعديد من بلدان جنوب أميركا ووسطها .. وخاصـة الأرجنتين .

وفي يوم وصوله إلى "بوينس ايرس" زار "كلايتون" رئيـس المكتـب المحلي السيد أ.ج. ويلر.وبعد وقت قصير قضاه بالأمور التمهيدية والتحضيرية

أخرج ويلر ورقة نقدية من فئة عشرة دولارات أميركية من خزانة المكتب وطرحها أمام "كلايتون" بدون تعليق .

كانت صورة "هاميلتوز" واضحة ومتقنة الصنع بشكل غير مألوف لدى سائر المزيفين وكانت هذه القطعة حقيقية من جهة الأرقام العددية أيضاً، وأجرى "كلايتون" إبهامه بخفة فوق الورقة النقدية فلم تترك أية رواسب من الجر عليه . كما كان صنف الورق ممتازاً. أما النظرة الثانية المدققة فقد كانت قد كشفت من العيب الأول . إذ كانت أحرف كلمة States أي (الولايات) المطبوعة فوق صورة هاميلتون مضغوطة قليلاً .

وعندما فحصت الورقة بعدسة اليد المكبرة ظهر جلياً أن حوافي الحرف (S) الأخيرة قد استدارت أكثر من كونها زوايا مسننة مستدقة الرأس .

وهز كلايتون رأسه قائلاً :

"ورغم هذا العيب فإنها من عمل خبير حاذق ، فماذا يتعين علينا أن نفعل"؟

كان ويلر قد علم من مصدر موثوق ومقرب من السفارة الألمانية في "بونس أيرس" إن الكليشهات المزيفة في حوزة عصابة ارجنتينية ويملكها رجل يدعى "بيوروميالود" .

واشتبه يلر بأن العصابة تبيع العملة المزيفة للألمان بسعر رابح وإن الدفع يتم بالذهب .

ومفهوم بداهة إن الألمان كانوا بحاجة ماسة للدولار الأميركي . ليدعموا شبكات التجسس العاملة في المدن الرئيسية في الولايات المتحدة .

كما أنه لم يعد سراً بأن منظمة الـ "ابوير" و "مكتب الاستخبارات الألماني" كانت تريد وضع خطة تستيطع من خلالها تحطيم الاقتصاد الأميركي.

ومضى ويلر يقول :

"وأول ورقة نقدية مزيفة ظهرت في كازينو جينارو الذي يرتاده أناس من مختلف الطبقات ابتداء من اللصوص ورجال العصابات وانتهاء برجال الدولة" .

وإن "ريوروميالو" رئيس عصابة التزييف الأرجنتينية لا يزال مشتبهاً به. فقال "كلايتون" :

"إن هذا لاقى مصرعه منذ يومين في زقاق بمدينة افيلاندا" .

وكتب "جينارو" اسماً وعنواناً على ورقة أمامه ثم ناولها إلى "روميالدو" وتدعى "ميراندا مونتالفو" وهي راقصة في نادي هابانا .. وستقابلك إذا اوعزت أن إليها بذلك . فلعلها تقود خطاك إلى شيء ما .

ووافق كلايتون وأضاف قائلاً :

"ولكن لا تذكر لها قط مصدر علاقتي" .

"أنا مجرد رجل أعمال أميركي" .

دخل كلايتون نادي هابانا .. وهناك أعلن المذيع عن ميراندا مونتالفو راقصة الستربتيز.

وبدأت بالرقص ومالت بجسدها الطري إلى الوراء بانحناءة شهوانية وومضت أسنانها البيضاء من بين شفتيها المنفرجتين . ولم تلبث أن استقامت بحركات رشيقة متعرجة. (الرأس ملقى إلى الخلف والذراعان مرفوعتان بأغراء وعضلات جسدها ترتعش بنشوة وطرب .. واستمرت ضربات الطبل

تزداد بسرعة محمومة الإيقاع وفجأة ركعت ميراندا علـــى ركبتيـــها . ولــدى الصوت الضاج الأخير نزعت النجعتين عن نهديها واحنت رأسها فوق صدرها .. وهنا اختفت دائرة الضوء وساد المسرح الظلام .

وبعد عشر دقائق انضمت ميراندا مونتالفو إلى مائدة كلايتون ولكنـــها كانت ترتدي ثوب أزرق مكشوف الصدر .

وبعد عدة لقاءات قادته إلى شقتها الكائنة في شارع فلوريـــدو. وبعــد أسبوع من مصرع "روميالدو" اقتحم بعضهم شقة ميراندا وفتشــوها بدقــة ثــم نهبوها . فارتاعت ودب الرعب والخوف إلى قلبها وآثرت الانتقال إلـــى شــقة أخرى .

وبعد أسبوع تالي تكرر الشيء نفسه .. فانتقلت إلى بيتها الحالي. وقــد خطفت بعد ذلك .

ورغم اختطافها وتهديدها بألا تلتقي كلايتون إلا أنــها أعطتــه مفتــاح المؤامرة السرية التي دبرها هتلر لإخراج أميركا من الحرب العالمية الثانية .

وهكذا ذهب كلايتون للبحث عن أسرار التزييف فعاد بمفتاح المؤامـــرة السرية التي دبرها هتلر لاخراج أميركا من الحرب العالمية الثانية والتي كــان لها الأثر في سير مجرى تلك الحرب لصالح أميركا من جهة والحلفاء من جهــة أخرى .

هل سمعت عن اسم إيفا بارنيت تروفوكا ؟

إنها الجاسوسة الألمانية التي دوخت المخابرات البريطانية في القاهرة.

هذه الجاسوسة التي عاشت قصة حب جنسية مع التوأمين المصريين[١] أحمد وعبد الله وجعلت من شقتيهما مركزاً لاتصالها بثعلب الصحراء رومل[٢].

إنها أعظم جاسوسات المحور في القاهرة .. فمن هي هذه الجاسوسة ؟.

لندعها تتحدث عن نفسها . . تقول ايفا :

إنني من الرعايا البريطانيين ، ولدت في تشيكوسلوفاكيا وتزوجت من رجل إنكليزي . وعندما مات زوجي تبناني رجل أعمال إنكليزي أيضاً ولكنه متقدم في السن . كانت مكاتب إدارة أعماله في مدينة براغ .

وعندما اندلعت الحرب اعتقل هذا الرجل . كانت هذه نفس القصة المزيفة التي رددتها مئات المرات .

منذ خمس سنوات وفي عام ١٩٣٧ تحديداً كنت تلميذة رصينة ومحتشمة ذات ضفائر طويلة ، أحمل كتبي وأمضي في طريقي إلى المدرسة في حي كوينجستيراس ببرلين .

لم أكن فتاة عذراء فحسب بل تلميذة من الطبقة المتوسطة ، لم يسبق في حياتها أن تلقت سوى قبلتين وهي في السابعة عشر من عمرها .

كنت ابنة عضو مجلس شورى المدينة .. فتاة هادئة تؤدي وظائفها وتحفظ دروسها وتطيع أوامر والدها الصارمة فالحياة الجنسية المتساهلة ومذهب عبادة اللذة والبهجة التي الآن أعيشها لم تكن تخطر في بالي قط .

---

(١) إن والد التوأمين موظف رسمي كبير في الدولة وعلى علاقة طيبة مع الحلفاء والتي استخدمت صندوق سيفون الحمام البورسلان في شقتهما وحملته مكاناً مناسباً لأخفاء جهاز الإذاعة بداخله دون أن يعلما .

(٢) أرفين رومل (١٨٩١-١٩٤٤) مارشال الماني . قاد الحملة على أفريقيا . وفشل في معركة العلمين . أرتاب هتلر باخلاصه فأمره بالإنتحار .

وكفتاة غيورة على وطنها ، لم اتردد باعطاء "رايخ هتلر" المكافح ما طلبه مني كنت أتوقع أن أتزوج واستقر في سن مبكرة مثل جميع من أعرفهن ولكن عندما انتخبت في عام ١٩٣٨ من بين مئات من زميلاتي في المدرسة لأتلقى تدريباً في الجاسوسية لدى "الأبوير" لم أمانع فقد كنت على استعداد لأن أمنح حياتي فداءً لألمانيا.

وبعد أن مررت في اختبارات مضنية ، أرسلت إلى مدرسة "ادميرال كناريس" للجاسوسية في برلين ، حيث تخصصت بنقل الرسائل بالراديو ..واستعمال الشيفرة وحلها والنواحي الفنية في صنع الراديو .. وكيف اصنع جهاز ارسال ، بحيث يكون حجمه بحجم صندوق السكائر . وتصاميم هذا الجهاز معقدة ، فكان التلاميذ يزودون بطبعة التصميم الزرقاء مصورة بالميكروفيلم ويكون هذا الفيلم متناهياً بالصغر وبالإمكان لصقه في ساعة اليد وكان المنهاج يتضمن إلى جانب دراسة الراديو ، تعلم اللغة الإنكليزية والتشيكوسلوفاكية واجادتهما .

وقد ألممت بالتقاليد العسكرية البريطانية ومعرفة الوحدات والتشكيلات وعندما بدأت حملة غزو شمال أفريقية حفظت عن ظهر قلب صورة وجوه مئات الضباط البريطانيين الكبار وأحوالهم .

هؤلاء الضباط الذين يرجح تسلمهم قيادة جيوش الحلفاء في الصحراء .

ودرست أيضاً تاريخ شمال أفريقيا ونيوزيلندا وطبيعتهما وأشكال البدلات الرسمية وأوسمة الضباط ورتبهم .

وفي أحد أيام شهر ديسمبر سنة ١٩٤٠ أدخلت إلى مكتب الادميرال كناريس الذي هنأني على سجلي الرائع ثم قال :

أيتها الآنسة بارنيت ..لقد انيط بك عملاً في غاية الأهمية . إن الفيلد مارشال رومل يرسم الخطط للاستيلاء على القاهرة قبل نهاية الصيف القادم .ويجب أن يكون لدينا جواسيس عاملين داخل المدينة لكي يزودوه بالمعلومات التي يحتاج إليها وستكونين واحدة من بين عملاء عديدين من الجنسين يعملون هناك ، لا أحد يعرف هوية الأخر.

إن الجيش البريطاني وقد أوهنت عزمه الهزائم التي الحقها بها رومل وفيلقه الأفريقي إلا انها ظلت بعيدة عن الإبادة والفناء ، فلا زال البريطانيون يحتفظون بالرجال والعتاد ، ومهمتك هي تزويد الجنرال رومل بمعلومات عن قوة الجيش الذي سوف يرسلونه في المعركة وإحاطته علماً بمعداته وبالمواقع التي سينشئ فيها خطوطه الدفاعية ، وسيكون من المفيد لو عرف رومل عدد الوطنيين الأحرار داخل الجيش المصري وما إذا كان عددهم كافياً لأحداث ثورة لتهب لنجدته ابتداء المعركة في الدلتا .

فقالت إيفا :

أتصور أن اتصالاتي اللاسلكية ستكون مع محطة لاقطة في الصحراء وليس في برلين ؟ ! .

قال كناريس :

نعم ... وستستعملين شيفرة خاصة وستغادرين برلين في شهر ابريل القادم بعد أن تمضين ثلاثة أشهر أخرى في التدريب والتمرين .

قالت إيفا مستفسرة :

هل لي أن أعرف نوع تلك التدريبات والتمارين ؟

ابتسم كناريس قائلاً :

ستكون تمارين في كيف تكونين امرأة فاتنة ..وتدريبات عن كيفية ارتدائك للثياب وكيف تتحدثين، باختصار كيف تغرين الرجال وتفوزين بحبهم وبهذا تكسبين ثقتهم .

إنك فتاة جميلة ذات قوام رائع ، ولست بحاجة كما أرى إلي كثير من الخبرة لإجتذاب الرجال .

وخفضت ايفا بصرها إلى الأرض وقالت :

انني أعترف بذلك أيها الأدميرال .

قال كناريس :

إنني واثق انه حالما تنتهي تلك التمارين والتدريبات سيكون بمقدورك الفوز على الجنرال " ويفل " نفسه .

وكانت المناهج النهائية التي تلقتها ايفا غريبة في نوعها حقاً فقد لقنت كيف ترتدي العباءات الباريسية ، وكيف تضع المكياج بأساليب فنية تزيد من جمالها وفتنتها الطبيعية . تعلمت كيف تتدلل وتغنج وتغازل وكيف تأرجح بأغراء عندما تمشي عبر الغرف .

تعلمت الرقص وفن محادثة الرجل الذي يكون اهتمامه الوحيد هو الحرب والأمور العسكرية ..تعلمت كيف تمسك كأس الشراب برشاقة وترتشفه بأناقة ..

وفي ليلة تخرجها أخذت إلى احدى فنادق برلين يرافقها شاب وسيم فارع الطول خبير بفنون الحب. وفي التقرير الذي قدمه في صباح اليوم التالي أكد أن الآنسة بارنيت قد اجتازت الإمتحان بتفوق عظيم .

وبعد أيام لاحقة استلمت ايفا وثائق رسمية تثبت بأنها كـــانت يومـــاً مواطنة تشيكية وهي اليوم من رعايا بريطانيا .

وخاطبها مدير مدرسة الجاسوسية :

ستغادرينا إلى بودابست ومن هناك تبرقين إلى السفير البريطاني فـــي انقرا تطلبين فيزا بوصفك لاجئة بريطانية .

وألقى إليها الكولونيل برزمتين كبيرتين من النقود واستطرد قائلاً: هــذا مبلغاً كبيراً ..كله جنيهات حقيقية ..ومهما كان الأمر عليـــك أن تطلبـــي مــن القنصل البريطاني أن يخصص لك منحة شهرية قدرها (١٥٠) دولار .

إذ ان القنصل يرتاب بالناس الذين ليسوا بحاجة لنقود .

ومكثت ايفا في بودابست فترة قصيرة ريثما وصلتها الفيزا من تركيــا. وفي انقرا اتصلت بالقنصل البريطاني الذي وافق على المنحة الشهرية ..

كانت رحلة قصيرة قطعتها من انقرا إلى القاهرة حيث استأجرت شـــقة متوسطة في الطابق الثاني عشر من عمارة الملكة فريــدة، وهي عبــارة عــن شقق مفروشة للإيجار في وسط المدينة حيث تكون قريبـــة مـــن الشـــخصيات الحليفة .

ففي الطابق الذي تحتها مباشرة كان يقيم (١٥.) ضابطاً من الجيـــوش الاوسترالية والنيوزيلاندية .

وقضت ايفا أيامها الاولى ترتاد المتاجر والمحلات لشـــراء الملابــس الفاخرة وخزانة للثياب أنيقة . ثم استقرت وبدأت بالعمل . ولم تلق أية مشـــقة للإتصال بالضباط المقيمين في عمارة الملكة فريدة ، إذ انها كانت واحدة مـــن

نسوة قلائل يعشن هناك غير مرتبطات أو عالقات بحـــب شـــخص معيـــن. وبالتأكيد كانت أكثرهن جمالاً وجاذبية وأناقة .

سرعان ما أصبح جرس هاتفها لاينقطع عن الرنيـن، فقد تلقـت فـي ليلتها الرابعة في القاهرة أربع دعوات للخروج .

وطالب ضابطان برتبة ليوتانت منحهما شرف تقديم الكوكتيل لها علـى حسابهما .

وأول موعد كبير ضربته كان مع ملازم أول من خارج سـكان بنايـة الملكة فريدة ، لأنها لم تشأ أن تعطي عنها أية فكرة سيئة .

وصحبها الملازم أول للعشاء في فندق شيبردا الشهير ، وكان الفنـــدق يعج بضباط الحلفاء القادمين من حرب الصحراء لقضاء اجازاتهم القصيرة .

وجلس إلى موائد منفردة رجال أكبر الظن أنـــهم أو بعضـــهم عمـــلاء نازيين والبعض الآخر عملاء للحلفاء .

وعندما رجعا إلى شقتهما أوضح الليوتانت أنه يرغب بقضـــاء الليــل معها.ولكن ايفا أغلقت الباب بوجهه . إن هذا التصرف كفيل بأن يشيــع عنــها انها امرأة افاقة ولكن هدفها العاجل كان اكتساب شهرة تجعلها معروفـــة لــدى الناس وبذلك تجمع حولها حلقة كبيرة من الأصدقاء وكان هدفها الثاني العثـــور على مكان تقيم فيه جهاز اللاسلكي المرسل واللاقط الذي تخفيـــه فـــي الوقـــت الحاضر في تجويف سري بأحدى حقائبها .

فعمارة الملكة فريدة مكان غير مناسب لمحطتها السرية. فثمة اشـخاص كثيرون يتعاطفون مع المحور يقيمون بالفندق . وإذا حـــدث والتقـــط جـــهاز

الانذار البريطاني أية إشارات لاسلكية صادرة عن فندق الملكة فريـــدة فأنـــهم سيقومون بتفتيش جميع الشقق والغرف .

كانت ايفا تخرج للسهر في أشهر ملاهي القـــاهرة ، وكـــان ضبـــاط الحلفاء يرافقونها إلى حفلات تقام بالبيوت العائمة الفخمة الراسية على ضفـــاف النيل .وقد اتخذ كثير منهم مثل ضباط الأركان وقادة جيوش الحلفاء بعض تلـــك البيوت العائمة مسكناً لهم . كما أن كثيرين من هؤلاء الضباط كانوا يأتون إلـــى حفلاتهم التي تقيمها بعمارة الملكة فريدة .

ولم يمض وقت طويـــل من الزمن حتى عرفت ايفا انها فتـــاة شـــديدة الغيرة على البلد الذي تتبناها وتـــرعاها ..وأنها فتـــاة لطيفـــة ترفـــض هدايـــا ودعوات الرجال الذين تتعارض مصالحهم مع الحلفاء والرجال القلائل الذيـــن حالفهم الحظ وأصبحوا من عشاقها اخذوا يمتدحونها في أحاديثهم واجتماعاتـــهم وبات الجميع يعرفون أن ايفا فتاة مجتمع ترتاد الحفلات باستمرار ولكنها أبعـــد من أن تكون امرأة رخيصة ..وتلك شخصية تفرض على الرجال احترامها .

وفي نهاية شهرها الأول في القاهرة واجهت أولى بوادر الحظر .ففـــي احدى الليالي كانت تجلس في فنـــدق شيبرد مع أحد الضباط وبعد برهـــة مـــن ذهابه إلى دورة المياه ، مر بمائدتها رجل اسقط ورقة صغـــيرة فـــي منفضـــة السجائر أمامها ففتحتها بحذر وقرأت :

قابليني لدى المدخل الجنوبي في الحال .الأمر يتعلق بسلامتك .

ذهبت إلى المدخل الجنوبي واقتربت من رجل طويل القامة كان يقـــف تحـــت قنطرة المدخل. فبادرها بلهجة رقيقة :

اسعدت مساء .. سأشعل عودا من الكبريت وأدنيه من ساعة رسغي .. عندما أفعل ذلك تطلعي إلى الرقم المدون على وجهها .

فعلت كما طلب مني .. كان الرقم المسلسل لساعة الرجل ي ٤٦١٥٢ وكان رقم هويتها ي ٣٨٢٦١. لقد حذروا في "الاوبوير" أن لاتثق بأحد. ربما كان هذا الرجل عميلا بريطانيا ألقى القبض على جاسوس الماني تحمل هويته الرقم ٤٦١٥٢ . وهو الآن يستعين بها للتدقيق مع الناس الذين تشتبه بهم المخابرات البريطانية .

وسألته ايفا ببرود :

ماذا تريد ؟

فأجاب :

لقد تبدلت الخطط . وستنفذ العملية بطريقة أخرى مغايرة للتعليمات التي لديك. ومن الآن فصاعدا سترسلين معلوماتك إلي مباشرة . انني ادعى هاسر .

كان حديث الرجل عموميا .

فبادرته ايفا قائلة :

عفوا .. لا أعرف عما تتحدث . وعادت لمائدتها .

وفي نهاية الأسبوع التقت بالتوأمين المصريين ، وفي غضون ٢٤ ساعة كانت قد أقامت جهازها السري في شقتها. وأصبحت على استعداد للإتصال بمحطة رومل في الصحراء حسب التعليمات التي تحملها .

وكان مابقي عليها هو جمع المعلومات الثمينة خلافَ المعلومات الروتينية التي حصلت عليها من ضباط الحلفاء الذين عاشرتهم وشاركتهم الفراش .

وكان ثمة ضابط بريطاني برتبة ميجور يدعى " بويس بورتر " متيماً بحبها بشكل قوي .. ظل طوال أسابيع يتملقها ويهديها الزهور والهدايا ، وقد ذهب به الغرام إلى التحدث عن الزواج بعد انتهاء الحرب .

لقد كان من ضباط الأركان مزوداً بمعلومات وأسرار حربية ثمينة ، فاذاً كان عليها استخلاص أية حقائق منه .

وفي صباح الثاني عشر من يوليو ١٩٤١ طرق الميجور بويس بورتر شقة ايفا. وكان يرتدي لباس المعركة. ويحمل حقيبة جلدية تحت ابطه وتلقته مجيبة :

ألا تود الدخول ياهاري .

قال بويس وهو يدلف :

لن أستطيع المكوث أكثر من دقائق ياعزيزي .

وأخرج من جيبه علبة صغيرة . فتحتها ايفا لتجد عقداً ماسياً يبهر الأبصار .

وهتفت بصوت متقطع :

اوه هاري ما كان يجب أن تكلف نفسك .

فأجاب الضابط :

أوه ... انك لتستحقين أكثر من ذلك . إنني في طريقي إلى مركز القيادة (قيادة الجنرال كاميل) قرب سيدي رزق لتوصيل رسائل هامة. ولا أدري إن كنت سأعود من هناك . لذا رغبت في أن اراك قبل ذهابي .

فهمست ايفا بأذنه ...

وأكل بورتر الطعم، وشرب كأساً وآخر ثم مضى مع ايفا إلى الفـراش. وفيما كان مستغرقاً بالنوم من أثر المخدر الذي وضعته له ايفا بشرابه .

فتحت ايفا حقيبة الرسائل واطلعت على محتوياتها . فشهقت لما وقـع عليه نظرها ..

فقد كانت تحمل كلمة سري جداً . وكانت الرسائل تذكر اسم وتصنيـف لواء حربـي جديد في طريقه إلى الجبهة لمساندة القـوات البريطانيـة ودعـم موقفها وكان التقرير مؤرخاً بالثامن عشر من يوليو ويذكر بأسهاب المعـدات والذخائر والمـدافع التي يحملها . ويشير إلى الإستراتيجية البريطانيـة بشـأن عملية (كروسيدر)أي الحرب الصليبية التي عليها أن تتحـرك عرضـاً عـبر الحدود من مادلينا بقصد عزل جحافل رومل في سوليم وبارديا . واذا وصلـت هذه المعلومات إلى رومل فسيكون بوسعه سحق هجوم الحلفاء وعلـى عجـل أنشأت ايفا تنسـخ المعلومات ثم أعادت الرسائل إلى الحقيبة . وفـي غضـون ساعة استفاق بويس بورتر وكان في طريقه إلى مركز قيادة كامبل .

واقيمت بعد ثلاث ليال حفلة في شقة التوأمين المصريين رقصت فيـها رقصة مصرية بين أهازيج الحاضرين واستحسانهم ، وعند السـاعة الحاديـة عشر أعلنت ايفـا أن الطقس حار أنها ستدخل الحمام لأخـذ دوش ، وأغلقـت الباب خلفها بإحكام وفتحت الدوش على آخر مدى ثم رفعت غطـاء صنـدوق السيفون البورسلان وأخرجت جهاز اللاسلكي الموضوع في صنـدوق مـانع لتسرب الماء وأسرعت تدق إشارة المناداة . وانتظرت ولكنها لم تتلق جوابـاً .. فكررت مناداتها .

وأرسلت مناداتها للمرة الثالثة ولا من جواب والرابعة والخامسة ..

وظلت تدق جهازها بيأس وقنوط .

وغادرت ايفا الشقة وأشارت إلى سيارة أجرة واستقرت بالمقعد الخلفي وهي تعض شفتها . ماذا بحق السماء قد حدث ؟ هل فشلت في اجراء اتصال مع مركز تلقي المخابرات اللاسلكية بسبب خطأ ناتج عني ؟ هل ثمة عطل في جهازي اللاسلكي؟ أم أن المهندس رومل متهاون في أداء عمله ؟

لم تعرف الجواب إلا قبل ساعة من موعد اتصالها بمركز الاصغاء المقام على سيارة متحركة .. لقد التقت به دورية حليفة وفتحت عليه نيران رشاشاتها واستطاع معظم الالمان الذين كانوا بداخل السيارة الهرب تحت جنح الظلام ، ولكنهم تركوا ورائهم معداتهم .

ومن سوء حظ رومل أنه لم يتسلم تلك المعلومات القيمة ... التي كانت كفيلة بإفساح المجال أمامه لكسب معركة مهمة للغاية .. ففي غضون أيام قلائل احتل البريطانيون سيدي رزق المنطقة الحيوية التي تقع جنوبي شرقي طبرق .وأصيب البريطانيون بخسائر كان من ضمنها الميجور بويس بورنر .

وبعد مرور ليال قليلة ، تعرفت ايفا بصحافي نرويجي يدعى نيزبورنستاد . وقام نيز بلعبة فورية مع ايفا . اذ اتصل بها في اليوم التالي مرتين وارسل لها الزهور ، وراح يغازلها باستمرار ويوليها اهتمامه ولم تجد ايفا في تصرفه غرابة ومضى اسبوعان قبل أن تتمكن ايفا من الإتصال بمركز الصحراء . وظلت تزود المركز طوال شهرين بالمعلومات الهامة التي تحصل عليها .

وكان التوأمان في غاية السعادة لحضور ايفا جميع حفلاتهما وقد اصطحبت معها الصحافي بورنستاد إلى شقة التوأمين مرة أو مرتين. وأبدى

اهتماماً كبيراً بفترات غيابها الطويلة داخل الحمام .

وفي ذات مرة لمحت ايفا وهي في فندق شيبرود والصحافي نيز يجلس مع فريق من الضباط البريطانيين ذوي الرتب العالية . فساورها الشك بأمره .فاستأجرت مخبراً خاصاً لملاحقة تحركات النرويجي . ولم يمض وقت طويل حتى كشف تقريره بأن نيزبونستاد مواطن نيوزلندي يدعى ماكيندر ويعمل في الإستخبارات السرية برتبة ميجور . واشتهر بأنه رجل داهية لا يرحم .

واستولى الرعب على ايفا وقررت قطع علاقتها بالصحافي . ولما فاتحته بأنه لامستقبل يرجى لعلاقتهما .

انفجر ماكيندر قائلاً :

" أيتها الحمقاء الصغيرة .. لقد نفذ صبري! أنت لاتعرفين من أنا، أنا بوسعي أن أحيل حياتك إلى جحيم .. أو أن أضعك بالسجن ؟ فمن الأفضل يا ايفا أن تغيري تفكيرك ! " .

قالت له ايفا بعصبية :

إنني لا أبالي بما تقول أو تفعل ! هل تسمع ؟ افعل مايحلو لك .وفي اليوم التالي لاحظت ايفا انها كانت مراقبة وأن شخصاً أبيض الشعر يتبع خطواتها أينما ذهبت .

ووقعت الواقعة مع ماكيندر بعد ليلتين لاحقتين . وكان قد اكتشف أنها أقامت حفلة دون أن تدعوه إليها . وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل حضر إلى شقتها وتعمد احداث جلبة في ردهة المدخل مما اضطرها إلى ادخاله .

ووقع نظره على جاكيت عشيقها لتلك الليلة .. جاكيت ضابط بريطـــاني مــن سلاح الدبابات ، كان قد تركها فوق ذراع أحد المقاعد .

صاح بها :

أيتها الطائشة . لا تظنني إني غير عالم بلعبتــك ! لقد حصلــت علــى مبالغ طائلة كفيلة بأن تجعلك تحيين كامرأة شريفة. واعتقد أنـــك جاسوســة نازية. ولن أقف مكتوف اليدين حيال ذلك !

في تلك اللحظة خرج كابتن سلاح الدبابات من مخــدع النوم، وســـار نحو ماكيندر متوعداً . فركضت ايفا وحالت بينهما قائلة :

لا ياروبرت .. قل له فقط أن ينصرف !

ولكن ماكيندر الذي تولاه الجزع كان قد أصبح خارج الباب ولم يكـــن أمام ايفا أن تفعل شيئاً واحداً وهو أن تتخلص من الدليل الذي يكشفها (جـــهاز الإرسال) .

وفي الليلة التالية وفيما كانت الحفلة في أوجها في شقة التوأمين أقفلــت عليها باب غرفة الحمام وفتحت الدوش . وأخرجت جهاز اللاسلكي من مخبـــأه .وفتحت نافذة الحمام وقذفت بالجهاز بكل عزمها فوق رؤوس الأسطح واتبعتــه بالصندوق الواقي من الماء .

وبالواقع لم تكن قد تسرعت في عملها هذا . إذ انه في وقت لاحق مــن ذلك الأسبوع داهم رجال البوليس شقة التوأمين . ومع أنهما فتشا المكان جيــداً بما فيه غرفة الحمام وتركيباتها إلا أنهم لم يعثروا على شيء .

وفي تلك الليلة بالذات قرع باب شقة ايفا ، ولما فتحــت البـــاب دخــل الميجـــور سانسوم رئيس المخابرات البريطانية في القاهـــرة يتبعـــه ممرضته

وبوليس حربي . وخاطبها سانسوم بلهجة مؤدبة :

أيتها الآنسة بارنيت بتروفوكا .. يؤسفني أن أثقل عليك في مثل هذا الوقت ولكن يجب أن نجري تفتيشاً دقيقاً لمسكنك ولمتاعك .

وكان سانسوم دقيقاً في عمله . فقد قلب المكان رأساً على عقب . حتى أنه فتح وسادات نومها وخلع أكعاب أحذيتها . وقامت الممرضة بتفتيش ايفا .. ولم تترك جزءاً من جسدها إلا جسته . وعندما انتهت عملية التفتيش طلب سانسوم من ايفا قائلاً:

سنأخذك إلى مركز الإستجواب في المعادي لطرح بعض الأسئلة عليك.

وفجأة تذكرت ايفا هويتها ورقمها المتسلسل وقطعة الميكروفيلم الملصق بظهر ساعة يدها .

فقطعاً سوف يجردونها من الساعة في مركز الاستنطاق وعليها أن تتخلص من الدليل الذي قد يعني إدانتها.

وسألت الميجور :

هل بوسعي دخول الحمام قبل مغادرة البيت ؟

وافق سانسوم على شرط أن تترك الباب مفتوحاً وطلب إلى الممرضة مرافقة الآنسة بارنيت .

واستطاعت ايفا بالرغم من وجود الممرضة بباب الحمام أن تتخلص من الميكروفيلم وتذكرة الهوية .

وفي المعادي وبعد استجوابها طوال ست ساعات كاملة . استأنف فريق آخر استجوابها لثلاث ساعات أخرى ورغم ذلك فشل البريطانيون في أن يدحضوا أقوالها أو أن يزعزعوا قصتها .

ولكن مع اقتــراب رومل من القاهرة. ماكان يسمح لأحد تقـــع عليــه الريبة بالتجسس أن يظل في المدينة .

فأرسلت أيضاً إلى مدينة حيفا بفلسطين. وادخلت السجن. حيث بقيـــت هناك إلى نهاية الحرب. ولما أطلق سراحها سنة ١٩٤٥ انتقلت إلـــى بـيروت وحصلت على وظيفة سكرتيرة .

وفي بيروت التقت بالرجل الذي أصبح زوجها. وهو استرالي الأصـــل يدعى جون هولند يعمل في الإستخبارات برتبة كـــابتن. وفـــي ســنة ١٩٤٦ اصطحب هولند خطيبته إلى برزيان في استراليا حيث تم زواجهما .

ولقد مضى زمن طويل على اعتراف ايفا لزوجـــها بحقـــائق حياتـــها كجاسوسة نازية .

وأصبح جون هولند ، بعد ذلك وكيلاً لرئيس المخـــابرات الأســترالية .وفي عام ١٩٥٢ . كشف عن حلقة الجاسوسية الروسية العاملة في كاينيرا .

ويعترف جون بأنه يدين بفضل ترقيته في مضمار الجاسوســـية إلـــى زوجته ايفا التي علمته الكثير مما يعرفه الآن حيث يقول :

" فقد تعلمت منها كيف القي القبض على الجواسيس الذين يكونون فـــي العادة يتمتعون بمناعة تجعل القبض عليهم مستحيلاً " .

وكالة الاستخبارات (الصينية والأمريكية والروسية) :

أثار ويليم الثاني[1] امبراطور المانيا قبل الحرب العالمية الاولى قضية الخط الأصفر في آسيا من صينيين ويابانيين . وما سوف تتعرض له أوروبا والعالم الجديد من أخطار فيما إذا استكمل هذا الخط استعداداته ، ورسخت أقدامه في الأرض الآسيوية .

ولقد صحت نبوءة الامبراطور الالماني في الحرب العالمية الثانية . وتعلم كيف استطاعت اليابان بما لديها من امكانيات عسكرية وسلاح أن تغزوا المحيط الباسيفيكي كله ، وان تستولي على كل مناطق النفوذ التي كانت في أيدي الانكليز والامريكان وبعض الدول الاوروبية الاخرى ..

إن الصين تعد اليوم سبعمائة وعشرين مليونا من السكان ، وهي تزيد عشرين مليونا في كل سنة . ومن المنتظر أن تصبح ألف مليون بعد سنوات قليلة . وقد أصبحت تملك القنبلة الذرية، ومن الآن إلى سنوات معدودة أخرى سوف تصبح عندها مخزون منها . فما هو موقف الولايات المتحدة الأمريكية من هذه القوة الجديدة التي أصبحت تنازعها الحكم والسلطات في آسيا ؟

---

(١) ويليام الثاني (١٨٥٩-١٩٤١) إمبراطور المانيا (١٨٨٨-١٩١٨م) . كان فريدريك ويليام (ويلهلم) فيكتور ألبرت هو هترولرن الثاني قيصر (إمبراطور) ألمانيا حفيدا لويليام الأول الألماني الذي جعله بسمارك امبراطورا عام ١٨٧١ . كان ويليام وقحا متعجرفا متنمرا لم تتحسن أخلاقه بتقدمه في العمر . وبدأ في نشر غلاظته بعد أن أصبح إمبراطورا ، واختبر قدراته بإبعاده بسمارك أعظم سياسي الماني على الإطلاق . وقد دعم الأمم التي تتعارض مع بريطانيا كالبوير في جنوب أفريقيا . وهدد وتنمر على الشعوب الصغيرة في أوروبا بصليل السيوف أي بالتحدث عن الحرب . كان مسؤولا عن الحرب المحلية في وسط أوروبا التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى في آب ١٩١٤ ولكن الحلفاء هزموه عام ١٩١٨ فنفي وسمح له بالإقامة في هولندا .

فطن الأمريكيون لهذا الخطر الجديد حين التقوا به في معارك كوريا ، فقد كان من الصعب عليهم منازلته بعدد الجنود والمدافع ، انه يملك منها أضعاف ما عندهم فلم يضير الصين أن تفقد مليوناً أو أكثر من أبنائها في معركة من المعارك أو حرب من الحروب .

والواقع أن أركان حرب الجيش الأمريكي فكروا في استعمال القنابل الذرية في حرب كوريا ، وهددوا بها ، ثم ما لبثوا أن خشوا تدخل السوفيات لمناصرة الصين، فترددوا وأخيراً تم الاتفاق على تقسيم كوريا إلى شمالية وجنوبية . وذلك عندما تدخل " أيزنهاور "[1] رئيس الولايات المتحدة الذي وعد الأمريكيين بإنهاء الحرب في كوريا عندما رشح نفسه للإنتخابات .

فلما جاء "كندي"[2] إلى رئاسة الجمهورية الأمريكية قرر تعيين شخص حديدي لإدارة وزارة الدفاع ويفرض سلطانه على جميع القواد والأمبرالات .

ولهذا اختار المستر "ماكنمارا" لهذه الوظيفة وكان هذا مديراً لشركة فورد للسيارات وقد ذاعت له شهرة عريضة في حسن الإدارة والحزم وصلابة العود. وقبل (ماكنمارا) الوزارة .

---

(١) دوايت دافيد ايزنهاور (١٨٩٠-١٩٦٩) قائد عسكري ورئيس أمريكي (١٩٥٣-١٩٦١). كان جندياً محترفاً في مطلع عام ١٩٤٢ . نال رتبة لواء ولكنه لم يشترك في أية معركة حقيقية ومع ذلك اختاره روزفلت قائداً للقوات الأمريكية في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية . كان آيزنهاور قائداً ذا سطوة على رجاله ، قادراً على القيادة العامة لقوات الحلفاء في أوروبا وقت الهجوم على فرنسا عام ١٩٤٤ وقادها إلى النصر عام ١٩٤٥ . وفي عام ١٩٥٢ كانت شعبيته لا تزال واسعة ففاز بانتخابات الرئاسة ممثلاً عن الجمهوريين وعاود الفوز عام ١٩٥٦ .

(٢) جون فيتزالد كندي (١٩١٧-١٩٦٣) سياسي أمريكي ، ولد في بروكلين . رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٦١ ، اغتيل في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٣ .

وبعد سنة واحدة من دخـــول (ماكنمارا) إلى وزارة الدفـــاع خضعـــت جميع أجهزتها للإدارة المدنية الحازمة.

وكان أول تهديد له بعد أشهر من تعيينه قوله :

"إن الولايات المتحدة أصبحت تمـــلك قوة ذرية ضاربة تستطيع بـــها الصمـــود أمام أي هجوم مفاجئ من جانب أية دولة ، ثم تحطيم الدولة المهاجمة ، ومـــع بقاء ذخيرة تكفي لمواجهة تهديدات دولة ثانية" .

وكان (ماكنمارا) عند قوله فقد نقل فرقة كاملة عبر المحيط الأطلســـي إلى أوروبا في غضون ٤٨ ساعة وذلك في خريف عام ١٩٦٣ .

وفي خضم حرب فيتنام، وأمام الغارات الأميركية على فيتنام الشـــمالية حليفة الصين وقيام ثوار (الغيت كونغ) بتوجيه الضربات المتتابعة ضد قـــوات حكومة فيتنام الجنوبية ، والقوات الأميركية التي تناصرها .

عاد (ماكنمارا) يهدد بأن الولايات المتحدة قد تستعمل القنبلة الذرية فـــي هذه الحرب إذا وجدت الحاجة تدعو إلى ذلك .

وقد صرح (ماكنمارا) أمام احدى لجان مجلس النواب الأمريكي بما يلي:

(١) أنه ليس هناك قيد على السياسة الأميركية لاستخدام الأســـلحة الذريـــة عندما تدعوها مصلحتها لذلك .

(٢) إن احتمال توسيع نطاق الحرب نتيجـــة لاســـتخدام الأســـلحة الذريـــة مخاطرة بالتأكيد ، ولكنها لا تمنع من استعمال هـــذه الأســـلحة عنـــد الضرورة .

إن (ماكنمارا) صرح :

أن أميـــركا فيما لو وقعت حرب ذرية لا تستطيع انقاذ أكثر من ١٥

مليون أميركي .. ونقلهم إلى المخابئ التي انشئت فعلاً .. وإن ضحايا هذه الحرب قد يرتفع عددهم إلى مائة مليون .. وسوف يتعرض الباقون للإشعاعات الذرية التي تشوه حياتهم وتسممها ..

ولكن الصين في الوقت الحاضر لا تستطيع خوض حرب ذرية إلا بطريقة محدودة فهي لا تملك مخزوناً من هذه الأسلحة ، وتحتاج إلى سنوات قليلة لتصبح عندها كمية منها .

وأما الاتحاد السوفيتي فهو الذي يستطيع الوقوف في وجه التهديدات الأميركية وهو الذي يرسم الموقف ويحدد اتجاهاته ..

ولكي يستطيع الأميركيون قتل مائتي مليون صيني مثلاً . فلسوف يحتاجون إلى كل المخزون عندهم من الأسلحة الذرية ، وعندئذ يظهر عامل جديد لم يكن في الحسبان، وهو ظهور الاتحاد السوفيتي كأكبر قوة في العالم، وتصبح أميركا دولة صغيرة لا شأن لها ولا قيمة في موازين القوى الدولية وهذا طبعاً إذا وقعت الحرب الذرية بين أميركا والصين .

أما إذا وقعت بين أميركا والاتحاد السوفيتي فإن الصين سوف تخرج من هذه الحرب كأقوى دولة في العالم .

وأعلن الرئيس الأميركي جونسون[1] .

إنه مستعد للتفاوض مع فيتنام الشمالية دون قيد أو شرط. ولكن فيتنام

(١) ليندن باينس جونسون (١٩٠٨-١٩٧٣) ، سياسي أميركي ديمقراطي . رئيس الولايات المتحدة الأميركية بعد مقتل جون كندي ١٩٦٣-١٩٦٨ . ادخل أميركا في حرب فيتنام لمعاونة فيتنام الجنوبية، أسفر عن تغلب فيتنام الشمالية وتوحيد شطري البلاد . بلغ عدد الضحايا ١,٨٠٠,٠٠٠ جندي قتيل ونحو ٤ ملايين مدني بين قتيل ومشوه .

الشمالية رفضت هذا العرض وأيدتها الصين . وقالت في تبرير رفضها :

إنها تطالب بانسحاب القوات الأميركية أولاً من فيتنام الجنوبية .

هناك رأي جديد طلع علينا فيه (غولد واتر) المرشح المتعصب الذي فشل في الانتخابات الأميركية ضد جونسون .

فقد دعا هذا الرجل إلى ضرب المنشآت الصينية التي تعمل لصنع الذرة وتدميرها، حتى لا تستطيع الصين المضي في تجاربها.. هذا إذا حاولت الصين التحرش بالقوات الأميركية ومحاربتها .

وقد كتب المراسل السياسي لجريدة (الدايل اكسبرس) الإنكليزية وهي الجريدة المحافظة المناصرة للاستعمار والامبراطورية ، والتي تطبع حوالي خمسة ملايين نسخة في اليوم الواحد .

قال المراسل بعد زيارة قام بها في الصين :

"حين كنت أزور دائرة البرق والتلغراف في أي بلد من بلاد العالم التي زرتها، كان هناك فرصة واحدة اختصها ، ووصف معين أصف به ما رأيته وسمعته ولمسته.. كأن الشيء المهم هو الخبر .. وأما في الصين فالأمر مختلف.. ذلك إنك تجد نفسك في بلد كل شيء فيه، يمثل خبراً وكل شيء فيه جديد يستحق التسجيل والتعليق" .

إن علماء الإحصاء ينتظرون أن تبلغ الصين خلال العشر سنوات القادمة ألف مليون من البشر .

وبألف مليون من السكان يعتقد المسؤولون في الصين أن بامكانهم السيطرة على العالم . وباستطاعتهم الوصول إلى هذه الغاية سلماً لا حرباً بالدعاية و السياسة وإثارة الاضطرابات الداخلية هنا وهناك .

وبمساعدة دوائر المخابرات الصينية المرعبة، التي لا يوجد لها مثيل في العالم كله .. والتي لا ترحم ولا تبالي بأي شيء .

وكما نعتبر إدارة المخابرات الأميركية[1] منظمة جديدة. لا يمتد عمرها لأكثر من أربع سنوات مثلا ، لأنها انشئت بالفعل ونظمت في أثناء الحرب

(١) وكالة الاستخبارات الأميركية : ١-وكالة الاستخبارات المركزية (سي.آي.أي) تعتبر وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكة (CIA) دولة داخل دولة إن صح التعبير إذ أن المتصفح لتأريخها والمطلع على نشاطاتها يتأكد بأنها فوق القوانين كلها حتى ولو تعارضت مع القوانين الرسمية للدولة ومع سياساتها. هل تصدق أن هذه الوكالة قد قامت بتقديم المساعدة من أسلحة وخبرات إلى ثوار الكونترا في نيكاراغو مقابل حصولهم على ثمن تلك المساعدات والخبرات ومن البيع السري لإيران وهو ما أطلقت عليه وسائل الإعلام (إيران غيت) . وكانت هذه الوكالة قد قامت باقصاء الحكومة التأسيسية للرئيس (ألين تشيل) عن الحكم . وهذه الوكالة التي قامت بتجنيد (البيريهات الخضراء) لمقاتلة أفراد حرب العصابات في فيتنام . والوكالة هذه هي التي حاولت اغتيال الرئيس فيدل كاسترو ورئيس الجمهورية الكوبية. إن عملاء هذه الوكالة منتشرون في كل أنحاء العالم وحتى على الصعيد الداخلي لبلادهم وقد قامت اللجنة التشريعية المنتدبة عن هذه الوكالة ومعها لجنة الكنائس متورطة في محاولات الاغتيال وتعاطي المخدرات وتجار الحروب الذين لهم تورطاتهم الخاصة في الشؤون الداخلية لبلدان كثيرة . وقد قام الرئيس روزفلت بانشاء منظمة اسمها (مكتب الخدمات الاستراتيجية) في عام ١٩٤٢ وترأس هذا المكتب (المنظمة) النائب العام الأول وبطل المعارك وبليام دونوفان في مراحلها الأولى . واحتاجت هذه المنظمة لمساعدة منظمة (M.I.6) البريطانية لتدريب كوادرها وكان آلين دولز يدير أعماله في ألمانيا والنمسا وإيطاليا وهو في مكتبه في سويسرة ولعب بعدئذ دورا كبيرا عندما أصبح مديرا لوكالة الاستخبارات المركزية الأموركية (C.I.A) حتى إن منظمة (O.S.S) كانت تنفذ أوامره في تنفيذ الأعمال العدائية السرية . وقام الرئيس ترومان بحل منظمة الخدمات الاستراتيجية عام ١٩٥٤ لتخوفه من عدم السيطرة عليها كما فعلت المنظمة الارهابية الألمانية (جيستابو) . وقد شعر بالحاجة إلى الحصول على معلومات موثوقة فنظم مجموعة استخبارات مركزية بقيادة (سيدني سورز) . وكانت مهمة المجموعة استقصاء وجمع المعلومات السرية وتحليلها. وفي عام ١٩٤٧ شعرت أميركا بحاجتها لتنظيم خدماتها الاستخبارية المضادة لتضعها تحت تصرف الأمن الدولي . وكان الأميرال (روسكوهيلين كوتر) أول مدير لوكالة الاستخبارات المركزية. وبدأت أعمالها في ١٩ كانون الأول عام ١٩٤٧ هو افشال الانتخابات الشيوعية في ايطاليا كي لا تخضع ايطاليا للنفوذ الروسي وفعلا تكللت تلك الأعمال بالنجاح وفشل الشيوعيون. وفي عام ١٩٥٣ أصبح آلين دولز مدير لوكالة الاستخبارات المركزية . وقد وصف دولز بأنه أحد عظماء التجسس في

عصره وأصبحت الوكالة تحت ظله أقوى وكالة استخبارات في العالم . فهذه الوكالة هي التي عملت على الإطاحة بالحكومات المعادية لأميركا مثل إيران وغواتيمالا ومصر والكونغو وأندونيسيا واستبدالها بحكومة من صنعـــها . وكان أعظم نشاط لهذه الوكالة من ١٩٥٣ــ١٩٦١ حيث تحركت للإطاحة بموسى صديق في إيران وآربـــنز في غواتيملا وأقامت نفقاً في برلين من أجل التجسس على خطوط الهاتف في المقسم الواقع تحــت ســطح الأرض . وقامت بالتخطيط لعملية الغزو البحري والجوي ضد كوبا للإطاحة بكاسترو . ومن طرق أعمال هذه الوكالـــة الرشوة والابتزاز ونشر الإشاعات وحرب العصابات ومن أعمالهم استطاعتهم الحصول على مخطوطة خروتشـوف في نقد ستالين. وتنظيم عملية تحليق الطائرة الأمريكية (U.S) فوق أراضي الاتحاد السوفيتي والتي قامت بتصويـــر المنشآت العسكرية السوفيتية المركزية . وقد عهد الرئيس جون كنيدي وكالة (C.I.A) ببناء مركـــز للقيـــادة متسع في لانغلي بولاية فيرجينيا بلغت تكاليف بناءه ٤٦ مليون دولار ويعمل فيها ١٨,٠٠٠ موظف وللتمويـــه أطلق على هذا البناء اسم (محطة فاير بانك العامة للبحوث) وقامت الوكالة بحشد عدد ضخم من خبراء حل اللغـة المشفرة وخبراء في الفيزياء والكيمياء والألكترون وخبراء في حرب العصابات والأسلحة السامة والأسلحة الناريـــة وكان هؤلاء الخبراء يتلقون مرتبات شهرية خيالية. ورغم فشل هذه الوكالة في عملية خليج الخنازير إلا أن كنـدي حث هذه الوكالة للقيام بعملية النمس لزعزعة النظام الكوبي وإجراء العمليات التخريبية التي من شألها في النهايـــة الإطاحة بكاسترو أو اغتياله . وقد شهدت الـــ (C.I.A) ركودا من عام ١٩٦١ وحتى ١٩٦٦ أي عهد جـــون ميكون واللواء البحري ويليام رابون إلا أنه ظهرت حالات عديـــدة للتجســـس علـــى M -15 و M – 16 البريطانيتين وكان عملاء وكالة الاستخبارات الروسية KGB قد تغلغلوا في الخدمات السرية البريطانية المذكـورة مثل كيم فيلبي وغاي بورغيس وديفيد ماكلين . إلا أن الـــ (C I A) لم يكن بين صفوفها عملاء مزدوجـــون ويعود ذلك إلى حنكة رئيس التجسس المضاد جيمس جيسون أنغلتون. وفي عام ١٩٦٥ كان هناك ثلاثـــة آلاف عميل متقاعدين مع ال C I A في كمبوديا ولاوس وفيتنام. وفي عهد الرئيـــس نيكســـون ازدادت الأعمـــال التجسسية داخل أميركا نفسها من قبل الـــ C I A وبالتعاون مع مكتب المباحث الاتحادي إلا أن ادغـــارهوفر رئيس مكتب المباحث الاتحادي F B I رفض القيام بهذا العمل . إلا أنه عزل من منصبه بعد فضيحة ووترغيـت وارسل سفيرا لإيران. وقد قامت وكالة C I A أو اشتركت في أكثر من ٩٠٠ مؤامـــرة في البلـــدان الخارجيـــة وأغلبها دون علم رئيس الدولة . حتى إن مجلس الأمن الدولي يعمل تحت إشراف الرئيس مباشرة وتقوم هذه الهيئـة باتخاذ القرارات المتعلقة بالتحليلات التي تقدمها وكالة C I A . كما يعمل كل من مكتب سياســـة التنســـيق المؤسسي عام ١٩٤٨ ووكالة الأمن الدولي ووكالة الاستخبارات الدفاعية مع الـــ C I A. وفي السبعينات انخفض عدد عملاء وكالة الـــ C IA وانخفضت الميزانية بنسبة ٤٠% وكان عدد الموظفين في عـــام ١٩٦٩ (٨٠,٠٠٠) بينما كان العدد قبل ذلك (١٤٢,٠٠٠) موظف . وقام الرئيس الأميركي جيمي كارتر عام ١٩٧٩ برفع القيـــود المفروضة على الوكالة وأعيد تنظيمها عام ١٩٨٣ باشراف الرئيس رونالد ريغان وأصبح كاسي رئيســـا لهـــا .

وزادت ميزانيتها بنسبة ٢٥% . وكان المدير الثاني للـ C I A ريتشار هيلمز قد جند مجموعة صغيرة تحت اسم كاي.أوي. أي (الفوضويون) بأمر من الرئيس نيكسون وقد جمعت هذه المجموعة المعلومات عن الأمريكيين الذين لعبوا دورا بارزا في حركات المطالبة بالحقوق المدنية والحركات المعادية للحرب . واعدت ملفات ضخمة بلغت ١٣,٠٠ ملف تتعلق بالأشخاص والمنظمات ، وتوجد لدى الوكالة معلومات وصور عن ٣٠٠,٠٠٠ مواطن أميركي والأدهى من ذلك كله أن وكالة الاستخبارات المركزية C I A كانت تقوم بمراقبة عملائها وتفتح رسائلهم وتضع الميكرفونات السرية على جدران منازلهم للتجسس على محادثاتهم داخل بيوتهم وتدرس نفقاتهم الشخصية والمنزلية . ومنذ عام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ قامت بإجراء عمليات غسل الدماغ باستخدام المخاطر الكيميائية وهناك مكتب أمن الاتصالات للتجسس داخل المنظمة وهو تحت اشراف الفريق لنكولن د. فوربير الذي جاء بديلا عن الأميرال إنمان. وأكبر هيئة قوية في الولايات المتحدة هي مجلس الأمن الوطني ويعمل في التجسس وهو تحت امرة الرئيس مباشرة وتكون اجتماعاتها في البيت الأبيض . وقام هذا المجلس بتأسيس ٥٤١٢ وفوضت هذه اللجنة وكالة الـ C IA بالقيام بأعمال التجسس . وتسمى هذه اللجنة ٣٠٣ أيضا إلا أن اسمها الآن اللجنة (٤٠٠) . كما أن هناك جدارا بشريا منيعا لحماية الرئيس يحوي ٤٠٠ فرد . وهناك وكالة الاستخبارات للشؤون الدفاعية . وتبلغ ميزانية ال C I A ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولات وتستخدم ٢٠٠,٠٠٠ شخص في جميع أنحاء العالم أثناء حكم ريغان . أما وكالات الاستخبارات الأميركية -مكتب المباحث الاتحادي فكان يقوم بمهمتي الأمن والتجسس وبدأ أعماله منذ الحرب العالمية الأولى. وعندما توفي هوفر عام ١٩٧٢ بعد أن حول مكتب المباحث الاتحادي F BI إلى منظمة قوية أصبح باتريك تراي مديرا لها ثم تولى إدارتها كلارنيس كيلي إلا أن الرئيس جيمي كارتر لم ينسجم معه فتغلب عليه فرانك جونسون بعد ستة أشهر من استلامه منصبه وبسبب مرضه أعيد كيلي لمنصبه مرة ثانية . إلا أن ويليام ويبستر جاء عام ١٩٧٨ ليحتل هذا المنصب . وفي عام ١٩٨٣ تخلص هذا المكتب من جميع مشكلاته ومن القيود المفروضة عليه وبعد عام ١٩٩١ استعاد هذا المكتب قوته وهيبته.

وكالة الاستخبارات الروسية K GB : كره الناس هذا الاسم كونه منظمة أو هيئة تبث الرعب في قلوب البلدان الرأسمالية وهذه الوكالة هي التي أسست الأحزاب الشيوعية في البلدان الأخرى وكان لها دور فاعل في الانقلابات والثورات في العديد من بلدان العالم . وهي التي تورطت في مؤامرات عدة منها ضد محمد أنور السادات في مصر وضد الجنرال جعفر نميري في السودان ودعمت الجماعات في يوغسلافيا ضد الرئيس تيتو . وهي التي شجعت على المشاكل في جنوب أميركا والخليج العربي وفي الحرب الطويلة في انغولا ودعمت الجيش الجمهور الايرلندي وأيدت حكومة ساندينستا ضد ثوار الكونترا في نيكاراغوا وأطاحت بحكومة دوبتشيك في تشيكوسلوفاكيا وسحق الحركة المنغارية . كما أن عملائها توغلوا إلى هيئة الأمم المتحدة والخدمات السرية البريطانية. والأقوى من كل هذا الهم استطاعوا أن يسرقوا الأسرار الذرية من أميركا. كما استطاعوا سرقة أسرار قذيفة (سايدويند) من قاعدة منظمة حلف شمال الأطلسي (N ATO) . بدأت هذه الوكالة الاستخبارية من

البوليس السري الرهيب التابع لـ (تسار إيفان) وهذا الشخص الرهيب أسس وكالة (الأوربينتشينكس) في القرن السادس عشر الميلادي . وسميت بعد ذلك بـ (الاوغانا) وفي عام ١٩١٧ استبدل اسمها إلى (تشيكا) . وأول زعيم لها هو فيلكس جرجينسكي . وفي عام ١٩٢٢ أصبحت منظمة تشكيا تعرف باسم (GPC) وباسم (OGPU) والتي تعني الإدارة السياسية الحكومية. وفي عام ١٩٣٤ أصبحت تشيكا جزءا من لجنة الشعب للشئون الداخلية والتي عرفت بـ (NKVD) . ثم انفصل عنها القسم السياسي وأصبح اسمها لجنة الشعب لأمن الدولة (NKGB) ثم أصبحت كل من هاتين المنظمتين وزارتين منفصلتين هما : وزارة من الدولة (MGB) ووزارة الشؤون الداخلية (MUD) أما وزارة الشؤون الداخلية (MVD) فكانت أداة قمع عدم الرحمة خلال عهد ستالين . ويكفي أن تذكر هذا الاسم MVD لتبث الذعر والخوف وحتى الهلع في قلوب السامعين وقد حاول بيبا أن يدمج هاتين المنظمتين إلا أن خروتشوف عارضه وقد اعتقل وقتل. ثم ترأسها بوري اندروبوق. ويقدر عدد العاملين في وكالة الاستخبارات الروسية K GB حوالي (١,٧٥٠,٠٠٠) عميل منهم ٣٠٠,٠٠٠ عميل سري يعملون كدبولماسيين ومراسلي صحف وموظفين في شركة الطيران الروسية (ابرفلوت) و ١٠٠,٠٠٠ جاسوس مرتبطين بخدمات سرية لها علاقة مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA . وهناك أيضا ١٠٠,٠٠٠ ضابط برتبة عسكرية عليا يعملون لصالحها . كان ذلك عام ١٩٤١ عندما ارسل العميل السوفيتي في اليابان الدكتور ريتشارد سورج أخبارا تفيد بعد عزم اليابان على مهاجمة روسيا من الجهة الشرقية وكان ستالين قادرا على نقل جنوده المتمركزين هناك إلى جبهة موسكو وهزم الألمان . وهذا ما أدى إلى هزيمة الألمان في روسيا . كما اكتشف العملاء السريون الروس خطط روزفلت وتشرشل في مؤتمر (يالطا) بعد الحرب. وقد اعتقل سوروج حسين بن ملاسيان لوير في لندن لقيامه بالتجسس في بريطانيا لصالح روسيا، وحكم عليه بالسجن لثلاث سنوات. وكانت المعلومات التي حصل عليها وسر بها للاتحاد السوفيتي غريبة جدا . كانت المعلومات : أرقام جميع السيارات التابعة للخدمات السرية البريطانية MI-S والتي أدت إلى خدمة كبير للعملاء الروس. وقد منحت وكالة KGB هذا العميل آلة حلاقة كهربائية وساعة يد ومجموعة من العطور وأدوات المكياج لقاء هذه المعلومات . إن أعمال الـ KGB على مدى عمرها اتسمت بالدموية وصارت صورة للوكالات الخطورة للغاية وقد تبنت أي وسيلة يمكنها أن توصلها لأهدافها . أمل نقرأ عن تروتسكي الذي كان معارضا لستالين والذي قتل في المنفى خارج الوطن . إن مقتله بفأس على يد مخابرات الـ K GB .. وهي التي أطاحت بحكومة داود الشرعية في أفغانستان . و لم تكتف هذه الوكالة على أعمالها حسب إنما أنشأت عام ١٩٤٢ منظمة أسمتها (سميرخ) وهذا الاسم الذي ابتكره جوزيف ستالين . وسميرخ تعني (الموت للجواسيس الخونة) وعمل هذه المنظمة يتلخص بقتل الجواسيس المرتدين عن حزبهم والمنتسبين إلى أحزاب معادية وأعضاء هذه المنظمة من القتلة المحترفين .

وتنقسم منظمة سميرخ إلى خمسة أقسام:

الأول: يعمل في الجيش فيحث التخاذل والخيانة .

الثاني : يجمع المعلومات ويضع عملاءه خلف خطوط العدو .

الثالث : يصنف المعلومات ويوازيها مع غيرها .

الرابع : يجري التحريات ولديه سلطة الاعتقال .

الخامس : عبارة عن محكمة تحقيقية تستمع للقضايا المطروحة أمامها وتنطق بالأحكام.

إن هذه المنظمة حلت عام ١٩٤٦ وحل محلها هيئة جديدة تدعى القسم ٢٥ وكانت أعمالها أعنف من المنظمة السابقة . وإذا سبقنا هذه الأحداث فإننا سنجد في عام ١٩٧٢ أن العميل المرتد عن منظمة KGB باخالونوف قد ألف كتابا بعنوان (أطول الليالي) عرفت من خلاله منظمة سمورخ وكشف عن أعمالها وجرائمها القذرة وقتلها آلاف الرجال والنساء بلا رحمة أو شفقة . وفي عام ١٩٨٤ وجد باخالوف جثة هامدة في بركة قرب ويمبلدون إذ عاقبه القسم (٥) بسبب خيانته . وأضف إلى ما تعرفه الـ KGB على عملائها فإنها تنفق الملايين على نشر الإشاعات فقط خاصة في البلدان الغربية كما يقول يوري اندروبوف سكرتير الحزب الشيوعي ورئيس الـ KGB السابق لمدة خمس عشرة سنة والذي حول هذه الوكالة لنشر الإشاعات والأباطيل . وهذه الوكالة في عهده سعت لإقامة علاقات ودية مع الصحفيين في جميع أنحاء العالم . والمعروف عن وكالة الاستخبارات الروسية الـ KGB أن تستخلص الحقائق من بين المشتبه بهم بطرق وحشية . وكانت هذه الوكالة قد اشتركت في النشاطات التجسسية على يد موظفي شركة إيرفلوت السوفيتية للنقل المدني . وفي عام ١٩٦٠ عندما أسقط الروس طائرة التجسس الأمريكية التي من طراز (U-2) فوق أراضي سفيرد لوفيسك واعتقلت طيارها غاري بورز تلقفته وكالة الاستخبارات الروسية KGB ونشرت صوره في جميع أنحاء العالم ووضعت أمريكا أمام العالم المشوه الدنيء في أعماله التجسسية على العالم . وأخيرا وليس آخرا استبدلت غاري بورز بسيد الجاسوسية الروسية، رودولف أبيل . وهناك أكثر من أربعين سفينة تجسس لصالح هذه الوكالة تجوب البحار كما أن هذه الوكالة قد جهزت سفن الصيد بأجهزة الكترونية دقيقة للتجسس حول العالم .. ورغم التقدم التكنولوجي والمخابراتي في العالم إلا أنه لم يكتشف أي منها للآن . وهناك ٧٠٠ ضابط روس في هيئة الأمم المتحدة يعتقد أن نصفهم ضباط في المخابرات الروسية KGB وهذا ما كشف عام ١٩٧٨ عندما عرف لدى الجميع أن الضباط العاملين في الأمم المتحدة هم برتب وهمية ومنحت لهم لأغراض تجسسية . أما ساحة جرجنيسكي رقم (٢) في موسكو فيسيطر عليها رئيس ونائبان ولها مديريات أربع رئيسة .

الأولى : تسيطر على العمليات الخارجية .

الثانية : تدير الأمن الداخلي .

الخامسة الرئيسة : تشرف على الاتصالات والرقابة وتتبع سير الأجانب داخل البلد وتشرف على حرس الحدود وتسيطر على الانشقاق السياسي والديني والعرقي .

وهناك أربع مديريات ثانوية :

الثالثة : تشرف على ولاء القوات المسلحة .

السابعة : تهتم بشؤون المراقبة .

الرابعة : تراقب حرس الحدود .

أما المديرية الثامنة فتتولى شؤون الاتصالات والاستخبارات .

أما خدمة الاستخبارات العسكرية (G.R.U) فهي منظمة تهدف لمساعدة الـ K.G.B وقد تم نقل أسرار القنبلة الذرية إلى الاتحاد السوفيتي بواسطة عميلها العالم البريطان كلوس فوتشيز. وهذه المنظمة التي يرأسها بيتر إيفانتوفيتش إيفاشوتين تضم العملاء رودولف أبيل وكونون موليدي (غوردون لونساديل) والجاسوس الذري كلوس فوخس وسينبرغ كوبل . كما تشرف الـ G. RU على تدريب الارهابيين الأجانب وتضم بين صفوفها عددا كبيرا من القتلة وحوالي خمسة آلاف مخبرا سريا . إن الـ K.G.B قد توغلت خدماتها السرية داخل الخدمات السرية البريطانية ووصل عملائها لأرفع المناصب كالعميل السري كيم فيلبي العميل المزدوج الذي بقي في منصبه مدة ثلاثين سنة دون أن ينكشف أمره . إلا أنه بعد أن فضحت خيانته هرب إلى موسكو واحتل في قيادة وكالة الاستخبارات الروسية كضابط من الدرجة الرفيعة . ويذكر أن الرائد البحري نيكولاي فيدروفيتش أرتامونوف قد تظاهر بتخليه عن حزبه لينضم إلى الغرب وعمل في التجسس لصالح روسيا في أمريكا. وهناك قصة للبيرا الإسرائيلية الذي نال ثقة بن غوريون مؤسسي دولة إسرائيل اللقيطة . وشارك في الأعمال التجسسية لصالح روسيا في تل أبيب . حتى أن جورج بليك الذي يعمل في الخدمات السرية البريطانية كان يعمل لصالح وكالة الاستخبارات الروسية (K.G.B) . وتفتخر روسيا بجواسيسها بل ويعظمهم الشعب الروسي باعتبارهم أبطال شجعان وقد حوت وكالة الاستخبارات الروسية بجواسيس عظماء أمثال ستانيسلاف تشيبوتوك الذي كان ينظم الثورات في بلدان العالم . وفيكتو رتشيربكوف الذي أصبح رئيسا للـ (K.G.B) والجنرال فيدروتشوك الذي استلم زمام قيادة الـ KGB من يوري أندروبوف . ونيكولاس تشيتفيريكوف الذي طرد من فرنسا لاكتشاف قيامه بالتجسس لصالح روسيا . وديمتري اليكسيفيتش دياكونوف الذي نفي من مكسيكو عام ١٩٧١. والكسي توموف رئيس وكالة نوفوستي بريس الذي طرد من سويسرا لأعماله التجسسية. ويتصدر قائمة الجواسيس سيدهم رودولف أبيل العقيد في هذه الوكالة . وايغورز نيكو عمل في كندا تحت امرة العقيد نيكولاي زابوتين وتلقى أمرا بالعودة إلى الاتحاد السوفيتي فلم يعد وفرت زوجته إلى كندا وقام هو بدورة بجمع الوثائق السرية في صندوق السفارة وسلمها إلى السلطات الكندية وعاش في بروكلين تحت اسم مستعار هو (إميل غولدفيوس) . ومن أعمال وكالة الاستخبارات الروسية K.G.B عملية خطف قذيفة من طراز (سايدويندر) من قاعدة جوية لمنظمة حلف شمال الأطلسي، إذ قام ثلاثة عملاء تابعون لوكالة الاستخبارات الروسية K.G.B يرأسهم ما ينفرد ريمنجر بوضع القذيفة في سيارة ريمنجر وسار بها مسافة ٥٠٠ كيلو متر وكان القسم الصاروخي من القذيفة ظاهرا من نافذة السيارة إلا أن أي أحد لم ينتبه لذلك .

وقد تم نقلها إلى موسكو على متن طائرة ودون أن تثار أي شبه حولها . ورغم النجاحات الباهرة الـتي حققتـها وكالة الاستخبارات الروسية K .G.B إلا أن أعمالها الفاشلة كثيرة وهاك بعضها: في بيروت وفي عـام ١٩٦٩ تحديدا عرض أحد عملاء الـ K. G.B مبلغا قدره مليوني دولار على طيار مقاتل في السلاح الجوي اللبناني مقابل خطفه طائرة فرنسية الصنع طراز (ميراج -٣- E) والهبوط بها في المطار الروسي في باكو إلا أن هذا الطيار قـام بإبلاغ السلطات العليا بالأمر فاعتقل هذا العميل متلبسا بجريمة المال . وفي أيلون ١٩٧١ قام جهاز الأمن اليابـاني بالقاء القبض على العميل كاجوكوباياشي الذي يعمل لصالح الـ K.G.B وهو يعقد صفقـة مـع الضـابط الأمريكي لشراء مخططات لقذيفة الطائرة المقاتلة فانتوم وجهاز الرادار . واتضح من خلال التحقيق أن هذا العميل كان قد كلف بهذه المهمة من قبل العميل الروسي (إيد) وكشف التحقيق أن ايـد هـو المسـاعد العسـكري والكولونيل للملحق الجوي في السفارة الروسية في طوكيو . ووكالة الاستخبارات الروسية K.G.B ذات سمعـة رديئة إذ تقوم بتصفية الروس المعادين للشيوعية أو الأشخاص الغير مرغوب فيهم. وعلى هذه الأعمال التصفويـة أطلقوا عليها بلغتهم السرية اسم (ماكاري ديلا) . ومن أعماله التصفوية على سبيل المثال لا الحصر اغتيال الرئيس الاوكراني المنتخب (بمسدس كيميائي) كما تدرب الـ K.G.B الفتيات الجميلات ويجعلون منهن مومسـات جاسوسات وبعد انتهائهن من التدريب الأولي يمكثن في معسكرات خاصة للتدريب على فن الدعارة وكيفية اغواء الرجال على العلاقة الجنسية. وفي عام ١٩٨١ افتتن الجاسوس الأمريكي ميجور جيمس هوليروك باحدى هـؤلاء الروسيات والتقطت له صور أثناء علاقته معها . وتعرف هذه العلاقات الجنسية بلغة التجسس باسم (السـنونو). وقد حاولت الـ K.G.B أن تبتز موظفين دبلوماسيين ممن عبثوا مع هؤلاء النسوة الروسيات ومن بينهم السـفير الفرنسي في روسيا . كما أغوت هؤلاء النسوة الملحق الجوي الفرنسي لويس غوي باود وفضل الانتحار مـن أن يكون خائنا لوطنه . كما أوقعت احداهن الدبلوماسي البريطاني سير جيفري هاريسون بحبها وكانت سببا في فصلـه في وظيفته . ويقدر انطوني كورتني قائد الاسطول الملكي أن هناك حوالي عشرة آلاف ضابط في بلدان الناتو ممـن اجبروا للقيام بأعمال التجسس ضد أوطانهم بعد وقوعهم فريسة (السنونو) من ضمنـهم ٥٠ ضباطـا في وزارة الخارجية البريطانية . وكورتني هذا الذي يتحدث عن هذه الاحصائيات كان أيضا فريسة فتاة روسية سنونية جميلة اسمها زينافولكافا والتي أخذته إلى الفندق حيث التقط عملاء الـ K.G.B صورا لهما في عـام ١٩٦٥ وبذلـك انتهى سياسيا وتلطخت سمعته في الأوساط العسكرية وحتى في البلاط الملكي على وجه الدقة . والأدهى والأمـر والأغرب في أمر هذه الوكالة أنها تدرب أطفالا لطفاء من أجل الدبلوماسيين المنحرفين جنسيا. وكانت قد التقطت صور للسفير الكندي في روسيا جون واتكيتر وهو يمارس أعماله الجنسية مع طفل .. وأثناء التحقيق معه (بعد نشر صوره) من قبل المخابرات الكندية توفي بقصور القلب كونه في الثانية والستين من عمره . وشـاركت وكالـة الاستخبارات الروسية K.G.B بالتعاون مع الوكالات السرية في البلدان الشيوعية ما عدا الصين ويوغسـلافيا . كما ساعدت الـ K.G.B بإقامة الخدمات السرية الكوبية وأطلقت عليها اسم دائـرة المخـابرات العامـة .

العالمية الثانية ، فكذلك دائرة المخابرات الصينية تعتبر دائرة جديدة نشأت مع الثورة الشيوعية في الصين، لتحارب أعداء الثورة في الداخل ، ثم امتدت إلى الأعداء الخارجين بعد ظفر الشيوعية ، واستقر سلطانها ونفوذها في الصين كلها .

وإذا كانت دائرة المخابرات الأميركية تضم أكثر من عشرين ألف موظف أو جاسوس .. كما تعترف بذلك المصادر الرسمية ، وإذا كانت تصرف في السنة ما يقارب الألفي مليون دولار ، وكان المبلغ لسنوات خلت ألفا وخمسمائة مليونا ، فإن دائرة المخابرات الصينية تضم أكثر من مليون وتصرف أقل من هذا المبلغ ، لأنه مفروض على الشيوعي مساعدة حزبه أو حكومته دون أن يطلب جزاء أو شكورا .

وإذا كانت أميركا ملزمة بالتجسس على خصومها وأصدقائها على السواء، فمفروض على الحكومة الصينية أن تتجسس على أصدقائها وخصومها، وعلى شعبها أيضا . ومن هنا كانت الزيادة في عدد الجواسيس الذين يبلغون في بعض المصادر ثلاثة ملايين ذكورا وإناثا .

والصينيون إلى هذا يجدون مشقة في اختيار جواسيسهم، ومن الصعب على الجاسوس الصيني الأصل أن يسير في شوارع أوروبا وأميركا دون أن يفطن له الناس أو يثير اهتمامهم . .

وشاركت هذه الوكالة مع وكالة الاستخبارات في ألمانيا الشرقية (MFS) في أعمال عديدة . وتعمل الـ K.G.B على زج العملاء المزدوجين في كافة دول العالم وقد تم اكتشاف خيانة بيونكوسكي فاعتقل . وبعد أن أخضع لتحقيق وكالة الاستخبارات الروسية (K.G.B) واعترف عن كامل أعماله . وخلصت اللجنة التحقيقية بأنه متلبس بالخيانة العظمى .. وقد قتل بعد ذلك .

وكذلك الحال في الجاسوس الأميركي الأبيض حين يحاول العمل في روسيا، فإن شكله يدل عليه ، فيحذر الناس منه أو يشكون في غرضه، وإنه لابد أن يكون من جواسيس دولته .

ولهذا عمدت أمريكا إلى استخدام الجواسيس الوطنيين من سكان فرموزا أو من الصينيين الذين يناهضون الشيوعية ويحاربونها .

وأما الصينيون فنشأنتهم أغرب . فهم حين يعلنون عن حاجتهم إلى موظفين في السفارات والقنصليات والمؤسسات الصينية في الخارج، يشددون على أن يكون وجه الطالب كثير الشبه بالوجه الصيني، وانه كلما كان أكثر اختلافاً في الملامح كان أفضل وأقرب للحصول على الوظيفة .

وأخيراً استطاع الصينيون تسوية هذه المشكلة بإنشاء مدارس للجواسيس في مختلف البلاد الاوربية يتخرج منها أصحاب المؤهلات ليعملوا في خدمة الحكومة الصينية ، ومن شأن هذه المدارس تعليم التلامذة عادات البلاد وأخلاق أهلها. وطرقهم في المعيشة وحياتهم الاجتماعية، حتى لا يجدوا صعوبة ولا مشقة في الحياة مع المجتمع ..

وأشهر هذه المدارس ، المدرسة الموجودة في (برن) في سويسرا وأساتذة الخفاء والجاسوسية في هذه المدرسة ، يهمهم تدريس طلبتهم كيف يحركون الثورة، ويثيرون الجماهير. خصوصاً في السنة الأولى بقدر مايهمهم تعليم الصيني كيف يأكل ويسلم ويصافح ويتحدث إلى الأجنبي ليثير انتباهاه .

والجاسوس الصيني ليس غير (نحلة) صغيرة في شبكة الجاسوسية الصينية الهائلة .. التي تمتد أصابعها إلى كل بلاد العالم .

فمن يكون هذا العقل الجبار الذي يعمل من وراء ستار الغموض والخفاء ؟

لما عاد (اندره مارلو) مؤخراً من بكين حمل معه إلى باريس أخبـــاراً خطيرة تلقاها من كبار المسؤولين الصينيين أنفسهم .. فحواهـــا انـــهم ســـوف يسيطرون على العالم كله من الآن إلى ستين سنة ..

وفي اجتماع عقدته الوزارة الفرنسية وحضره (مـــارلو) قـــال هـــذا لأعضاء الوزارة بصورة خاصة :

إن بكين تعتقد بأن الولايات المتحدة سوف تنهار وتضعف إما بواســـطة الثورات والإضطرابات الداخليـــة ، أو بواســـطة الحـــروب الصغـــيرة التـــي ستخوضها في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ..

وإن الصين سوف تستولي على آسيا كلها من شـــرقي جبـــال الاورال ..في روسيا .. إلى مابعد ذلك .

وإن الإتحاد السوفييتي ليس دولة متماسكة، وإنما هو دويلات صغـــيرة وجماعات غير متجانسة يجمعها نظام لم يألفـــه الجميع ولا ارتضوا به وأنـــه لذلك سوف ينحل وينهار ، ويرتد إلى شرقي أوروبا ليعتمـــد علـــى جماعـــات السلاف فيها .

وإن الصين ستصبح دولة من ألف مليون نسمة، من جنس واحـــد ودم واحد كما كان حالها من أربعة آلاف سنة مضت .

وقد تأكد حديث المسيو (مارلو) في شهر آب لما أعلن وزير الدفـــاع الصيني (لين بيو) عن خطة الصين في السيطـــرة على العالم وكيـــف أنـــها ستكون بتطويق الدول القائمة في شمال المحيط الأطلسي بواســـطة الثـــورات الداخلية . والإنقلابات في الدول غير النامية وختم (لين بيو) تصريحـــه بـــأن السلام يعم العالم كله . بانتصار الشيوعية الكامل .

والجميع يعرفون طبعاً أن الجاسوسية ومقاومة الجاسوسية والثـــورات والداخلية هي سلاح الصين للسيطرة على الشعب الصيني ، والقضـــاء علـــى الخصوم والأعداء بالكشف السري الذي يحتوي على أسماء موظفي المخـابرات الصينية ودرجاتهم، دون الإشارة إلى مركز كــل منـــهم مــن حيــث التــأثير والحظــر، وتحقيق متتابع مدى ستة شهور في هونغ كونغ وسايغون وبــانكوك ونيودلهي وكراتشي وموسكو ستوكهولم وباريس ولندن وأخيراً واشنطن .

أصبح بالإمكان توضيح الصورة التي يقدمها الكشف الســـري أســماء ودرجات حكومية متناسقة متتابعة. بحيث يستطاع بعث الحياة في هذا الكشــف. وإزاحة الستار عن الأسرار الرهيبة التي تختفي وراءه .

كتب (والت روستو) يقول منذ سنوات :

" إن علينا بالتأكيد أن نعمل المستحيل لنصل إلى حقيقة الإســـتخبارات الصينية ، ومداها، وأسرارها، وطريقة عملها وتخطيطها ، ومن يكون العقـــل المدبر خلف هذه الدائرة الرهيبة ، القوية الهائلة ..

أما وجود العقل المدبر خلف هذه الدائرة فأمر لاشك فيه " .

وقد صاح أحد كبار رجال الإستخبارات قائلاً بعـــد أن أحرجـــه أحـــد محققي هذا البحث يسأله عن العقل المدبر خلف الجاسوسية الصينية قال :

إنك لن تصل أبداً إلى معرفة حقيقته، ولو كنت أعرفه لما أخبرتك عنـــه ولكن وجود هذا الشخص المجهول الذي يلعب هذا الدور الرهيب أمـــر لاشـــك فيه، أكدته المصادر السرية من حكومة (فورموز) الصينية الوطنية ، وأكدتـــه المصادر السرية في هونغ كونغ ، كما أثبتته مختلف الأخبار الواردة من هنـــا وهنـــاك ، من مختلف العيون الأجنبية والوطنية التي تحيط بالصين من جميع

أطرافها والتي تشم نسمات الهواء التي تصدر منها باهتمام وحذر وتحفظ ..

وتفحص كل خبر وتدرس كل بادرة ، وتراقب كل حركة ، وتصـــرف مالاً يمكن تصوره من الأموال للوصول إلى الخبر الصحيح ، والسر المكتوم .

لقد قسم (ماوتسي تونغ) الزعيم الصيني الكبير جهازه الســري إلـى أربعة أقسام ..

جهاز يتبع وزارة الخارجية .

جهاز يتبع الحكومة .

جهاز خاص بالجيش .

جهاز في قلب الحزب نفسه .

كل جهاز يعمل مستقلاً عن الآخر ، ولكن هذه الأجهزة جميعها تلتقـــي بواسطة رؤسائها لتكون تحت سيطرة الحزب ، وتتلقى أوامرها منه .

وأما دوائر هذه الأجهزة فحرة في أعمالها وأساليبها وخططها ولا شـأن لبقية الأجهزة بها .

صغار الموظفين في هذه الأجهزة ، وهم الذين يعملـون بيـن رئيـس الجهاز وأهون الموظفين فيه ، يعملون أحراراً . لا يعـترض سـبيلهم أحـد ، ومايقدمونه من أخبار يصل إلى التحقيق فيها ويقابلها بالأخبار التي تـأتي مـن الأجهزة الأخرى عن الموضوع أو ما يقاربه ويماثله .. فتتم ، والحالـة هـذه مراقبة كل جهاز للآخر .

والجهاز الأول المتعلق بوزارة الخارجية الصينيـة، جـهاز خفـي لا يظهر للعيان إلا للمراقب الدقيق الحذر، وهو جهاز أشبه ما يكـون بالجـهاز الأمريكي للمخابرات المركزية (C.I.A) وهو خاص بالأخبار الخارجية والعمل

الخارجي.

والمصادر الصينية في فرموزا تقول :

إن هذا الجهاز يدعى في الصينية (هاي -واي) وانـــه ينقســم إلـــى قسمين:

قسم لجمع الأخبار والتقاطها وفحصها .

والآخر للعمل والتنفيذ .

تماماً كما هو الحال في جهاز المخابرات الأمريكي المركزي .

أما الجهاز الثاني فتابع لوزارة العدل ، وهو يشبه الجـــهاز الأمريكـــي الذي يرأسه المستر (هوفر) ، والذي يطلق عليه اسم البوليس الفدرالي (F.B.I) واسمه في الصينية (باوانتشو) ..

ومن شأن هذا الجهاز مراقبة الجاسوســـية الأجنبيـــة فـــي الصيـــن ، والسيطرة على البوليس ودوائره المختلفة ، واليه تعود شؤون عمال الســـخرة ، أو من فرضت عليهم السخرة من الصينيين لمناهضتهم نظام الحكم ، ومعاداتهم للشيوعية .

ومن وظائف هذا الجهاز وضع العيون في الســـفارات الصينيـــة فـــي الخارج لمراقبة الموظفين والإطمئنان إلى اخلاصهم ..وقد أعلن هـــذا الخـــبر صيني هرب من السفارة الصينية في اسكندنافيا ، وقال :

إن موظفي السفارة لا يعملون عملاً، لأنهـــم مشـــغولون بالتجســـس بعضهم على بعض .. بحيث لا يجدون وقتاً لعمل آخر .

وأما الجهاز الثالث فتابع للجيش، وهو يشبه الجهاز الأمريكي السياســـي التابع (للبنتاغون) ويدعى (D.I.A) وهو جهاز دفاعي هجومي . يتجسس على

من حوله ، ويحارب من يتجسس عليه .

ومن شأنه مراقبة البعثات العسكرية والعسكريين من جميع المراكز والتأكد من اخلاصهم للنظام القائم .

وأما الجهاز الرابع فهو أكثر الأجهزة تخفيفاً وأسراراً ، لا يكاد يظهر ويبين إلا من خلال بعض أعماله الحاسمة .

وهو جهاز تؤكد الأخبار الموثوقة ، يتبع الحزب الشيوعي الصيني ومهمته التجسس على كل انسان في الصين .. حتى على أعضاء الحزب من كبارهم إلى صغارهم ولهذا الجهاز اسم لطيف جذاب وهو " دائرة الأعمال الإجتماعية " ومقره الرئيسي في شارع بوسترينغ رقم (١٥) في بكين .

ولما كان الحزب يسيطر على الصين ويسير سياستها ويشرف على الكبيرة والصغيرة من شؤونها ، فمن المفروض أن يكون جهاز التجسس الخاص به أقوى الأجهزة وأخطرها وأبعدها تأثيراً ومسؤولية .

ولكن مثل هذه السيطرة التامة الكاملة تحمل في طياتها مسؤوليات خطرة قد لايطيق حملها انسان واحد . مهما بلغ من ذكائه وقدرته ونشاطه وتاريخ هذا الجهاز في السنين الماضية تؤكد ماقدمنا ، فقد كان (تشيانغ كاي شيك) أول رئيس له ، وقد أقيل وقتل في ظروف سرية غريبة سنة ١٩٥٢ . وهي تعني بلغة رجال المخابرات (أنهم لا يعلمون من أمره شيئاً) .

وبعد مقتله اختير (لي كونونغ) لخلافته ولكن مصير هذا لم يكن أفضل من مصير سلفه فقد مات بعد عشر سنوات ١٩٦٢ في ظروف غريبة سرية أيضاً .

مصارد حكومة (فرموزا). وكبار المسؤولين في دوائر المخابرات

الأمريكية يؤكدون اليوم أن (تشو تايننغ) الذي يشرف على جهاز (هـاي واي) هو أيضاً ، الرئيس الجديد لجهاز التجسس الرابع. وهذا الدور المزدوج الـذي يقوم به فرد واحد يؤكد أن جهاز (هاي واي) ليس جهازا مستقلاً عن الحـزب انما تابع له .

لننظر إلى تاريخ هذا الرجل المولود في (زشـوان) سـنة ١٩٠٧ ، والذي درس في الكلية العسكرية ، والذي نراه في سنة ١٩٣٤، وحين كان فـي السابعة والعشرين من العمر عين في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصيني الروسي، وفي سنة ١٩٣٧أصبح قومسياراً سياسياً فـي جامعـة يونـان حيـث اسـتقر الشيوعيون الصينيون بعد هزيمتهم وظفر خصومهم بهم ، وجعلوا من المنطقـة مركزهم .

لقد أفاد (ماو) من الجامعة لتدريب رجالـه علـى الحـرب والفـن العسكري ، وبث الدعوة الشيوعية بينهم في الوقت نفسـه ، وبتقـدم الحـرب وتبسطها ارسل (لو) إلى المنطقة العسكرية في (شانتونغ) ليكون قومسـياراً كما عينه عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، ولم يكن لهذا المركـز إلا من تثبت جدارته واخلاصه ..وكان(لو) في هذه الفترة قـد بلـغ الثالثـة والثلاثين من عمره .

وبعد قليل اختير ليكون مديراً لدائرة الدعاية في الجيش .. ثم عاد فـي سنة ١٩٤٤ ، انضم (لو) إلى (بنغ شن) لتنظيم الادارة المدنية في بكين .

ففي سنة ١٩٤٩ ، أخبر أحد الصينيين الهاربين من الصيـن ، رجـال المخابرات الأمريكيين أن (لو) قد أصبح رئيساً مسـؤولاً عـن الأمـن أمـام (ماوتسي تونغ) ولم يتأكد الأمريكيين من هذا الخبر إلا في سنة ١٩٥١ حيـن

عين (لو) وزيراً للأمن ، فأصبح يسيطر علـــى أجـــهزة البوليـــس الرهيبـــة وتخضع لسلطاته منطقة تعد أكثر من أربعمائة مليون من البشر .

وفي سنة ١٩٥٣ تقدم صيني لاجئ يقول للأمريكيين :

إن (لو) قد امتدت سلطته لتشمل أجهزة المخابرات في الجيش نفسه .

ولما ثار (كاو كانغ) و(جو شوستيه) من قادة الجيش الصيني ســـنة ١٩٥٤ على قرار اخضاع الجيش للحزب ، أمـــر (ماوتســـي) باعدامـــهم . ووضع قسماً كبيراً من أجهزة المخابرات البوليسية في الجيش تحت ادارة (لو) مباشرة ، موسعاً بهذا سلطاته ومسؤولياته ، وفي الوقت نفسه عين (لو) عضـــواً في مجلس الدفاع الوطني .

وفي سنة ١٩٥٥ رفع إلى رتبة جنرال في جيش التحرير الصيني .

وقد قال في مؤتمر شعبي عقد في سنة ١٩٥٤ :

بأن أجهزة البوليس التابعة له تقوم بواجبها من حماية الثورة والحزب ، وضد الأعداء والخصوم .

وأما في سنة ١٩٥٨ فقد كتب (لو) في (ستدي) احـــدى المجـــلات الصينية يقول :

أنه يأسف لإزدياد روح التراخي والإهمال في بعض أوساط الحـــزب . واعترف بأنه خلال السبعة والعشرين شهراً التي تقطعت،(٧٥٠) ألـــف لجنـــة، وعين مليون شخص للقيام بـــ (٣٢٨) الف حادثة اتهم لها (١٧٠٠٠٠) الـــف شخص.

وأضاف قائلاً :

إنه اكتشف (٣٠٠٠) متآمر و(٩٠٠٠) متهم و(٢٦) الف شخص من

المشبوهين الفاسدين في أمة تعد خمسمائة مليون نسمة . وإن (٥٠٠٠) شخص من هؤلاء المشبوهين الفاسدين وجدهم في الحرب . وثلاثة آلاف في فرق الشباب ، و(٢٢٠) شخصاً في المراكز العالية في الدولة .

وهذا يعني أن الخونة والمشبوهين قد تسللوا إلى دوائر الدولة وإلى بعض المراكز الحساسة فيها.

وكانت الخطوة التالية التي قام بها (لو) في طريقه إلى أعلى مراكز الدولة حين نقم ضباط الجيش والجنود على ماطلبه منهم (ماوتسي تونغ) من مساعدة العمال والتعاون معهم ، فقد رفض الجيش هذا التعاون وأصر على البقاء ،مستقلاً في برجه العسكري، وكان الحزب الشيوعي الصيني إلى هذا قد ازداد قلة في المدة الأخيرة لموقف الجيش السلبي من الحزب ورفض التعاون مع أجهزته. فما كان من (ماوتسي تونغ) حين حمل إليه وزير الدفاع شكاوي الجيش ورفضه سيطرة الحزب عليه، إلا أن اصدار أمره بالقضاء على الوزير ورئيس أركان حربه ، وكثيرين من أركان حرب الجيش. ويعيين المارشال المريض العجوز (لين بيو) وزيراً ، ولكي يتأكد الحزب من أن أحداً بعد اليوم لن يرفع صوته شاكياً في الجيش ، عين (لو) رئيساً لأركان حرب الجيش .

تعيين (لو) أثار اهتمام الأوساط السياسية الغربية، خصوصاً دوائر الاستخبارات فيها . ومن كانوا يراقبون صعود (لو) السريع في سلم المراكز ذات المسؤوليات الضخمة والحساسة والخطيرة وقد كتب المعلق الأميركي (جوزيف السوب) يقول :

"إن الاختلاف حول سياسة الجيش لا يمكن أن تنتهي بتعيين رئيس المخابرات السري الجنرال (لو) رئيساً لأركان حرب الجيش . وهو أعجب عمل ، وأغرب تدبير من نوعه في العالم . تماماً كما لو أن ستالين عين (بريا)

رئيس بوليسه في منصب رئيس أركان حرب الجيش الروسي . حينما أبعد (زركوف) لاختلافه معه. حتى ستالين لم يجرأ على عمل كهذا .. ولا حتى التفكير به .

وعلق أحد الاخصائيين في الشؤون الصينية بأن تعيين (لو) لهذا المنصب، إنما يراد منه تنفيذ قرارات الحزب وسياسته في كل أوساط الجيش ، وفي جميع دوائره وشعبه .

ولما كان المارشال (لين) وزير الدفاع ضعيف الصحة ، فقد أصبح الجنرال (لو) والحالة هذه هو الآمر الفعال على رئيس المخابرات الصينية المطلق . وهو سكرتير الحزب .

وأخيراً وفي سنة ١٩٦٥ عين لها (أي وزيراً للدفاع) ، وكلف بها قبلاً (لو) في الخارج كمصدر لجميع السلطات وكرئيس للمخابرات والبوليس السري، ومن المفروض أن كل نشاط يقوم به الجواسيس الصينيون في الخارج لابد أن يصدر عن أمره ، وينفذ بتوجيهه ومعرفته. ولما كان غير مسؤول أمام أحد غير (ماو) والمكتب السياسي ، فإنه لابد أن يكون بالتأكيد العقل المدبر خلف المؤامرات والثورات التي يثيرها رجال المخابرات الصينيين في الخارج .. في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأميركا اللاتينية .

ومن المعروف أن الصين الحمراء لم تبدأ نشاطها الجاسوسي(٥١) في العالم إلا بعد أن اطمأنت إلى سلطانها في الداخل. ولم تحاول بث عيونها في خارج الصين إلا بعد مدة طويلة من الاستقرار والتنظيم الداخلي ، كما أن اختيار العيون وتمرينهم لتوزيعهم في جميع أنحاء العالم ، احتاج إلى وقت طويل .

ويعتبر جهاز شركة الأنباء الصينية الأكثر نجاحاً، ورجاله جميعاً من أعضاء الحزب الشيوعي ولهذه الشركة ثلاثة وعشرون مركزاً في مختلف البلاد . ويعد كاوليانغ من أنشط الرجالات البارزين في تنظيم الجبهات لمقاومة المعادين للشيوعية والأنظمة الشيوعية التي حل بها عاملاً وهو يزود بالمشورة والمال لقلب الأنظمة القائمة هنا وهناك ، حتى أن المصادر الأمريكية عندما تستعرض أسماء العاملين في الأجهزة الاستخبارية العالمية فإن اسم كاوليانغ يتصدرها .

وقد اتهم كاوليانغ ماي الاخصائي في حرب العصابات والكولونيل في جيش التحرير الصيني باغتيال رئيس جمهورية بوروندي وقطعت هذه علاقتها مع الصين على أثر ذلك .

ولما لم يكن للصين سفارة ولا قنصلية في أمريكا لذا وضعت هناك رجلين من أقدر جواسيسها وهما (وشو) و (شنغ بين) واللذين أخذا يديران حركة التجسس بمساعدة بعض المكسيكيين .

إن رجال المخابرات في الصين يقدر بثلاثة ملايين مهمتهم التجسس على الشعب الصيني ونقل أخباره للمسؤولين .

كما أن لدى الصين جيشاً شعبياً قوامه عشرين مليوناً .

وفي عام ١٩٥٨، اعلنت بكين رغم ذلك أن هناك ٨,٣٢٣,٦٨٠ حالة تمرد على النظام .

واعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أن ١٠% من الشعب و ٩% من الموظفين فاسدون ولا يصلحون ولا يؤتمن شرهم .

وفي عام ١٩٦٢ اعلنت بكين أنها تحارب ستين مليوناً من المتمردين وعشرة ملايين من الأشخاص الفاسدين .

يقول جاك ماركوس مراسل الوكالة الفرنسية للأخبار والذي قضى في الصين ثلاثين عاماً :

"لم يظهر بعد الثورة رجل في الصين يماثل الرفاق القدامى من حيث الدهاء والذكاء وعظيم الشخصية في أمة لا يقل أفرادها عن سبعمائة مليون " .

لقد تدخلت المخابرات الأمريكية في شؤون الصين لمنعها من صنع القنبلة الذرية لذا قامت بخطف عالمين من علماء الصين كانا ينويان السفر من أمريكا للصين وقد عثرت على خطاب كانا قد أرسلاه إلى أستاذهما أوبنهايمر (أبو القنبلة الذرية الأمريكية) يستأذناه بالسفر إلى وطنهما وإذ بالمخابرات الأمريكية تنتظرهما في ميناء هونغ كونغ لتخطفهما وتعيدهما إلى أمريكا مرة ثانية .

المعروف أن ٢٥ عالماً من علوم الطبيعة الصينية هم حصيلة الصين درس ١٣ منهم في أمريكا و٧ في بريطانيا و٣ في فرنسا وواحد في ألمانيا .

ويدير البحوث الذرية البروفوسور الصيني تسين سان تسيانج ومتزوج من العالمة الطبيعية (هوزاوية) واللذين كانا يتعاونان مع العالم الذري الفرنسي الشهير ج . جوري في صنع القنبلة الذرية الصينية .

والجدير بالذكر أن الصين اهتمت بالبحوث الذرية منذ عام ١٩٥٠ إلا انها لم تبدأ العمل الذري إلا في عام ١٩٥٧ ولم تعلن عن نيتها لصناعة الأسلحة الذرية إلا عام ١٩٥٨ .

وظلت البحوث والتجارب مستمرة حتى أجرت الصين أولى تجاربها

قرب بحيرة (لوب نور) في مقاطعة سنكيانج . كما حصلت الصين على مفاعل ذري من موسكو عام ١٩٥٨ واستخدم في أغراض البحث العلمي .

كما أن الصين تمتلك كميات هامة من اليورانيوم في مقاطعة سنكيانج وقد استورد مواد كافية من مادتي الكروم والنيكل لسد احتياجاتها .

وتمتلك الصين مفاعلين يقعان في ناوكاو في منغوليا الصين ويستطيعان انتاج مادة البلوتنيوم (٢٣٩). ولهذا يستطيعان انتاج قنبلتين ذريتين في العام الواحد .

وليس هنا بصدد التقدم التكنولوجي الذي وصلت إليه الصين بقدر مانريد أن نستعرض أسماء بعض كبار جهاز المخابرات الصينية وهم :

لوجوي شبتغ رئيس البوليس السري والمشرف على الجيش .

وكانغ شنغ رئيس البوليس السري في الحرس القديم .

وسين نوشي وزير الأمن الإجتماعي .

ولوتينغ في وزير الدعاية الداخلية والخارجية .

وتسوتانيغ رئيس الجاسوسية في الخارج .

ولي سين نين المحاسب .

وشو أن لاي رئيس الوزراء .

وشن بي وزير الخارجية.

ونعود لنستعرض وكالات الإستخبارات الصينية / القسم المركزي للعلاقات الخارجية . تعتبر هذه الوكالة الإستخباراتية الصينية فريدة من نوعها في كل أنحاء العالم .. بل وليس لها مثيل .. وتعمل هذه الوكالة لصالح الحزب الشيوعي ولصالح الحكومة الصينية .

أسس هذه الوكالة العميل الشيوعي كانغ شينغ وقد طورها لقوة هائلة أثناء الحرب الأهلية في الصين ، والصراع الطويل الذي دار من أجل السيادة بين الوطنيين الذين يقودهم المارشال (تشيانغ كاي شيك) وبين الشيوعيين الذين يقودهم القائد الأسطوري (ماوتسي لان) .

ثم أصبح كانغ شيوعياً أثناء دراسته في جامعة شنغهاي ثم ذهب إلى موسكو عام ١٩٣٣ وتدرب هناك على فن الجاسوسية .

وكانت الخدمة السرية تسمى آنذاك إدارة الشؤون الإشتراكية .

وقد نجح كانغ في إزالة العملاء الروس من هذه الإدارة واقناع العلماء الصينيين الذين يدرسون في روسيا والبلاد الغربية بالعودة للصين والعمل في مجال الأسلحة النووية . وقد لعب العملاء الذين أرسلوا كمراسلين لوكالة الأنباء الصينية كاوليانغ الذي كان يعمل في أفريقيا وسعى لمراقبة نشاطات العملاء الروس وسعى لإخراجهم منها .

وكان دائماً تحت رقابة وكالة الإستخبارات المركزية الأمريكية (C.I.A) ووكالة الإستخبارات (K.G.B) لنشاطه المتميز وحركته الدائبة .

وفي عام ١٩٧٤ اعتقل الصينيون (لي هنغ شو) إلى هاغو واطلقت عليه الصحف اسم (سيد التجسس) لكن الـCIA أدعت اختلال عقله وانه لم يكن عميلاً وارسل للصين بمساعدة CIA .

وهناك هيئة استخبارية أخرى في الصين تعرف باسم إدارة المخابرات المركزية . وهناك شعبة أخرى للخدمات السرية الصينية وهي قسم المخابرات العسكرية وترتبط بها كافة الملحقيات العسكرية في السفارات خارج البلاد .

وكالات الاستخبارات في بريطانيا :

١- المخابرات العسكرية (M16 , M15) .

٢- الفرع الخاص والوكالة العليا (ULTRA) .

٣- منظمة المخابرات المشتركة (J10).

٤- لجنة المراقبة (D.) .

٥- مركز قيادة الاتصالات الحكومية (G.C.H.Q.) .

وقد استطاع المركز (٥) أن يحل الشيفرات التي يستعملها الألمان وقراءة الرسائل السرية للضباط الألمان .

أما أكبر وكالة سرية فهي (٣) وبدأ اسمها في عالم التجسس يلمع أثناء حرب الفوكلاند . أما المخابرات العسكرية M1-5 فتعود إليها تدمير شبكة التجسس الألمانية خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية .

أما المخابرات العسكرية M1-6 فمهمتها التجسس في البلدان الأجنبية ومواجهة نشاطات التجسس لوكالة الاستخبارات الروسية (K.G.B) وحلفائها .

أما الفرع الخاص فكانت مهامه مواجهة الارهابيين الايرلنديين وتبحث عن جواسيس العدو في إنكلترا .

كما أن بتوجيه M15 و M16 تقوم ULTRA باعتقال الخونة والعناصر المناوئة والتجسس الالكتروني وحل وقراءة الرسائل المسجلة بلغة الشيفرة .

وكان لهنري السابع[١] خبرة واسعة في الجواسيس وقد احتفظ بقوة ضخمة من الجواسيس وانتدب هنري السابع وابنه كاردينال وولسي وثوماس

---

(١) أول ملك من أسرة تيودور حكم إنكلترا . ريتشارد الثاني .

كروموبل لإدارة خدماتهم السرية وكل هذه تدين بالفضل الكبير لأبي المخابرات البريطانية (وولسينغهام).

نشأ في عام ١٨٢٩ فرع ايرلندي خاص بقيادة روبرت بيل وكان مهمته القضاء على العناصر الايرلندية الإرهابية ثم حول إلى قيشم منفصل ليتعامل مع أمور التجسس وفي عام ١٩٠٥ ظهرت الحاجة لإجراء تحسينات في قسم الاستخبارات العسكرية وإعادة تنظيمها مجدداً .

وفي عام ١٩٠٩ أجازت وزارة الحرب بتنظيم مكتب استخبارات خاص كجزء من الأعمال العسكرية تحت امرة الكابتن فيرنون كيل .

وبعدها ظهرت وكالة الاستخبارات العسكرية (M16 , M15) ووضعتا تحت سيطرة وزارة الشؤون الخارجية .

ومع ظهور النازية في ألمانيا والفاشية في ايطاليا بدأت بوادر الحرب تلوح في سماء أوروبا وبدأت وكالات الاستخبارات تأخذ صلاحياتها وحولت خدمة الأمن M15 إلى وزارة الداخلية بينما يخضع القسم العسكري M16 لوزارة الخارجية .

فيقسم الفرع العسكري M1-5 إلى ستة أقسام ويتولى كل قسم أعمالاً خاصة ضمن ما مناط به وأهم هذه الأقسام القسم (A) الذي يتولى العمليات وبمصادر التجسس والأعمال المتعلقة بها .

أما القسم (C) فهو المسؤول عن الأمن الوقائي ويتولى مهمة حماية وأمن المسؤولين في الدولة .

وأما القسم (F) فهو يواجه الفتن الداخلية ويراقب الجواسيس والعملاء الأجانب .

أما القسم (D) فعمله هو التجسس المضاد وتزويد جميع هـــذه الأقســـام بالدعم التقني والإداري .

لقد بلغ الفرع العسكري M1-5 ذروته في زمن مؤسسة (الزعيم فـيرنون كيل)[1]. وتولى بعـــد (سميل) مهام هذه المنظمة مدة ثلاثين عامـــاً وبـــدأ بـــها ضابطاً وارتقى إلى رتبة لواء. وبسبب خلافاته مع رئيس الـــوزراء وينســتون تشرشل فإنه لم يرفع إلى رتبة أعلى أخرى.

وعندما قام حـــاكم ألمانيا قيصر ويليام الثاني بجولة في أنحاء إنكلـــترا عام ١٩١٠ مصطحباً معه قبطاناً من الأسطول الألماني كان عملاء فيرنون كيـلي وباتريك كوين من الفـــرع الخاص يعدون خطوات القيصر وتبين لـــهم كـــثرة تردده على أحد الحلاقين بكثرة وحصل كيل على أذن لقراءة الرسائل الـــواردة لهذا الحلاق .

كان الحلاق كارل كاستافي إنست قناة وصل للعملاء الألمان لذا وضعـه كيل تحت المراقبة الشديدة مع من يقابله .

وقبل أن يسرب الحلاق والعمـــلاء الألمـــان الذيـــن يتعـــاملون معـــه المعلومات إلى ألمانيا تم ضبطهم واعتقالهم.

وبعد .. فإن الفرع العسكري M1-5 قام باعتقال الدكتـــور آرم غـــوارد وكارل غريفز اللذين كانا يتجسسان حول الاسطول الملكي وسجنا ثمانية عشـــر شهراً لقيامهما بجريمة التجسس .

كما اعتقل من هينريتش غراس وفريدريك شرودر وهما يتجسسان .

(١) كان السبب في تدمير حلقات التجسس الألمانية الواسعة في بريطانيا الذين تسللوا لبريطانيا منذ عـــام ١٩٠٢ وقاموا بتنظيم شبكة تجسس واسعة في إنكلترا .

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى في الرابع من شهر آب ١٩١٤ بدأ الفرع العسكري M1-5 باعتقال كل الجواسيس الألمان الموجودين في لندن أمثال :

نيو كاستل بارو وبورست ماوث وساوثابتون وبرايتون وفالماوث ووريك . حتى أن القوات الألمانية فوجئت في المعركة ضد فرنسا عندما وجدت أن الجيش الإنكليزي يدعم فرنسا .

وتم اعتقال معظم الجواسيس الألمان ممن يعملون كصحفيين أو بائعي دخان.. وغيرهم وقد نجح الفرع بالكشف عن النشاطات التجسسية التي قامت بها الجاسوسة الألمانية الحسناء (ماتا هاري) [١] والتي كانت بقيوم بأعمالها التجسسية في فرنسا عام ١٩١٦ .

وعانى هذا الفرع من أعظم نكسة عندما اشتبه بالمدير السابق الجنرال سير روغهوليس أنه عميل روسي تابع لوكالة الاستخبارات الروسية (K.G.B) واستدعى للاستجواب من قبل زملائه .

وقد تشوهت سمعة هذا الفرع بسبب خيانة جيفري برايم وبسبب قضية بيتان. وقامت الخدمات السرية البريطانية باستخدام طرقا خاصة للحصول على المعلومات من الجواسيس الذين تلقي القبض عليهم .. فهم يضعون قناعا على وجه المعتقل (السجين) بشكل لا يستطيع أن يرى شيئا ثم يؤمر بالوقوف قرب جدار يضع أصابع يديه عليه ثم يصرخ أحدهم عند أذنه[٢] وتكرر هذه

---

(١) حذرت ماتا هاري من قبل الفرع العسكري M 1-5 من الانخراط في العمل التجسسي لكنها لم تبال بذلك وقد تم اعتقالها في فرنسا بتهمة التجسس لصالح ألمانيا وقتلت بسبب هذه الجريمة في ١٥ تشرين الأول من عام ١٩١٧.

(٢) يطلق على هذه الصرخة اسم الصرخة البيضاء .

الصرخات عدة مرات حتى يشوش السجين ويذهل وبهذه الطريقة لا يستطيع السجين أن يدعي بأنهم طبقوا عليه التعذيب للاعتراف ويعد ويليام سكاردون التابع لهذه الوكالة من بين العملاء الذين يستطيعون استخلاص المعلومات من المشتبه بهم .

يقوم ويليام أولا بجمع المعلومات والأدلة ضد السجين ثم يواجهه بها ويقنعه بالاعتراف لأن كل الأدلة ضده .

وسكاردون هذا هو الذي اقنع الجاسوس الذري كلوس فوخس بأن يدلي باعترافاته كاملة . كما جعل العميل المزدوج سير أنتوني يلنت يعترف بخيانته .

وقد كتب كيم فيلبي عن ويليام سكاردون قائلا :

- لقد كان خطيرا للغاية ..

وإذا تحدثنا عن جيمس بوند فإننا نشير إلى سيدني ريلي الذي كان يحمل هذا اللقب في عالم الجاسوسية .

وتصوروا أن مبتدع شخصية جيمس بوند الاسطورية القصصية هو ايان فليمنغ كان ينتمي إلى وكالة الاستخبارات العسكرية (M1-5) وهو الذي أوقع في شراكه القائد النازي الشهير رودلف هيس .

ومن الأسماء البارزة في عالم الجاسوسية : وينغ كوناجر فورست وفريدريك بيوثوماس الذي كان جاسوسا في فرنسا التي احتلتها ألمانيا - وأقدم عميل هو المقدم إدوارد بوكسهول وليونارد بيرت الذي اعتقل الكثير من الجواسيس النازيين لكونه قائدا للفرع الاستخباراتي الخاص .

كما تحوي القائمة أسماء عملاء بارعين مثل روريتشيهولم الذي استطاع أن يتسلل إلى وكالة الاستخبارات (G.R.U).

والقائد انتوني كورنتي الزعيم الشهير لوكالة الاستخبارات العسكرية M1-6. والسير مانزفيلد كمينغ والأب الأول للخدمات السرية البريطانية السير كلود داينسي. أما الاستخبارات العسكرية M1-6 فقد بدأت عام ١٩١١ بقيادة سيد التجسس في عصر اليزابيث (سيرمزانسيس ولينغهام) .

إن بريطانيا لا تعترف بهذه الوكالة رسميا إن سجلاتها تكشف عن ملايين الجنيهات الاسترلينية التي أنفقتها .

وفي عام١٩٨٢ انفقت الحكومة البريطانية ٦٦ مليون جنيه استرليني على هذه الوكالة. وكان زعيمها الأول السير مانزفيلد كمينغ علما اسطوريا في عالم الجاسوسية وكان يعرف في الخدمة بأول حرف من اسمه (C) .

وأكبر نكسة لهذه الوكالة عندما ثبت أن أربعة من عملائها كانوا عملاء مزدوجين يعملون لصالح روسيا .

فالعميلان (بورغيس وماكلين) باحا بمعلومات سرية للغاية إلى الروس. كما تأكدت خيانة كل من جورج بلبيك وسير أنتوني بلنت.

إلا أن كيم فيلبي رغم أنه كان مديرا لهذه الوكالة فقد كان يعمل لصالح وكالات الاستخبارات الروسية (K.G.B) في الوقت نفسه .

وقد عمل في هذه الوكالة العميل الروسي العقيد بينكوفسك الذي كان يعمل لصالح الاستخبارات العسكرية السوفيتية وقد أباح بكل شيء يتعلق بنشاطات وطرق عمل الـ K.G.B و .G.R.U .

مركز قيادة الاتصالات الحكومية GCHQ يعتبر مركز قيادة الاتصالات الحكومية كمنظمة استخبارية رمزية سرية للغاية .

كانت بداياتها في غرفة ضمن الادميرالية البحرية وقد نشطت خلال الحرب العالمية الأولى .

والقائد الستايرديسنتون أحد الأعضاء المؤسسين لهذه المجموعة البحرية. وقد استطاعت هذه المجموعة حل حوالي ١٥,٠٠٠ رسالة ألمانية سرية مشفرة . ومع مرور الوقت أصبحت مدرسة تشفيرية وتنقيطية في بليتشي أثناء الحرب العالمية الثانية.

ويعمل مركز قيادة الاتصالات الحكومية مع وكالة الأمن الوطنية الأمريكية. وقد استطاع ويليام فريدمان أن يحل لغز آلة الرمز اليابانية المعرفة باسم (الارجوان) ووقع الاتفاق عام ١٩٤٧ بين بريطانيا وأمريكا وكندا واستراليا ونيوزيلندا لإقامة تعاون استخباراتي رمزي لتبادل الرسائل السرية وحلها .

ويعمل في مكاتب مركز قيادة الاتصالات الحكومية في تشلنتهايم ٦٥٠٠ شخص .

كما يقوم المركز بتشغيل مكاتب أخرى في قبرص وهونغ كونغ وبرلين. منظمة الاستخبارات المشتركة (J10) وهي أعلى هيئة استخبارية في بريطانيا تتألف من رئيس خدمة الاستخبارات السرية M1-6 والمدير العام للأمن M1-5 ومدير مركز قيادة الاتصالات الحكومية والمدير العام للاستخبارات في وزارة الدفاع ونائب مدير هيئة الاستخبارات للشؤون الدفاعية والقائم بالتنسيق بين المخابرات والأمن وبعض موظفي الخدمة السرية الخارجية .

كما تشمل هذه المنظمة أعضاء يمثلون الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا ونيوزيلندا ووظيفة هذه المنظمة إعطاء تقديرات للوزراء

والموظفين الكبار حول التطورات والأوضاع الخارجية في أنحاء العالم وتعتمد على هذه التقديرات على المعلومات والبرقيات والتقارير الدبلوماسية . وهي همزة الوصل بين المخابرات والأمن.

وقد ترأس هذه المنظمة قبل حرب الفوكلاند نائب وزير الخارجية وأصبح هذا المنصب دائما ويقوم الآن وزير الخارجية بتعيين رئيسها مباشرة .

وفي عام ١٩٨٣ عين أول رجل في هذا المنصب السيرانتوني دوف كدبلوماسي دائم .

الفرع الخاص:

وهو فرع استخباراتي خاص تابع للبوليس البريطاني تأسس عام ١٨٨٣ في لندن لمواجهة نشاط الارهابيين الايرلنديين . وتبلغ قوته العاملة حوالي ١٦٠٠ رجل. وفي كل بلد في بريطانيا أعضاء من هذا الفرع ووظيفتهم مراقبة النشاطات الغير قانونية. ويتولى أمر الارهاب الدولي حاليا .

وقد قال روي جينكينس وزير الداخلية البريطانية السابق :

"إن مهمة الفرع هذا هو التدمير .. والتدمير الممكن فقط " .

إن على هذا الفرع تولي شؤون النشاطات التي تضعف نظام الحزب الديمقراطي.

مخابرات حل الشيفرة (الألترا) ULTRA:

وتتعامل هذه المخابرات مع الرسائل فوق السرية بواسطة آلة التشفير الألمانية الكهروميكانيكية ذات اسطوانات ودواليب .

وظهرت هذه الآلة عام ١٩٢٦ وتبنت القوات المسلحة الألمانية هذه الآلة لإرسال الرسائل السرية . وتوصل هذه الآلة بآلتي كتابة متصلتين بالعجلات الدائرة الحاوية كل منها على ٢٦ رمزا للشيفرة .

وقد سرق البريطانيون هذه الآلة عام ١٩٣٩، وحلوا الشيفرة بمساعدة الفرنسيين والبولنديين . وبنيت مؤسسة في أربليتشلي التي تبعد ٥٠ ميلا عن لندن وسميت هذه المؤسسة (المدرسة الحكومية لمبادئ الشيفرة والتشفير) وتقوم بتصنيف المعلومات المكتوبة بلغة الشيفرة ULTRA . وقد أشرف على هذه المدرسة صاحب هذه الآلة تورينغ لجنة الإعلانات .

قامت بريطانيا بانشاء هذه الصحافة الدفاعية واللجنة الإذاعية والتي عرفت باسم (لجنة الإعلانات الدفاعية) لتبقى الأمور الدفاعية سرية .

وأعضاء هذه اللجنة من بين موظفي المكاتب والصحافة وتتولى نشر الإعلانات المتعلقة بأمور لا يمكن إذاعتها .

ومن الأمور السرية التي لا يمكن نشرها هي :

١- الخدمات الأمنية السرية .
٢- الشؤون العسكرية .
٣- التفاصيل المتعلقة بقدرة الأسلحة النووية .
٤- الاستعدادات الحربية .
٥- التجهيزات الحربية السرية .
٦- المخابرات والتجسس المضاد .
٧- الاتصالات الدبلوماسية .
٨- لغة الشيفرة .
٩- عدم نشر أسماء مدراء الوكالات السرية وشرح طريقة أعمالهم.

النساء والجاسوسية :

لقد شاركت النساء في الجاسوسية وما يزلن حتى يومنا هـــذا.. وهـــن يعملن في جميع أجهزة المخابرات عند جميع الدول .

والمسؤولون عن المخابرات يكلفونهن بملاحقة الضحايـــات والتعـــرف على أسرارهم والتظاهر بحبهم ومشاركتهم في طعامهم وشرابهم .. وفراشـــهم لاستخلاص ما يمكن استخلاصه منهم من الأخبار وهم سكارى وفي نشـــوتهم الجنسية .

تجد النساء يعملن في كل مكان .. في الدائرة .. في البار .. في المطعم .. ويدرن حول الزبائن للخدمة وعرض الخدمات .. وقـــد أهرهفـــن آذانـــهن ليستمعن إلى كل كلمة أو تعليق يصدر عن الجنود والضبـــاط الذيـــن يتنـــاول طعامهم وشرابهم ويتحدثون مع زملائهم دون أن يشعروا أن تلـــك الخادمـــات يتجسسن عليهم ويلتقطن كل كلمة يسمعنها منهم .

وبعض النساء اللواتي احترفن الجاسوسية حرفة وصلـــن إلـــى أعلـــى المراتب.. وبعضهن قبعن في السجون ..

وبعضهن الآخر علقن على أعواد المشانق .

الجاسوسة فلورا :

لم يكن أحد يعرف عنها شيئا .. حتى بعض رجال دائرة الاســتخبارات الإنجليزية أنفسهم لم يكونوا يعرفون عنها شيئا بالرغم أنها كانت تتردد علـــى دائرتهم وتجتمع إلى بعض رؤسائهم .

هذه هي فلورا الفتاة الإنجليزية الجميلة ..

فلورا الجاسوسة الجريئة ..

هذه المرأة التي تعرف العديد من اللغات وحظيت من العلم نصيبا كبيرا.. فهي امرأة داهية إن دخلت مأزق خرجت منه لتوقع من أوقعها فيه .

انخرطت هذه الفتاة الجذابة في سلك الجاسوسية لدوائر الاستخبارات الإنجليزية .. وكلفت بأصعب المهمات واعقدها وأخطرها ..

ولهذا كانت تستعمل لباقتها وجاذبيتها وأنوثتها الساحرة لمعرفة أسرار الوزراء وكبار الضباط حتى الجواسيس المحنكين منهم .

هذه المرأة التي ما يكاد يقع أحد في حبالها حتى تنتزع منه أسراره وأوراقه.. فلورا كانت من الجمال والروعة بحيث كان يقع في حبها كل من يراها ..

ويقال أن أحد كبار الفرنسيين عرض عليها أن يترك عائلته وأولاده ويتزوجها فرفضت فلوا عرضه .

وهذا رئيس احدى الوزارات الإيطالية الذي جن في حبها وكيف أنه لم يعد يفارقها مما كان حديث المجتمعات الإيطالية في بداية الحرب العالمية الأولى .

وفي عام ١٩١٥ عرف رجال الاستخبارات البريطانية بوجود أحد كبار جواسيس الألمان في سويسرا فبعثوا بفلورا إليه لتنتزع منه أسراره .

وكان هذا الجاسوس يطلق على نفسه (الأستاذ أهرادت) ويدعي أنه عالم آثار.. ولذا لم يكن يسمح لأحد بدخول غرفته التي يقطنها في النزل بحجة أنه لا يريد أن يعبث أحد بمجموعة الآثار التي يحتفظ بها في غرفته .

حتى أن مفتاح غرفته كان خاصا به وليس في الفندق مثله . إن الآثار القديمة التي ادعى أنها في غرفته ما هي بالحقيقة إلا عبارة عن نظام للجاسوسية الألمانية وأغراضها وأسماء رجالها في سويسرا وهذا ما تريد المخابرات البريطانية الحصول عليه لتكمل ما لديها من معلومات عن نظام الجاسوسية الألمانية . وأن تبرهن للسلطات السويسرية بأن الأستاذ أهرادت يعمل لحساب مصلحة الجاسوسية الألمانية وهو ما يجعل حكومة سويسرا أن تقوم بإبعاده عن بلادها .

نزلت فلورا في نفس الفندق الذي يقطنه اهرادت وحاولت أن تستلفت نظره إليها حتى أوقعته بشباكها .. وحبها .

بعد أيام دعاها اهرادت إلى غرفته لتناول قدح من الشراب .. وبعد أن احتسيا الخمرة طلبت فلورا منه أن يحضر لها غرضا من الصالون كانت قد نسته. وكان المفروض بالجاسوس أن لا يغادر غرفته وفيها أسراره .. ولكنه ذهب .. فقامت فلورا إلى أوراقه ووضعتها في محفظتها وهمت بالهرب لولا أن فتح الباب فجأة وظهر على عتبته سكرتير ألماني كان ينظر بعين حاقدة إلى ما ينصرف إليه رئيسه من عبث ولهو ..

ولما جاء الألماني وعرف أن فلورا قد أخذت أوراقه أقسم أن يسلمها للبوليس فلاطفته فلورا ووعدته بأن تعطيه أسماء الجواسيس الإنكليز وأخبارهم في ألمانيا مقابل إخلاء سبيلها .

ووافق الألماني على ذلك وأخذ يكتب ما تمليه عليه فلورا من أسرار .. وفي الصباح تركته فلورا وخرجت بينما ذهب هو ليبعث بتقريره إلى حكومته . سافرت فلورا من سويسرا فور خروجها بينما تلقى الألماني بعد أيام كتابا من حكومته تلومه وتوبخه على تقريره العاري من الحقيقة والصحة والواقع .

وقد استغرب الألمان عندما علموا أن فلورا كانت تتنقل في ألمانيا طوال الحرب العالمية وكانت تزور كل مدنها .

وكانت تحمل جوازا هولنديا ليس فيه ما يدعو للشك ..

كان هدف فلورا الوصول إلى الشيفرة الألمانية الحربية ولكنها لم تتمكن لصعوبة الأمر، إلا أنها استطاعت أن تحصل على الشيفرة التي تتخابر بواسطتها المدرعات الألمانية حينما تكون في عرض البحر وهذا ما ساعد الاستخبارات الإنجليزية على معرفة أغراض الألمان في معركة جوتلندا البحرية .

ومما قامت به فلورا أنها تمكنت من سرقة الشيفرة الألمانية الخاصة بالمخابرات بين سفن الأسطول الألماني وذلك لما وقع أحد الضباط الألمان في غرامها وأخذها معه لزيارة الطراد الذي يقوده .

وكانت المخابرات الإنجليزية تعمل في أوروبا ويعمل رجالها في الشرق.. في الجزيرة العربية وسورية ولبنان .

وكان الكولونيل (لورانس) أكثرهم حركة وأشدهم كرها للانتداب الفرنسي. يقول أحد الكتاب الفرنسيين يصف حركات لورنس ونشاطه :

"لم يكتف لورانس بما كان يحاوله من التهوين من نفوذنا في الشرق وإزالته، بل راح أيضا يعمل لإثارة القبائل والشعب العربي ضدنا حتى كانت الثورة السورية. ذلك أن رجال الاستخبارات الإنجليز لم يقبلوا ولا رضوا بقرار عصبة الأمم على انتداب فرنسا في البلدين " .

وكانوا ينظرون إلينا كدخلاء من الواجب إخراجنا من هذه المنطقة ليصبح بمقدورهم ضم سوريا ولبنان إلى امبراطوريتهم الواسعة الأطراف .

أو وضعها تحت النفوذ الإنجليزي كما فعلوا في البلاد العربية الأخرى.

ولما تقدم الجنرال اللنبي بجيشه إلى فلسطين وسورية وذلك قبل الهدنة بأيام قام رجال الاستخبارات الإنجليزية بنظمون الإمبراطورية العربية الجديدة التي قدروا أنها سوف تساندهم وتخضع لنفوذهم .

وقام أحد رجالهم وهو الجنرال (مود) الذي كان قائدا للقوات الإنجليزية في العراق باصدار منشور حيا فيه الشعب العربي الذي ضحى بدمائه في سبيل استقلاله. والذي ستكون بريطانيا أكبر مساعد له على تحقيق أمانيه بحيث يعود للأمة العربية ماضيها المجيد بمساعدة جيوش صاحب الجلالة.

لكن الفرنسيين ثبتوا في مراكزهم في سورية ولبنان ودافعوا عن انتدابهم وأبوا التخلي عنه ، فقاومهم رجال الاستخبارات الإنجليز. وحاربوهم بمختلف الأسلحة حتى كانت الثورة السورية في سنة ١٩٢٦ .

وكان الماجور (ماكالوم) الضابط العسكري الملحق في القنصلية الإنجليزية في بيروت يساعد لورانس في سياسته هذه .

وإذا كانت الخطة الإنجليزية لم تنجح فسبب ذلك كما يقول الفرنسيون أن لورانس وأنصاره وجدوا في الكابتن دي كاربنتري الفرنسي خصما عنيدا ، وهذا الضابط الشاب الذي تمكن من الوقوف في وجه اللنبي ولورانس وماكالوم لم يكن من أولئك الذين ينصرفون لقراءة التقارير في الغرف المغلقة، وإنما كان همه أن يبحث بنفسه وأن يشرف بعينه على كل ما يحاك من مكائد .

ولقد أحس المارشال اللنبي بخطورة هذا الكابتن فقال عنه يوما :

- "إن باستطاعته أن يقوم مقام فرقة من الجند" .

ولكن دائرة الاستخبارات الإنجليزية راحت تحارب خصمها العنيد وساعدتها الأقدار فأصيب هذا الضابط الفرنسي برصاصة طائشة سقط ميتا على الأرض السورية التي كان يعمل عليها .

وليس بالميسور أن نتناول تأريخ هذا العراك بيننا وبين حلفائنا الإنجليز فقد كان شديدا وعنيفا ..

ولعل انهيار الفرنك أحد مظاهر هذا العراك الشديد الهائل . وكان لورانس وماكالوم يصارحنا العداء على رؤوس الأشهاد ويقدمان المال والرأي لأعدائنا دونما تردد ولا خفاء .

ولقد حدث يوما أن نشط الأكراد ضدنا فأوقعوا بعض جنودنا في كمين سقط فيه رجالنا صرعى الواحد تلو الآخر وسقط معهم في هذه المعركة بعض خصومنا أيضا . ولما أرسلنا فرقة من جنودنا لتعقب الجناة وجدنا في جيوب بعض الأكراد الذين سقطوا في العراك ما يؤكد علاقتهم بالاستخبارات الإنجليزية .

حوادث مثيرة ذهب ضحيتها ٢٢ من العلماء البريطانيين والمشاركين بالبرنامج الأمريكي المسمى (المبادرة الإستراتيجية الدفاعية) أو كما يعرفها الإعلام بـ "حرب النجوم" لقد وقعت في ظروف متشابهة أدت إلى مصرعهم وسجلت على إنها حوادث انتحار.

وللتحقيق تحركت المخابرات الأمريكية ومخابرات منظمة حلف الأطلسي للكشف عن هذا اللغز وقد طلب البنتاغون من وزارة الدفاع البريطانية إشراكه في التحقيقات التي تجري في بريطانيا بعدما لقي ثلاثة علماء

بريطانيين حتفهم في حوادث غامضة خلال شهري آب وأيلول ١٩٨٣ وتبين أنهم من المشتغلين بجوانب من البرنامج الأمريكي لإنتاج نظام أسلحة فضائي مضاد للصواريخ العابرة للقارات .

المسؤولون الأمريكيون يلاحظون أن الحوادث العشرة وقعت خلال الفترة منذ اشتراك بريطانيا في أبحاث برنامج (حرب النجوم) الأمريكي الذي أطلقه الرئيس ريغان في آذار ١٩٨٣ وبعدها راح أندروهول ٣٣ عاما ضحية أمور غامضة . وهول هذا مهندس متخصص في علوم الفضاء ويعمل في شركة إليروسبيس البريطانية وهي في الواقع مؤسسة أمريكية - بريطانية مشتركة .

لقد عثر على هول مختنقا داخل سيارته بعد تسرب الغاز من عادم السيارة إلى داخلها وقيدت السلطات البريطانية الحادث على أنه انتحار .

وقبل هول بشهر واحد عثرت الشرطة البريطانية على اليستيربيكهام وهو مهندس فضاء يعمل في شركة بليسي الأمريكية ميتا في كوخ صغير بحديقة منزله وقد قيد بأسلاك كهربائية ممتدة من داخل البيت وقد صعقه التيار الكهربائي .

ورغم ملابسات الحادث إلا أن السلطات البريطانية اعتبرت الوفاة حادث انتحار أيضا . بالرغم من أسرة القتيل تصر على أنه قتل وأنه لا يعاني أي اضطراب نفسي واكتئابي ولا توجد لديه أي مشكلات شخصية أو مهنية .

لقد طلب الممثلين العسكريين للولايات المتحدة لدى منظمة حلف الأطلسي من سلطات الاستخبارات في مقر الحلف في بروكسل التدخل لدى السلطات البريطانية للحصول منهم على تقرير عن مسلسل الاغتيالات ضد

العلماء الذين يشتغلون على أبحاث برنامج حرب النجوم الأمريكي .

وقد توصلت استخبارات الأطلسي إلى معلومة تؤكد الشكوك الأمريكية إذ تبين أن خمسة من العلماء المغدورين كانوا يشغلون مناصب حساسة لدى مؤسسة ماركوني البريطانية وهي مؤسسة تنفذ عقود الأبحاث العسكرية الأمريكية في إطار برنامج حرب النجوم .

وتبين أنه في ثلاث من هذه الحالات الخمس كانت الوفاة ناتجة عن تسرب الغاز من العادم إلى داخل السيارة وإن أحد العلماء الخمسة-الذين لقوا مصرعهم كانوا يشغلون مناصب حساسة في الشركة وهو من أصل عربي واسمه أسعد شريف وقد وجد داخل سيارته مختنقا بحبل لف حول رقبته ولف طرفه الآخر إلى شجرة على الطريق وقد وقع الحادث في تشرين الأول ١٩٨٦.

وتقول مصادر البنتاغون أن اثنين من العلماء القتلى البريطانيين يشتغلون في مناصب رسمية في الحكومة البريطانية أحدهم اسمه ريتشارد بوغ وكان خبيرا في الكومبيوتر في وزارة الدفاع البريطانية والثاني جون بريتان من أساتذة الكلية العسكرية الملكية البريطانية أو بعد هذا تسأل : من اغتال هؤلاء العلماء ؟ .

إذا اردت الجواب فعد لقراءة موضوع وكالات الاستخبارات في بريطانيا ..

الخدمات السرية الصهيونية

الموساد - المعهد المركزي للاستخبارات والمهام الخاصة

نشأت إسرائيل بموجب دستور صدر عن الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية لإقامة وطن لليهود المتشتتين في بلدان كثيرة من العالم لتحقيق طموحاتهم السياسية . وعلى إسرائيل منذ البداية أن تواجه عداء البلدان العربية لها بسبب إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين العربية المغتصبة دون حق شرعي لها .

وقد كانت هناك الكثير من الجماعات المنشقة التي تقوم بالتجسس لصالح عدد من المنظمات اليهودية قبل تأسيس إسرائيل . وقد أمر رئيس الوزراء بن غوريون بتأسيس خدمة استخبارية سرية في حزيران من عام ١٩٤٨ ونظمها ضمن ثلاثة أقسام:

الأول: مكتب الاستخبارات العسكرية ويحوي قسم التجسس المضاد .

الثاني: القسم السياسي التابع لوزارة الخارجية وعمله جمع المعلومات الخارجية.

الثالث: (شين بيت) وهو قسم الأمن .

وفي عام ١٩٥١ أعيد تنظيم جهاز الاستخبارات الإسرائيلي ونشأت منظمة الاستخبارات الإسرائيلية المعروفة باسم (الموساد) وأخذت على عاتقها أمور التجسس التابعة للقسم السياسي في وزارة الخارجية كما تولت أعمال خاصة .

وكان على مدير الموساد أن يكتب تقاريره إلى رئيس الوزراء مباشرة.

وتتمتع الموساد منذ نشأتها بميزتين رئيسيتين :

الأولى: وجود أعداد كبيرة من السكان اليهود منتشرين في جميع البلدان وهـــذا مما يسهل عليها الحصول على المساعدة والعملاء منهم دون صعوبة .

الثانية: إن اسرائيل في حالة حرب منذ نشأتها كون دولتها اللقيطة قـــد قـامت غصباً ودون حق شرعي في أرض فلسطين .

وبما أن هؤلاء العملاء منخرطون في معركة من أجل البقاء لذلك فـــهم لا يترددون باستخدام أي طريقة لتحقيق أهدافهم مهما كانت كالاغتيالات التـــي تقوم بها.

ويعتبر روبين شيلوتش أول مدير للموساد ونصب رئيساً للجنـــة أمـــن الدولة. وتتألف هذه اللجنة من رؤســاء منظمة الشـــين بيـت والمخـــابرات العسكرية والفرع الخاص التـــابع لقـــوى الشـــرطة وتحـــت إشـــراف وكالـــة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) وتدريبها .

ولم تمض أشهر قليلة حتى تحولت إلى وكالة ســـرية رهيبـــة وعلـــى مستوى عالمي وقادرة على تقنيات التجسس الحديثة وأجهزتها المتطورة .

والموساد خبيرة باستعمال الأجهزة الالكترونية في العمل التجسسي إلـى جانب توظيفها علماء الرياضيات .

كما أن علماء الشيفرة عندهم من النوع الحاذق المميز . وهنـــاك قســـم خاص في الموساد يعمل على نشـــر الإشاعات بالتعاون مع الوكالات الغربيـــة وقد تم اكتشاف عناصر الموساد في شبـــه القارة الهندية ، فعندما قـــدم فريـــق التنس الإسرائيلي إلى الهند عام ١٩٨٧ للمشاركة بمباراة كأس ديفيـــس كـــان

يرافق هذا الفريق عدد من أعضاء المـوساد للحماية عندما خشي الإسـرائيليون وجود فدائيين تابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية يقومـون باغتيـال اللاعبيـن اليهود ، واستطاعت الهند اكتشاف بعض العنـاصر مـن منظمـة التحريـر الفلسطينية (P.L.O.) .

كما تم اكتشاف عناصر الموساد في سيريلانكا حيـث كـانت تـدرب الجيش السيرلانكي لكي يمسك بالمتطرفين الذين ينتسبون إلى منظمات التاميل .

كما قامت الموساد بتنفيذ عدد من العمليات الناجحة الهامة من التجسس في العالم . وقامت هذه الوكالة باختطاف ادولف ايتشمان من الارجنتين .

ورتبت لقتل العلماء النازيين العاملين في مصر .

وفي عام ١٩٦٩ قامت باختطاف خمسة زوارق مدفعيـة مـن ميناء تشيربورغ. كما قامت الموساد بسرقة ٢٠٠ طن من أوكسيد اليورانيـوم مـن العراق من أجل دعم برنامجهم النووي .

كما قامت الموساد بتنظيم وحدة عسكرية خاصة على الخطوط الجويـة البريطانية للخدمة الخاصة وتدعى هذه الوحدة (سياريت ماتكال) وهـي هيئـة استطلاعية عـامة يديرها رئيس المخابرات وتبلغ قوتها ٢٠٠ رجـل ويرمـز لهذه الوحدة اسم (غيز) .

وفي عام ١٩٦٠ تلطخت سمعة الموساد عندما اختطفت أدولف ايتشمان من الأرجنتين ويعتبر هذا الرجل أكبر مجرم حرب مطلوب فهو القائد الألمـاني المشهور الذي كان له دور فاعل في تنفيذ إبادة اليهود في ألمانيا وكان فر إلـى جنوب أمريكا بعد الحرب منتحلاً اسماً جديداً .

أما الرجل الثاني في الموساد فهو أبيسر هاريل وكان أولى مهامه اقتفاء أثر ايتشمان إلى عميل له اسمه لوبيا فريدمان . وقد تم خطفه أثناء الذكرى السنوية المئة والخمسين لعيد الحرية في الأرجنتين وقد تم الاختطاف واخذه مع الوفد الإسرائيلي الذي حضر للأرجنتين وإليك **طريقة الاختطاف :**

توقفت سيارة أمام المنزل المقابل للمنزل الذي يقطنه إيتشمان وكان بداخلها أربعة أشخاص بينما كان الخامس يتمشى على الطريق قرب السيارة . وعاد ايتشمان من عمله وقت الغسق فإذا بضربة يتلقاها على رأسه تفقده وعيه ونقل بسرعة إلى السيارة .

وقت تمت العملية بدون ضجة ودون أن يشتبه أحد بها .. وأخذ ايتشمان وربط لعودة الطائرة بعد ٩ أيام إلى اسرائيل .

وخلال هذه الفترة أعطي ايتشمان حقناً كثيرة مما أفقدته القدرة على الكلام وفقد بصره كذلك .

ووصل عدد كبير من الإسرائيليين إلى مطار بوينس آيرس في اليوم الذي كانت ستحلق فيه طائرتهم لتعود إلى إسرائيل .

وأخبر مرافقوه السلطات في المطار أنه مريض جداً فأجلس ايتشمان في الطائرة التي أقلته إلى إسرائيل .

وقد حوكم ايتشمان عام ١٩٦٢ وشنق ولم يتم دفنه بل أحرقه اليهود ونثروا رماده في البحر .

وبدأ الصهاينة عام ١٩٦٢ عملية (داموكليس) لتعذيب وقتل العلماء النازيين الألمان الذين كانوا يعملون لصالح الرئيس المصري جمال عبد الناصر في مصر.

ومضى عميلان تابعان للموساد بتعذيب عائلة أحد العلمـــاء التـــي تـــم اعتقالها في سويسرا . ونجم عن ذلك استقالة آيسر هاريل رئيس الموساد .

وتجددت عملية داموكليس ثانية عندما استخدم الموساد التكتيك لاغتيـــال العلماء الذين يبنون المفاعل النووي في العراق خوفاً من إجراء برنامج لصـــالح العرب ضد اسرائيل .

وفي عام ١٩٦٨ قامت الموساد بتنفيذ عملية ناجحة أخرى أطلق عليـــها اسم (بلومبات) الذي حصلت فيه على اليورانيوم تقدر كميته بـــ ٢٠٠ طن .

وحصلت العملية على الشكل التالي :

حملت السفينة سكيربيرغز ٥٦٠ برميلاً من أوكسيد اليورانيـــوم فـــي انتويري . واشترت شركة أسمدة تشيمي في مدينة هيتنهيم في ألمانيا الغربيـــة هذه الكمية من أوكسيد اليورانيوم من شركة بليغاين العامة في مينارو .

وكانت هذه السفينة ستذهب بهذه الحملة إلى شـــركة ايطاليـــة اســـمها (سايكا) لكي تستعمل كمادة كمياوية حالة في صناعة النفط وفجأة اختفت هـــذه السفينة والوديعة معا من البحر ثم ظهرت ثانية تحت اسم وعلم مختلفين .

وقد اعترف عميل الموساد (دان اربل) الذي اعتقـــل فـــي الـــنرويج ، اعترف أن له دورا في تلك العملية .

وفي عام ١٩٦٩ نفذت الموساد عملية تهريب خمســـة زوارق مدفعيـــة من ميناء تشيربورغ وقام الصهاينة بتصميم هذه الزوارق ثم بنوها في مصنـــع السفن الكائن في ميناء تشيربورغ إلا أنه لم يسمح بتســـليم هـــذه الـــزوارق للصهـــاينة بسبب الحظر المفروض عليهم مـــن قبـــل الجـــنرال الفرنـــسي

(ديغول)[1] بعدم تزويد اسرائيل بالأسلحة كرد على الغارة التي قام بها المظليون الصهاينة على مطار بيروت في ٢٨ كانون الأول من عام ١٩٦٨ .

وفي تشرين الثاني ١٩٦٩ أسس الصهاينة شركة بحرية مزيفة اسمها (الزورق النجمي) وبدأت هذه الشركة مفاوضاتها لشراء هذه الزوارق المدفعية .

وقد تسلل المزيد من الصهاينة كبحارة إلى ميناء تشيربورغ خلال شهر كانون الأول وملأت الزوارق وقوداً لتنفيذ الرحلات التجريبية عليها .

وفي يوم الميلاد غادرت هذه الزوارق إلى عرض البحر ومن ثم إلى اسرائيل. وقد أطلقوا على هذه العملية (سفينة نوح) ·

وفي عام ١٩٧٣ نفذت الموساد عملية اغتيال القادة الفلسطينيين .

وقامت الموساد بعملية إرهابية لاستعادة الطائرة المختطفة سنة ١٩٧٦ من انتيب في أوغندة وكانت هذه الطائرة قد اختطفها الفدائيون الفلسطينيون إلى أوغندة .

وتتلخص العملية كالتالي :

---

(١) ديغول شارل اندريه جوزيف ماري (١٨٩٠-١٩٧٠) زعيم فرنسي ورئيس رسا (١٩٥٨-١٩٦٩) محارب وطني شجاع . كان خبيراً في الحرب الميكانيكية في العشرينات وحاول حمل الحكومة الفرنسية على تحديث جيشها وأصبح جنرالاً في بداية الحرب العالمية الثانية. وقد احتل النازيون فرنسا عام ١٩٤٠ غادرها ديغول إلى إنكلترا بقصد الحصول على المساعدة . ولكن الفرنسيين استسلموا لهتلر أثناء غيابه فرفض ذلك وجعل نفسه قائداً للجبهة الوطنية لفرنسا الحرة في لندن التي كان له هدف واحد هو العودة إلى فرنسا وطرد الألمان . وفي عام ١٩٤٤ أخرج الحلفاء الألمان من فرنسا ودخل ديغول باريس منتصراً مشياً على الأقدام وانتخبه الشعب بعد الحرب رئيساً للوزراء ولكنه نفي عام ١٩٤٦ فبقي في منفاه ثلاث عشرة سنة إلى أن عاد للسلطة عام ١٩٥٨ وكان في هذه المرة رئيساً للدولة والحكومة وحكمها حكماً فردياً قرابة عشرين عاماً .

هبط مظليون صهاينة في مطار إنتيب في هدأة الليل واختطفوا هذه الطائرة برغم كون المطار متقل بالحراسة .

وأرسلت الصهيونية فريقاً شاباً من ذوي الخبرة ليهاجموا المصالح البريطانية والأمريكية بالقنابل في القاهرة والإسكندرية للحيلولة دون التوصل إلى تفاهم بين القوى الغربية والرئيس المصري جمال عبد الناصر إلا أن قنبلة انفجرت في جيب أحد العملاء وفشلت الخطة وتم اعتقال جميع هذه العصابة ومن بينهم العميل المحترف ماكس بينيت وحكم على اثنين منهم بالإعدام وعلى ستة بالسجن المؤبد وانتحر ماكس بينيت في السجنْ ويقال إن واحداً منهم اسمه بول فرانك استطاع أن يدبر حيلة وسمح له المصريون بالفرار.

وقد تم إلقاء اللوم على وزير الدفاع بيتاس لافون بسبب فشل هذه العملية واستقال من منصبه . واعتزل بن غوريون عن الحياة السياسية . كما تمت إعادة تنظيم المخابرات العسكرية الصهيونية وتم استبدال أولئك السجناء الستة بالسجناء المصريين الذين اعتقلوا في حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ .

وفي تموز ١٩٧٥ قتل الموساد الخادم المغربي في النرويج إذ اشتبهت به على أنه المدعو علي حسن سلامة الذي ساهم في عملية قتل الرياضيين الصهاينة خلال أولمبياد ميونخ .

وقتل علي حسن سلامة فيما بعد في بيروت بإلقاء قنبلة عليه .

وفي عام ١٩٧٣ شهد عجز الموساد عن توقع الهجوم المصري والسوري والذي سمي بيوم الغفران وقد قام فدائيون فلسطينيون باختطاف ثلاثة مهاجرين يهود وأخذوهم كرهائن إلى فيّنا واجبروا تشانسلور

برونوكريكسي على الموافقة على مطلبهم وهو إغلاق معسكر العبـور لليـهود الروس .

بانتصار العرب في حرب تشرين ١٩٧٣ أصبحت سمعة الموساد فـي الحضيض .

الموساد يقولون إن القتل مشروع في العمل التجسسي .

الموساد يقولون إن القتل مشروع ضد أعداء المعتقدات اليهودية .

الموساد يقولون إن النضال العربي ضدهم هو عـدوان ضـد دولتـهم ..ولذلك لهم الحق أن يستخدموا الإرهاب ضدهم .

ومـن بين الأسماء المشهورة التي خدمت في الموساد ناهوم أدنوتـي الذي أصبح رئيساً للموساد سنة ١٩٨٢ .

ومير أدميت الذي جعل من الموساد قوة إرهابية .

وإيلي كوهين الذي شنق في دمشق لقيامه بالتجسس لصالح الموساد .

فما قصة إيلي كوهين ؟

هو إلياهو بن شول كوهين ، دخل سوريا عام ١٩٦٢ تحت اسم كـامل أمين ثابت ، وكوهين من مواليد الإسكندرية حي الازاريطة عـام ١٩٢٤ ولـد لأبوين يهوديين ثم تعلم الإرهاب والتجسس .

في مطلع حياته .. في عام ١٩٤٠ أحب فتاة مصرية مسـلمة تدعـى (لواحظ) وأحبته إلا إن والده اعترض طريقه قائلاً أتتزوج من مسلمة ؟ يجـب عليك أن تتزوج من يهودية لتنجب أبناء يهود من أجل خدمة إسرائيل العظمى .

وهكذا تلاشى الحب من قلب كوهين .. بهذه السرعة .

وفي عام ١٩٤٤ التحق كوهين لجهاز الموساد بواسطة يوسي صديقه اليهودي الشاب ودخل في دورة استخبارية في الإسكندرية وأشرف على تدريبه ضابط يهودي هو الكابتن جو يعمل في المخابرات العسكرية الإنكليزية وهو عميل مزدوج إذ كان يعمل مع الإنكليز ومع الهاغانة في آن واحد .

وقد تدرب كوهين على فنون التجسس وجمع المعلومات وتصنيع المتفجرات واستخدامها ونقل المعلومات بالراديو وبالحبر السري وبناء العلاقات وغير ذلك .

ثم تولى حاييم من تدريب كوهين وأمره بالانخراط في المنظمات اليهودية المصرية فدخل منظمة جيهالوز ومنظمة مكابي ومنظمة هابونيم .

وخلال حرب فلسطين ساهم مع زملائه في بناء شبكة لنقل المعلومات عن الجيش المصري وتحركاته .

ومن خلال الجاسوسة (سارة) أمر أن يقوم بمهمات جديدة في مصر وكانت العملية (غوشين) مساهمته في نقل يهود مصر إلى إسرائيل والاتصال مع من تبقى منهم والاتصال مع راقصة مصرية مشهورة.

وقد نجح بمهمة (غوشين) .. وكانت المعلومات الدقيقة عن الجيش المصري ينقلها أولاً بأول إلى(سارة) .

حتى انه نقل إلى سارة تحرك الجيش ليلاً (كان يظنه تحرك روتيني) إلا انه كشف في اليوم التالي ماهو إلا ثورة الجيش على الملك فاروق (ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢) .

وكان كوهين مغرماً بسارة وصارحها بحبه إلا انها أعرضت عنه أبدت استعداداتها لمبادلته العلاقة الجنسية فقط .

وفي عملية (لافون) رأى موشي ديان وزير الحرب الإســـرائيلي أن لايكون هدف العملية تخريب المصالح الأمريكية في مصر إلا أن (لافـــون) أصر على تخريب المصالح الأمريكية - المصرية وأشرك كوهين بها ..

وقد نجح كوهين بتنفيذ كل ما طلب منه بدقة وحذر .

واستدعى كوهين للتحقيق في المخابرات المصريـــة ووضــــع ملــف خاص به وأخذت له عدة صور وقد كتب ضابط التحقيق في ملف :

ليس له علاقة بالتخريب لكنه عنيد جدا ويجيد المراوغة واقتنع الجميــع بعدم جاسوسيته .

ولم يغلق ملفه بل وضع تحت المراقبة .

ووصلت إليه تعليمات عن طريق سارة على تجميد نشاطه لمدة عام .

وفي عام ١٩٥٦ وصله أمر بالمغادرة فورا إلى إسرائيل .

وفي اسرائيل بقي أربعة سنوات يتدرب على فنون التجارة وتعلم لهجــة بلاد الشام واللغتين الأسبانية والبرتغالية .

وادخل في برنامج (العائلة السورية) داخل المخابرات حيث وضع مع عائلات يهودية سورية يتعلم منها كل شيء .

وهناك تعرف على (ايفا) وأحبها حبا عله يعوضه عن حب سارة .

فكرت اسرائيل بعد أن حصل على الجبهة الســورية المصريــة تقــدم عسكري تجاه الحدود لتخويف اسرائيل ..فكرت بعملية مقابلة وكـــانت عمليــة (البساط الأحمر) والتي أمرت بها القوات بوضع خطط هجومية ضد ســـورية والأردن ومصر وهكذا وضعت الأركان عام ١٩٦٠ خططها الهجومية وظلــت جاهزة حتى عام ١٩٦٧ مع حصول اسرائيل على الأسلحة الجديـــدة وتحــرك

عملائها للحصول على الخطط الدفاعية عن (مصر- القـاهرة) ، (الأردن - الحسين)، (سورية - الجهاد) .

وكان كوهين قد كلف عن خطة (الجهاد) السورية الدفاعية وكان ذلـك مضمون ما تكلف به جواسيس آخرون كشف النقاب عن أحدهم وهي الراقصـة اليهودية الأصل (أمل شعبان) التي كان اسمها الحقيقي (مسـرة رباشـي) والتي كانت عشيقة قائد بارز في الجيش السوري .

وقد وجدت مقتولة في شقتها بعد فضيحة كوهين .

سافر كوهين عن طريق سويسرا فالاسكندرية فبيروت بحراً ثم وصـل إلى دمشق واستأجر شقة ، مقابل رئاسة الأركان السورية ونصب هوائي جـهاز إرساله اللاسلكي .

كان كوهين (أمين ثابت) مهنته تاجراً سورياً متجولاً في بلاد أمريكـا الجنوبية وإنه من الموالين لحزب البعث العربي الإشتراكي وانه مستعد للعـودة إلى سورية وممارسة التجارة بالأموال التي جمعها عن والده المغترب .

وفي الأرجنتين ومن خلال عبد اللطيف الخشـن رئيـس تحريرمجلـة (الوطن العربي) ومن خلال ولده كمال في سورية تعرف على سليم حـاطوم وصلاح الضلي ركني القيادة السورية عام ١٩٦٣ وتعرف على جورج سـيف ومغري زهر الدين قريب رئيس الأركان السورية عبد الكريم زهر الدين مـن خلال (ماجد شيخ الأرضي) . وقد كسب ودهم عن طريق الحفـلات الماجنـة والمحرمات في شقته وبذل الهدايا المالية للشخصيات .

وهكذا حصل على خطة الجهاد الميدانية وقام بتصوير الجبهـة عـدة مرات ورسم خرائط ومعلومات عسكرية وسياسية كثيرة .

كما أنه أول من علم بثورة آذار قبل وقوعها .

كما حلل الخلاف السوري المصري عام ١٩٦٣ بدقة وبشكل واقعي وعرف أسرار القادة الأوائل للثورة ونقاط ضعفهم وقوتهم .

وقد لقبته قيادته بلقب (أفضل جاسوس اسرائيلي في القرن العشرين) . وفي ساحة المرجة في دمشق ..

وفي ١٨/٥/١٩٦٥ اعتلى كوهين المشنقة بعد أن كشف أمره من خلال السفارة الهندية التي شكت من التشويش على اتصالاتها وشكوك المخابرات المصرية في الصورة التي وصلتها والتي أمسك به متلبساً .

الموساد و (C.I.A) يغتالون مهندس المدفع العملاق .

الدكتور جيرار بول الكندي اغتالته أجهزة الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية (الموساد) للحد من قدرته الرهيبة ومن طموحات الرئيس العراقي صدام حسين بتهديد إسرائيل وضربها .

إن قطع غيار ومعدات ضخمة صادرها رجال الجمارك في بلدان غربية عدة كلها شكلت الخيط الرفيع للخطة العراقية البعيدة المدى .. والتي تهدد حتى أمريكا .

لقد سعى العراق بجد للحصول على أسلحة متطورة تستطيع ضرب الأراضي الإسرائيلية وقلب المعادلات في الشرق الأوسط وتغيير موازين القوى العالمية .

لذلك أسرع الموساد الإسرائيلي ووكالة الاستخبارات الأمريكية C.I.A للتخلص من المهندس النابغة الذي صنع المدفع العملاق .

ففي ١٨ شباط ١٩٩٠ كشفت مجلة اسبوعية إيطالية إن بغداد ســتمتلك مدفع عملاق عن طريق شركة بلجيكية يديرها المهندس جيرار بول .

وفي ٢٦ شباط أعادت صحيفة أسبانية تــأكيد الخــبر ، وإزاء هذيــن الخبرين أحس جيرار بول بالخطر .

وفي ليلة ٢٢ آذار ١٩٩٠ .. في الطابق السادس من عمارة في منطقــة مينيريف ٢٨ شارع فرانسوا فولي في بروكسل قتل المهندس جيرار بول وهــو على عتبة داره برصاصتين من عيار ٧,٦٥ أطلقتا عليه عن قرب .

ورغم التحقيقات التي أجرتها الشرطة البلجيكية في القاء القبض علــى القاتل.. إلا أنها أثناء تلك التحقيقات توصلت إلى أمور غريبة ..

إن جيرار بول رجل فكر ونابغة ولد في ٩ آذار ١٩٣٨ في أونتــاريو وفي عام ١٩٥٨ أي وهو في العشرين من عمره نال شهــادة الدكتــوراه فــي العلوم في كندا بعد أن قدم اطروحته في الرياضيات في جامعـــة مــاك جيــل الشهيرة .

انخرط بول في الجيش كضابط في المدفعية ونشر كتابه الأول بعنــوان (من الأرض حتى القمر) مليئاً بالمعلومات العلمية المفصلة عن غزو الفضاء .

ووعد بول بصنع مدفع عملاق قادر على الحلول بدل الصاروخ لناحيــة وضع قمر اصطناعي في مداره في الفضاء .

وفي عام ١٩٦٠ وافقت وزارة الدفاع الأمريكية ووكالة الفضاء (ناســا) أن تمول برنامجه العسكري – الفضائي الذي أطلق عليه اســم (هــارب) أي برنامج البحث العلمي على ارتفاع شاهق .

ولذلك فقد أطلع جيرار بول على الملفات والوثائق السرية للغاية التابعة للجيش الأمريكي .

وقد عمل سراً مع فريق عمل خاص لبناء مدفع يبلغ طوله ٥٥ متراً .

إن المدفع Grosse Bertha الذي يحمل اسم ابنه المهندس الصناعي Kruppوالذي زرع الرعب في باريس أثناء الحرب ١٩١٨ كان يبلغ ٣٤ متراً فقط للضحايا الهائلة التي أوقعها .

وفي عام ١٩٦٦ شهد رواد الفضاء والخبراء العسكريون الأمريكيون أول تجربة للمدفع العملاق في جزيرة باربادا في البحر الكاريبي فقد بلغت الحمولة ..٧ كيلو وتخطت ال.١٨ كيلو متراً ارتفاعاً .

وعلى اثر ذلك صوت الكونغرس الأمريكي على مرسوم استثنائي قضى بمنح جيرار بول الجنسية الأمريكية .

في ٥ كانون الأول ١٩٦٧ أنشأ بول مؤسسة الأبحاث الفضائية في منطقة واسعة في هايووتر على الحدود بين الكيبك وفيرومونت .

في عام ١٩٧٩ أقام بول علاقاته الاولى مع بريتوريا وزود الجنوب أفريقيين مدفعاً من عيار ١٥٥ ملم وأبدى فاعلية فائقة في أنغولا وبنفس الوقت عرض على بريتوريا مدفعه العملاق القادر على حمل شحنات كيميائية ونووية إلا أن البنتاغون احتج على ذلك وللحد من نشاطه أصدرت محكمة فيرمونت عقوبة تقضي بسجن بول لمدة أربعة أشهر بتهمة خرق الحظر المفروض على بيع الأسلحة إلى جنوب أفريقيا .

وعندما أطلق سراحه انتقل إلى بلجيكا وأقام له مكاتب جديدة في شارع ستال. وأثناء اندلاع الحرب الإيرانية العراقية راح هذا المهندس يبيع الأسلحة

إلى إيران مع تجمع الشـــركات الأوروبيـــة لصناعـــة المتفجـــرات (نوبـــل ، نوريكون، لوشير) .

ومع انتهاء الحرب العراقية الإيرانية ابتعد جيرار عن الإيرانيين بعد أن عرفه أصدقاؤه بالزعماء العراقيين الذين قرروا أن يتعاونوا في الحال .

وقد عرض بول على الزعماء العراقيين المدفع العمـــلاق الـــذي تبلـــغ سرعته ٢٠٠٠ متر/ ساعة والـــذي لا تواجـــه قذائفـــه الصواريـــخ المعتـــادة للصواريخ لأنها تسقط مع الستراتوسفير وهو الجزء الأعلى من الغلاف الجوي.

كما عرض عليهم قذائف - صواريخ قادرة على نقل شحنات جرثوميـــة وكيماوية .

كما كلف ستيفن أدامس المهندس الذي يعمل في المختبرات العســـكرية العراقية بتجهيز هذه المادة السامة ومنها الـــ Tularemia .

وحاول العراقيون اقناع ملك الأردن الحسين بالسماح للمهندس الكنـــدي بتركيز مدفعه العملاق على أبواب اسرائيل إلا إن الحسين رفض ورضـــي أن يساعد بغداد للحصول على المعدات اللازمة من الدول الغربية .

وفي تموز ١٩٨٩ أثار جهاز الاستخبارات البريطاني mi-6 مسألة قيـــام الجيش الأردني بتسهيل مرور معدات الدفع المخصصة للمدفع العملاق .

وقد عملت شركة بول على توقيع العقود في أنحاء أوروبا من خـــلال الفرع (أتلانتا) التابع لمقر B.N.L الإيطالي .

ففي نهاية شهر آب ١٩٨٠ اغتيل في القاهرة الدكتور يحيـــى المشـــد الخبير المصري في أنظمة التحكم والتيسر يعمل لحساب بغداد .

وفي بداية شهر أيلول ١٩٨٠ توفي الملحق العسكري الإيطالي السابق والذي يمثل بلاده في بغداد وبالقرب من مصرف B.N.L الإيطالي .

وفي ١٥ آذار رد العراقيون بإعدام الصحافي البريطاني فرزاد بازوفت الذي كان يتجسس على مصنع للأسلحة في بغداد ..

ولم تمض أيام حتى اغتيل جيرار بول .

وبعد هذه الموجات من الاغتيالات عملت أجهزة الاستخبارات الغربية على تنسيق تعاونها ففي ١١ نيسان أوقف رجال الجمارك البريطانيون اسطوانات معدنية صنعتها شركة Forgemasters وهي معدة لأنابيب النفط إلا أن حجتهم كانت انها معدة للمدفع العملاق .

وفي ٢٠ نيسان أوقفت الشرطة اليونانية وبناء على تعليمات من الاستخبارات الإيطالية شحنة بضائع كانت متوجهة إلى العراق وتنقل أنابيب معدنية ضخمة .

وفي فرانكفورت الألمانية ألقت الشرطة القبض على سبع عشر قطعة معدنية.

أما في ايطاليا فقد أوقف رجال الجمارك في كل من Ombria و naples نحو ثمانين طنا من المعدات المعدنية وقطع الغيار .

وكذلك حدث في النمسا ورومانيا حيث صادر المحققون أطنانا من القطع المخصصة لهذا البازل الكبير .

إلا أن العراق وبفضل جهود التصنيع العسكري استطاع أن يحقق كل ما من شأنه تهديد إسرائيل وضربها.

الجاسوس الإسرائيلي فانونو

بعث الفتى الإسرائيلي فانونو برسالة إلى صحيفة الصانداي تايمز فضح تفاصيل وأسرار الترسانة الصهيونية .

نعم بعث هذه الرسالة من زنزانته بعد أن رفض استئنافه على الحكم بسجنه ثمانية عشر عاما وقال :

إن هذه المدة التي أقضيها في السجن لن توهن عزيمتي أو تضعف معنوياتي وتقول الصنداي تايمز :

لقد رفضت المحكمة العليا الإسرائيلية بصورة متعسفة أكثر من مائة حجة قانونية وأصدرت حكما تثبت فيه الحكم السابق بإدانته بتهمتي الخيانة والتجسس .

أما ما جاء في رسالة فانونو الموجهة للصحيفة ما نصه :

" أرجو أن أبقى في بالكم ، أشعر بأني في حالة طيبة وإنيّ أمتلك ما يكفي من القوة اللازمة في انتظار الإفراج عني " .

وتقول الصحيفة :

وإنعاشا لذاكرة القراء نعيد عليكم بداية الحكاية عندما طرق فانونو بابنا ليكشف ما يملك من تفاصيل عن سر الأسرار الإسرائيلية .

البرنامج الإسرائيلي الخاص بالتسلح الذري ...

ونشرنا المعلومات يومئذ وبعيد ذلك تمكن الموساد من نصب شرك لفانونو ونجحوا في اغوائه واخراجه من بريطانيا ووضعوا يدهم عليه .

وبقي فانونو البالغ من العمر ٣٥ سنة في عزلة تامة في زنزانة طولها ثلاثة أمتار وعرضها متران .

وجيء بفانونو إلى المحكمة الإسرائيلية العليا في القدس وهو مصفد اليدين والسلاسل بقدميه وبزي السجن الأزرق وقد قطع خمسين ميلا وهي المسافة بين سجن عسقلان والقدس في سيارة للشرطة ذات زجاج خاص معتم .

وتضيف الصحيفة قائلة :

" ومنذ قيام فانونو بكتابة رسالة على كف يده قال فيها أنه كان قد اختطف من لندن " .

ولهذا فرضت السلطات الإسرائيلية طوقا محكما حوله في السجن للحيلولة دون أن يراه الناس وخاصة المراسلين الأجانب ، كما عقدت جلسات المحكمة في ظل اجراءات أمنية صارمة وبعيدا عن الكاميرا .

و" أما في المحكمة العليا هذه المرة فأن الأمر لم يستلزم أكثر من خمس دقائق أبلغه بعدها رئيس القضاة مائير شمجر بأن الاستئناف ضد الحكم والإدانة مرفوض .

وقال له قبل ذلك أنه قد تكون هناك حاجة لعقد جلسة أخرى بعد ثلاثين يوما لتقرير ما إذا كان من الممكن السماح بنشر بعض أقسام من أوراق الحكم القضائي التي بلغت ٨٩ صفحة .

ثم غادر مائير واثنان من قضاة الاستئناف كان معه بسرعة .

وتضيف الصحيفة :

" وفي غضون ٩٠ دقيقة كان فانونو قد أعيد إلى زنزانته في سجن عسقلان الذي كان قد بني خصيصا لحبس المسجونين في قضايا أمنية . وتحديدا

للفلسطينيين والعرب الذين يقومون بعمليات فدائية .

وقد منع السجناء من الاقتراب منه ويبقى معزولا في زنزانتـــــه وهــو يقضي كل احتياجاته الشخصية داخل الزنزانة نفسها .

وتقول الصحيفة :

" وقال أفيغدور فلدمان محامي فانونو أن موكله قــام مؤخــرا بتعليــق خريطة سيدني الأسترالية على جداره داخل الزنزانة وربما ليتذكر المدينة التــي عاش فيها وعمل فيها كسائق تاكسي حتى بضعة أسابيع قبل القبض عليه .

كما علق على الجدار صليبا ذلك أنه كان خلال إقامته في استراليا قـــد ارتد عن اليهودية واعتنق المسيحية .

كما أعرب المحامي عن خوفه من أن تؤثر العزلة الكاملـــة والطويلـــة المفروضة على فانونو على سلامته العقلية .

وتنهي الصحيفة قولها :

وكانت اسرائيل تدعي دائما انها لا تمتلك أسلحة ذرية وأنها لن تكـــون البادئة بإدخالها إلى منطقة الشرق الأوسط لكن الأشياء التي كشفـــــها فـــانونو فقدتها المصداقية أمام المراقبين .

وهناك الآن اقتناع لدي العديد من الناس بأن الإسرائيليـــــن يمتلكــون مائتي سلاح ذري وأنهم قد شرعوا مؤخرا في صنع أسلحة نرية حرارية وأنــها طورت تقنيتها النووية الشديدة التعقيد والبالغة السرية لبناء ترسانة نووية قوية.

وتأتي اسرائيل الآن في مرتبة القوة النووية السادسة في العـــــالم بعــد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وفرنسا والصين .

كما أن اسرائيل تمتلك أكبر ترسانة أكثر مما تمتلكه الدول الاخرى كالهند والباكستان وجنوب أفريقيا .

كما يوجد لدى اسرائيل مصنع مزود بتكنولوجيا فرنسية لاستخلاص مادة البلاتنيوم الأمر الذي حول مفاعل ديمونا إلى مؤسسة أبحاث مدنية إلى معمل لإنتاج الأسلحة النووية .

إضافة إلى امتلاكها مصنعا لإنتاج مكونات الأجهزة النووية - الحرارية.

كما وسعت المفاعل الذي بناه الفرنسيون بطاقة ٥٦ ميكا واط لتصبح طاقته أكثر من ٢٠٠ ميكا واط وتم اخفاء الناتج بواسطة نظام تبريد محكم .

كما صنعت اسرائيل أكثر من ٣٠٠ سلاح نووي بقدرات تدميرية .

كما ستنتج قنابل ذرية صغيرة الحجم خفيفة الوزن ذات فعالية مدمرة .

كل هذا يجري تحت عيون أقمار التجسس الصناعية ولجان التفتيش ولكن لا أحد يتكلم ..

وتبقى الحجارة التي يحملها الأطفال الفلسطينيون أقوى وأمضى من كل ما يصنعون ومايفعلون ..

وكالات الاستخبارات في ألمانيا الشرقية: وكالة H.V.A .

(رئاسة إدارة المخابرات) .

إننا نعرف أنه بعد الحرب العالمية الثانية انقسمت ألمانيا إلى دولتين وأصبح الجزء الغربي مع الكتلة الأمريكية وخضعت المانيا الشرقية للحكم الشيوعي .

ومنذ ذلك الحين والتنافس شديد بين هاتين الدولتين في مجال التجسس الدولي.

تأسست وكالة الاستخبارات الالمانية عام ١٩٥٦ على يد الفريق ماركوس وولف الذي يعد أحد أسياد التجسس في الكتلة الشيوعية .

وبعد أن تدرب وولف على يد K.G.B وتخرج من أكاديمية ليبلنخت عاد إلى برلين الشرقية عام ١٩٤٥ كعميل لوكالة الاستخبارات الروسية K.G.B تحت اسم مستعار هو (ميخائيل ستورم) .

عمل على أنه صحفي وارتقى إلى رتبة فريق وهو في الثامنة والعشرين من عمره وأصبح مسؤولا عن العمليات والتجسس المضاد في وزارة أمن الدولة التابعة لألمانيا الشرقية وقد نجح بالتسلل إلى الخدمات السرية في ألمانيا الغربية .

وكان رأي وولف أن النساء عميلات أفضل من الرجال فوضع تركيزه على تجنيد النسوة العازبات ممن تجاوزن سن الثلاثين للحصول على الأسرار العسكرية والصناعية في المانيا الغربية .

حتى أن المانيا الغربية اطلقت عليه اسم (العدو الرهيب) .

وهؤلاء النسوة زودن المانيا الشرقية بوثائق سرية تتعلق بمنظمة حلف شمال الأطلسي .

كما أن وزارة أمن الدولة نظمت شبكة تجسس واسعة في المانيا الشرقية وكشفت عندما اعتقل (٢٨٠٢) عميلا من المانيا الشرقية في احدى الحملات عام ١٩٥٩ في المانيا الغربية .

كما ارسل وولف رجالا عاشقين خبراء أي ممن ذهبوا إلى المانيا الغربية وأوقعوا في شراكهم السكرتيرات اللائي يعملن تحت يد القادة البارزين والضباط الهامين وقد حصل في المانيا بعد الحرب نقص في عدد الرجال ففاق النساء عدد الرجال وكان أملهم ضئيلا في الحصول على أزواج مناسبين ، لذا عمل وولف لإيقاع هؤلاء النسوة العازبات المتعطشات للجنس عبر شراك الحب.

ويطلق على الواحد من هؤلاء الرجال في لغة التجسس اسم (الغـراب). أما الطريقة فتم اطلاق تسمية (مصيدة العسل) عليها .

ولما كانت الوثائق تمر عبر السكرتيرات لذا استطاعت هؤلاء السكرتيرات أن تنسخها وترسلها إلى المانيا الشرقية دون أن يشتبه بهن أحد .

وقد ظلت ليونور تعمل كسكرتيرة طيلة خمس وثلاثين عاما في وزارة الخارجية في المانيا الغربية فقابلت رجلا المانيا أنيقا اسمه هينز سترلين عام ١٩٦٠ ووقعت في حبه وقد ارضاها جنسيا .. وتزوجا من بعضهما بعد عدة أشهر ، وقام سترلين بمضايقتها لتحضر له بعض الوثائق السرية ووقعت في ورطة بين حبيبها وواجبها..ولم تستطع التفريط بزوجها فسلمته مخفظة بداخل الوثائق في الجزء السري من المحفظة فقام بنسخها وأعاد الحقيبة لزوجته .

وبهذا استطاع سترلين من الحصول على حوالي ٣٠٠٠ وثيقة سرية عليا وقدم هذه الوثائق إلى وكالة الاستخبارات الروسية K.G.B عبر وكالة الاستخبارات الالمانية الشرقية (H.V.A) .

ولم يكن عند ليونور أي فكرة عن سترلين .

وقد زود سترلين بمعلومات تتعلق بمناورتين عسكريتين وانعقاد مؤتمرات حلف شمال الأطلسي N.A.T.O وعن مراكز القذيفة السرية التابعة لوكالة الاستخبارات الروسية K.G.B ووكالة الاستخبارات الألمانية (H.V.A).

وبعد أن اعتقل سترلين وليونور أخبرت ليونور طبيعة عمل زوجها فأخبروها بحقيقة سترلين المزيفة لإيقاع النساء في شراك التجسس لصالح المانيا الشرقية ولذا فقد انتحرت ليونور في زنزانتها .

أما المرأة الثانية فهي هيلغا بيرغر الموظفة في وزارة الخارجية أيضا التي وقعت بحب الشاب الأنيق بيتر كروس وقد علمها أنه عميل بريطاني سري واستطاع الحصول على الكثير من الوثائق السرية من خلال هيلغا .

وبعد اعتقالها ظلت تردد في قاعة المحكمة .. أحبه .. أحبه . في الوقت الذي كان فيه كروس يخطط لإيقاع امرأة من المانيا الشرقية .

أما داغمار سخيفلر فكانت تعمل في مكتب رئيس وزراء المانيا الغربية وقد أقامت علاقة غرامية مع هيربرت سخروتر والذي تزوجها وحصل منها على ٦٠٠٠ وثيقة ولم تكن تدري انه عميل لألمانيا الشرقية خلال ست سنوات من حياتهما الزوجية .

وفي عام ١٩٧٩ عبرت ست سكرتيرات جدار برلين ليهربن مع عشاقهن الشيوعيين .

ومن هؤلاء النسوة كريستيل بروزي السكرتيرة الرئيسة لقائد المعارضة في المانيا الغربية. واينج غولياث سكرتيرة الناطق الرسمي للشؤون الخارجية في الحزب .

وأخرى تعمل في وزارة المعارف وهيلغا رودينغر التي تعمل في وزارة المالية .

لقد اجهزت وكالة الاستخبارات H.V.A على الحياة السياسية لقائد الحزب الديمقراطي الاشتراكي ورئيس الوزراء في المانيا الغربية ويلي برانديت .

وقال برانديت أثناء استقالته من منصبه عام ١٩٧٤ :

إنني أقبل مسؤوليتي السياسية ولكنني أعلن عن استقالتي من منصبي بسبب اهمالي في قضية السكرتير غويلام[1] الذي كان جاسوسا منذ أربع سنين وهي مدة خدمته مع برانديت .

وقد أراد برانديت أن ينتهي الصراع بين الألمانيتين ولكن آماله أحبطت.

ومن بين المعلومات السرية التي بعث بها إلى وكالة الاستخبارات H.V.A رسالة من الرئيس الأمريكي نيكسون الذي وضع في هذه الرسالة

---

(١) قامت وكالة الاستخبارات الروسية (K.G.B) بتدريبه قبل ارساله إلى المانيا الغربية وحصل على عمل في مكتب الحزب الإشتراكي الديمقراطي . ثم بدأ بارسال المعلومات السرية إلى المانيا الشرقية وساعدته زوجته كريستيل بالعمل معه كجاسوسة . ولسوء حظ غويلام أن عميل ال K.K.G.B فادتم بيلوتزر كوفيسكي كشفه فقام على الفور وأخبر السلطات المختصة . وكان فادتم قد انشق عن ال K.G.B . وقد وضع غويلام تحت المراقبة لمدة عام ثم اعتقل عام ١٩٧٤ في المطار عندما كان مع برانديت في فرنسا وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث عشرة سنة إلا انه ارسل عام ١٩٨٢ إلى المانيا الشرقية بالتبادل مع السجناء السياسيين .

خطط إعادة تنظيم منظمة حلف شمال الأطلسي (N.A.T.O).

والكثير من رسائل رؤساء الدول ، وخطط براندیت للتفاوضـات مـع المانيا الشرقية .

كما كشف ورنرستيلر المنشق الكبير عن الـ H.V.A الألمانية الشرقية عام ١٩٧٩ النقاب عن التجسس الصناعي الذي قامت به المانيا الشرقية .

وتقوم وكالة الاستخبارات H.V.A قوى الأمن في دول العالم الثـالث مثل أثيوبيا واليمن الجنوبي .

وزارة أمن الدولة (M.F.S) :

وهي وكالة سرية قديمة في المانيا تعمل تحت اسم وزارة أمن الدولـة تأسست عام ١٩٥٠ على خطط وكالة الاستخبارات الروسية (KGB) وتعمـل بالتعاون الوثيق معها .

ومن مهامها اخماد المعارضة السياسية في الداخل والتجسس في البلدان الأجنبية . ويعمل حوالي ٥,٠٠٠ جاسوس في هذه الوكالة .

وفي عام ١٩٥٩ وعندما اعتقل ٢٨٠٢ عميلا من المانيا الشرقية فـي المانيا الغربية كان يطلق عليهم عملاء وكالات H.V.A أو M.F.S. .

وقد نجح هينزفيلف وهو عميل لـ (M.F.S) في الوصول إلى رئاسـة قسم التجسس المضاد في المانيا الغربية (B.N.D) .

إلا انه تم اكتشافه عام ١٩٦١ وكان قد ارسل قبل ذلك حوالي ١٥ ألـف فيلم مجهري إلى المانيا الشرقية .

وسببت قضيته استقالة رئيس الوزراء (أدينور) في المانيا الغربية .

وقد حكم على فيلف بالسجن لمدة أربعة عشر عاما ، وأطلق سراحه بعد ست سنوات بالتبادل مع السجناء السياسيين .

وكالات الاستخبارات في ألمانيا الغربية :

يعود شرف القيام بالأعمال الهامة إلى الخدمات السرية في المانيا الغربية ، ويعود الفضل لها في اكتشاف النشاطات الإجرامية في سميرخ التابعة لـ K.G.B إلى الخدمات السرية في المانيا الغربية .

وأهم عمل بطولي قامت به هذه الوكالة هو حفر نفق شرقي برلين سنة ١٩٥٥ لكي تتجسس على نظام الهواتف العسكرية الروسية .

وقد نجح عملاء سيد التجسس المشهور الجنرال رينارد غيلين رئيس نظام التجسس في المانيا الغربية من الحصول على خطاب خروتشوف المشهور في الاجتماع العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي والذي شجب فيه ستالين وسياسته .

كما علمت هذه الوكالة بقيام الثورة في هنغاريا قبل حدوثها والتي قمعها الجيش الروسي بوحشية .

كما اكتشفت هذه الوكالة عملية الإطاحة بحكومة دوبيك في تشيكوسلوفاكيا . كما قامت هذه اللجنة بتدريب وكالة الخدمات السرية المصرية التابعة للرئيس جمال عبد الناصر .

وكانت الحكومة في المانيا الغربية قد قررت الاستفادة من خدمات رينارد غيلين ففي عام ١٩٥٥ تحولت منظمة غيلين إلى وكالة B.N.D إلى صفوف وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية C.I.A والفرع العسكري MI-5 البريطاني .

وقد تأسست منظمة أخرى في أيلول ١٩٥٠ وهي منظمة B.F.V أي مكتب حماية النظام .

وهذه المنظمة عبارة عن هيئة تجسس مضاد وعملها الرئيس اكتشاف الجواسيس الأجانب الذين تسللوا إلى المانيا الغربية ووضع المشبوهين ونشاطاتهم تحت المراقبة .

منظمة غيلين :

إن تأريخ الخدمات السرية في المانيا الغربية وتأريخ المنظمات التجسسية ضد التجسس السوفييتي ليس أكثر من تأريخ نشاطات ونجاحات منظمة غيلين .. هذا الضابط في المخابرات العسكرية الألمانية .

وبين عام ١٩٤٤-١٩٤٥ وعندما كانت القوات الأمريكية تتقدم باتجاه بافاريا اعتقلت غيلين .

إلا أن غيلين بدهائه استطاع أن يقنع الأمريكان بعقد صفقة معهم من خلال استخدام أمريكا جميع المعلومات التي حصل عليها هو ومنظمته والمتعلقة بالجيش السوفييتي وقادته ، ومقابل ذلك طلب من الأمريكيين تمويل منظمته التجسسية المعروفة باسمه .

ومن هذا انطلق غيلين حملته ضد الشيوعية ، واستطاع الحصول على وثائق تأريخية شاملة عن روسيا السوفيتية وجند اصدقاءه الأوفياء وزملاءه من الجيش الألماني وعاود تنشيط شبكة أعماله بسرعة وقدرت وكالة الاستخبارات الأمريكية C.I.Aعمله هذا .

لقد قام غيلين بخدمة الرئيس ويمر ثم أصبح رئيسا موثوقا لحلقة التجسس التابعة لهتلر .

وكان غيلين المصدر الرئيس لكل الأعمال التجسسية والتآمرية والتخريبية ضد الاتحاد السوفييتي ولصالح المانيا النازية .

وفي عام ١٩٥٣ ازداد السخط الشعبي ضد النظام الشيوعي في برلين وحطم الجيش الروسي هذه المحركات ونجح عملاء غيلين في الحصول على أخبار عن هذه الأحداث .

وبفضل جهود غيلين تم اكتشاف الجواسيس الشيوعيين مثل جورج بلاك ويليام فاسال وكر وغركوبل وبيتر وإيلين .

وكون غيلين رئيسا للخدمة السرية التابعة لألمانيا الغربية فقد أعطى معلومات تفصيلية ذات أهمية عسكرية عن البلدان التابعة لمنظمة معاهدة حلف شمال الأطلسي (ناتو) .

واستطاع غيلين التسلل إلى المجلس الحربي عند ستالين خلال الحرب العالمية الثانية . وارسل السجناء الحربيين الروس كعملاء نازيين إلى مركز قيادة المارشال زوكوف ، حتى انه نجح في رفع علم الحرية الأبيض للجيش الروسي .

وفي شباط عام ١٩٥٦ عندما شجب خروشوف ستالين وبيريا في

خطاب في الاجتماع العشرين للحزب الشيوعي ارادت امريكا الحصول على نسخة من هذا الخطاب فطلبت من غيلين أن يرتب لذلك .

وقد حصل غيلين على الخطاب خلال ثلاثة أسابيع .

وإليك القصة :

نشر غيلين جواسيبه في يوغسلافيا سنة ١٩٥٠ واستقر عميله هناك على أنه رجل أعمال ألماني باسم مستعار هو الدكتور ويبر .

واستسلم ويبر للجيش الأمريكي عام ١٩٤٥ بتعليمات من غيلين .

وفي عام ١٩٤٨ اشتدت الخلافات بين ستالين والمارشال تيتو[1] رئيس يوغسلافيا ونظم الثائرون ضد تيتو على يد عملاء ستالين في صربيا ومقدونيا سلوفانيا . وكانت الجماعات المعادية لتيتو تخطط لاغتياله .

---

(١)تيتو ، جوزيف بروز (١٨٩٢-١٩٨٠) رأس الدولة اليوغسلافية (١٩٤٦-١٩٨٠) عندما مات عام ١٩٨٠ كان قد حكم يوغسلافيا أكثر من نصف تأريخها . فقد تأسست عام ١٩١٨ باتحاد صربيا وكروستيا وسلوفونيا ومقدونيا ومونتنرغرو وبوزينا – هيرزيغوفينا في أمة واحدة . رفع تيتو من شأنها إلى مقدمة دول العالم الثالث . ولد تيتو عام ١٨٩٢ باسم جوزيف بروز في كروستيا في عائلة فلاحين كثيرة الأولاد ثم تلقى التعليم الإبتدائي فقط وامتهن القفالة واستدعى بعدها إلى الجيش النمساوي والهنغاري في الحرب العالمية الأولى . فأسر من قبل الجيش الروسي وشهد خلال أشهر أسره الحالة المتردية والمتخلفة التي يعيش فيها الشعب الروسي فأصبح شيوعيا وانضم إلى الجيش الأحمر عندما اندلعت الثورة الروسية وعاد إلى يوغسلافيا الجديدة عام ١٩٢٠ وكرس منذ ذلك الوقت قدراته للاشتراكية اليوغسلافية ، وكان كثوري في مشاكل دائمة يعيش متخفيا وانتحل أسماء عدة كان احداها اسم (تيتو) وأصبح عام ١٩٣٧ الأمين العام للحزب الشيوعي اليوغسلافي . وأسس تيتو بعد احتلال الألمان يوغسلافيا عام ١٩٤١ قوات المقاومة لجعل بقاء الجيش الألماني صعبا بل مستحيلا وأعطى خلال الحرب أمثولة رائعة في التخطيط والقيادة لكل الهجمات الكبيرة بنفسه فنجح في اخراج الألمان من بلاده . حاول الإتحاد السوفيتي بعد الحرب جعل يوغسلافيا جزءا من منظمة الدول الشيوعية الأوربية الشرقية . وانتخب تيتو رئيسا ليوغسلافيا طيلة حياته عام ١٩٦٣ .

ورأى غيلين فرصته فطلب من الدكتور ويبر أن ينشط عملاءه . فبدءوا يمجدون الخدمة السرية في يوغسلافيا .

وفي عام ١٩٥١ توصل اللواء بول زاكو وهو أحد عملاء غيلين إلى معرفة أن بيريا أرسل عميلا سوفيتيا ليجهز على حياة تيتو .

فأعطى العميل الذي أرسله ويبر إلى فرنسا هذه المعلومات إلى زاكو ، فطلب غيلين من زاكو أن يقابل العميل السوفييتي في كليفانفورت وعرض على هذا العميل مكافأة قدرها ١٠٠٠ دولار ومنصبا في منظمة غيلين .

وأخذ هذا العميل الروسي الطعم بجشع ومن ثم قضي على مؤامرة قتل تيتو من أولها .

ووضع غيلين خدماته السرية تحت تصرف تيتو في صراعه ضد ستالين ولم يضع مقابل ذلك أية شروط .

ولهذا استلم الموظفون خطاب خروتشوف بسرور .

كما استفاد عبد الناصر من خدمات غيلين في تطوير الخدمات المصرية وقد انتدب غيلين الضابط النازي الأسبق أو توسكوجيرني إلى مصر لهذا الغرض . وطلب من خمسين من الجواسيس الألمان (النازيين) المختبئين في اسبانيا والأرجنتين وفرنسا الحضور إلى مصر .

وبعد انتهاء الصراع عام ١٩٥٦ فسدت العلاقات بين مصر وأمريكا وانحاز عبد الناصر للروس طلبا للمساعدة والأمن .

ورأى الحكام الصهاينة أن هذه فرصتهم فاتصلوا بغيلين عام ١٩٦٠ .

وثبت أن اسرائيل بير وهو ضابط كبير في الخدمات السرية الصهيونية جاسوس روسي واشتغل بير مع العملاء الروس في مصر .

وقد حكم عليه بالسجن مدة عشر سنين .

وقد بدأ غيلين تدريبه للعملاء الصهاينة بحماس واخلاص . وبعد اجراء برنامج التدريب الشاق تم اختيار ميجور لوتز للقيام بمهمة ذهابه إلى مصر .

وشوهد لوتز بعد ذلك في معسكر للاجئين غربي برلين وتظاهر أنه ضابط نازي سابق في معسكر مارين فيلد ، وفر هذا الضابط من إلمانيا الشرقية ثم سلم إلى منظمة غيلين .

ثم حصل على وثائق تثبت على أنه شارك في حرب الصحراء في الغرفة الخامسة عشر التابعة لبانزر من فيلق روميل الإفريقي في ليبيا .

ووصل لوتز إلى القاهرة عام ١٩٦٢ واستقبله المواطنون الألمان المحليون بأذرع مفتوحة . وشارك لوتز في الحملة الإرهابية ضد العلماء النازيين السابقين الذين كانوا يعملون لصالح جمال عبد الناصر[1] فكانوا يرسلون لهم قنابل على شكل رسائل أو طرود بريدية ، ليجبروا هؤلاء العلماء على مغادرة مصر .

واستطاع لوتز أن يطور علاقاته وصداقاته مع ضباط الجيش المصري وأنشأ مدرسة للفروسية وأصبح أكبر ضباط الجيش المصري طلابا له في هذه المدرسة .

---

(١)جمال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) رئيس مصر (١٩٥٦-١٩٧٠) بدأ بتولي السلطة في مصر عقب الثورة التي اطاحت بفاروق آخر ملك لمصر عام ١٩٥٣ . حكم مصر بقبضة حديدية ويعمل على تحديث البلد فلحتذب اهتمام الشعب . وكان هدد اسرائيل بتحطيمها ورميها في البحر . أصبح شخصا مهما في مؤتمرات دول عدم الانحياز أو العالم الثالث أي تلك الدول التي ابتعدت عن حيز النفوذ الروسي الأمريكي . و لم يتداعى رغم خسارته لحرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ . وعندما مات عام ١٩٧٠ شيع بشكل لم يسبق له مثيل .

ولم يشتبه به أحد . وظل طوال أربع سنين يرسل معلومات سرية عسكرية هامة على جهاز الإرسال الصغير الذي عنده .

وكانت معظم المعلومات التي أرسلها تتعلق بالقذائف الروسية . واخبر تل أبيب أنه لا داعي لخوفهم من القذائف الروسية التي تتجهز بها مصر .

الا انه أوضح ان صاروخ شالوفا والمجهز بطواقم تقنية روسية مصدر خطر حقيقي وعبر لوتز عن رأيه قائلا :

بأن هذا المركز المتواضع على ضفاف قناة السويس قادر على تدمير أي مدينة في فلسطين المحتلة .

أما الجنرال أوسمان أعز أصدقاء لوتز فهو أحد الضباط الفاعلين في التجسس المضاد في مصر وهو نائب رئيس قسم المخابرات المصري وكان من المقربين للرئيس جمال عبد الناصر واعتاد أوسمان أن يصطحب لوتز معه إلى جميع أنحاء القواعد العسكرية .

وأضاف لوتز إلى عملائه الكثير من المغاربة واتصل بجهاد بوش وهو جاسوس تابع لغيلين في مصر وكان يشتغل ضد الروس .

وعاد لوتز إلى بيته في ٢٢ شباط ١٩٦٥ بعد رحلة إلى منطقة السويس واعتقل بعد ذلك على الفور وكذلك أخذ أصدقاؤه النازيين إلى السجن .

ولم يعترف لوتز انه يهودي بالرغم من الاستجواب المضني وقد أفاد أنه الضابط النازي (س) والذي شارك في حرب الصحراء مع القوات الإفريقية تحت إمرة رومل ثعلب الصحراء .

والقي عليه القبض من قبل العملاء الصهاينة في النمسا والآن فإن اليهود يبتزونه فإذا لم يعمل كعميل لهم فسوف يسلمونه إلى لجنة جرائم الحرب

لخيانته في نيوربمبيرغ .

ولذلك لم يحكم عليه بالإعدام انما حكم عليـــه بالســجن مــدة خمســة وعشرين عاما . وحكم على الكثير من أصدقائه المصريين بالموت ومن بينـــهم المقدم عبد الرحمن . كما نفي الكثير من الضباط النازيين من مصر .

وبعد سنة أي في عام ١٩٦٧ شن الصهاينة عدوانا على مصر ونتيجــة الحرب أن أتهم بالخيانة ١٥. ضابطا مصريا ومعظمهم من أصدقاء لوتز .

وانتحر فيلد مارشال عمر وهو الصديق الحميم للوتز .

وقد بقي لوتز ثلاث سنين فقط في السجن وبعد سنة واحدة.تبادلت مصر والصهاينة السجناء وارسلت زوجة لوتز إلى فلسطين المحتلة أولا .

وفي عام ١٩٦٨ أطلق سراح لوتز بالتبادل مع تسعة ضباط مصرييـــن وأربعة آلاف جندي مصري .

وعاد لوتز إلى تل أبيب وارتقى إلى رتبة لواء .

ووضع ارنيست ووليبر رئيس الخدمات السرية في المانيـــــا الشـــرقية وضع مليون مارك الماني لقاء رأس غيلين حيا أو ميتا .

وكالة الاستخبارات الاتحادية B.N.D :

وفي عام ١٩٥٦ حولت الحكومة في ألمانيا منظمة غيلين إلـــى ســلطة حكومية. تدعى هذه المؤسسة الجديدة (وكالة الاستخبارات الاتحادية (B.N.D)). ويمكننا أن نعدها كرديف لوكالة الاستخبارات الاتحادية (CIA) . أو المخـــابرات العسكرية البريطانية رقم (٦) (M1-6) وعين غيلين كرئيس أول لهذه المنظمة .

وأبقى غيلين على معظم عملائه الذين كانوا يعملون معه. وأكثرهم تاريخهم نازي .

ووجد الكثير منهم على أنهم عملاء مزدوجين شيوعين . وأكبر صدمة تلقاها غيلين عندما اكتشف أن رئيس وكالة (B.N.D) للتجسس المضاد وهو هينزفيلف وهو جاسوس روسي يتبع وكالة الاستخبارات الروسية (K.G.B) .

وانتكس جهرة غيلين بهذه الفضيحة سنة ١٩٦١ . بعد أن كان يتمتع بكثير من الحماية السياسية من قبل . حيث اعتاد (تشانسلور أدينور) بمناداته (عزيزي الجندرال) وسبب هذه الفضيحة أيضا لقي خبطة هائلة في الحكومة حيث سقطت حكومة ادينور .

مع ذلك بقي رئيسا لوكالة الاستخبارات (B.N.D) مدة خمس سنين بعد ذلك، إلا أن نفوذه تراجع إلى حد كبير .

وحل الجنرال (غير هاردويسيل) محل غيلين في نيسان سنة ١٩٦٨ . وقد انحصرت المهمة الأساسية لوكالة الاستخبارات الاتحادية (B.N.D) في جمع المعلومات حول بلدان أخرى . والتي ستكون ناجحة في بلورة السياسة الخارجية .

إن مهمة (ويسيل) الأولى هي القضاء على العملاء الشيوعيين الذين تسللوا إلى المنظمة . ولهذا السبب كانت معظم العمليات التي قاموا بها عمليات مشؤومة واعطي النازيون القدماء أوامر عسكرية . وطهر مركز قيادة وكالة الاستخبارات الاتحادية (B.N.D) من كل هذه العناصر الشيوعية .

وبعد ذلك انقلبت وكالة الاستخبارات الاتحادية (B.N.D) إلى مؤسسة استخباراتية حديثة لجمع المعلومات . واعتمدت هذه المؤسسة على الحواسب الالكترونية وعلى التحليل الالكتروني أيضا .

وتعمل هذه المؤسسة في الوقت الحاضر بالتعاون الوثيق مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) ، ومع وكالة الاستخبارات العسكرية الألمانية رقم (٦) و (M1-6) ومع الموساد وتحالفت ألمانيا الغربية على نحو وطيد مع القوى الغربية .

مكتب حفظ النظام (B.F.V) :

تأسس مكتب حفظ النظام (B.F.V) في أيلول سنة ١٩٥٠ على أنه خدمة تجسس مضاد تابع لألمانيا الغربية ، وهو وكالة للشؤون الداخلية فقط، وليس له السلطة في الاعتقال ، مثل وكالة الاستخبارات العسكرية البريطانية رقم (٥) (M1-5) ولا تعتبر منظمة عسكرية ، ويعمل تحت تصرف وزارة الداخلية .

والأعمال الرئيسية الموكلة إلى هذه الوكالة :

- منع التجسس .
- الأعمال التخريبية .
- التحريض على الفتنة.
- توجيه طاقاتها ضد المتسللين الشيوعيين الذين تسللوا إلى الخدمات السرية الألمانية الغربية .
- في السنوات الأخيرة طلب منها مراقبة المنظمات الإرهابية بدقة مثل منظمة بادارْ مينهوف ورديفاتها الدولية .

وتقوم بهذا الواجب عبر التسلل إلى الجماعات الإرهابية ومراقبتها.

وتحوي على نظام حواسب فعال ، وركامات الحقائق مليئة بالمعلومات حـــول العملاء والارهابيين الشيوعيين .

وعثر على الكثير من العملاء المزدوجين داخل مكاتب حفـظ النظـام (B.F.V) وعلى الرغم من أن المدير الأول (أوتو جون) قد فــر إلــى ألمانيـا الشرقية ، وادعى أنه اختطف وأجرى له غسيل دماغ من قبل ألمانيا الشــرقية. ثم عاد فيما بعد إلى ألمانيا الغربية ، فاعتقل وحكم عليه بالســجن مــدة أربــع سنوات .

لكنه لا يزال يدعي ببراءته ، والحالة الكلاسيكية الأخـــرى للتجسـس المضاد هي حالة (غنثر غيلام) الذي أصبح مساعداً لـــــ (تشانسـيلور ويلــي برانديت) فاكتشف فيما بعد ، مما أدى إلى استقالة (برانديت) مـــن منصبـــه . وعلى أن مكتب حفظ النظام (B.F.V) استطاع أن يكـــتشف (غيــلام) ، لكنـــه تعرض للنقد القاسي حول قضية العملاء المزدوجين .

رجل بعدة وجوه ورأي واحد

في غرفته بفندق كوندي ببرلين الغربية أخذ الميجور جـــنرال (أيفــور تروبانوف) من هيئـــة أركان الجيش السوفييتي يرمق جسد (جريتـــا برنـــار) الفاتن بإعجاب..

كانت جريتا تقف أمام المرآة تسرح شعرها عندما صاح بها : تعــــالي هنا. وما كان يجذبها إلى فراشه ويطوق عنقها بذراعيه حتى أحس بشـــخصين يدخلان غرفته بعد أن فتحا الباب بمفتاح خاص كان مع أحدهما فانتقض واقفـــاً وقال :

-ماذا تفعلان هنا ؟

وسحب أحد الرجلين يده من داخل سترته فخرجت تقبض على رشاشة أوتوماتيكية ركب على فوهتها كاتم للصوت .

قفز تروبانوف إلى مسدسه الحربي الملقى بجانب السرير إلا أن جريتا وضعت قدمها عليه .

وانطلقت رصاصتين ناريتين لتمزق صدر الجنرال تبعتها ثالثة استقرت في جبينه .

وصوب الرجل الثاني مسدسه نحو جريتا فصاحت برعب :

- لا .. لا .. أرجوك أيها الكولونيل ماكس .. ليس أنا .

إلا أن الرجل ضغط على زناد مسدسه لتنطلق رصاصة تخترق قلب الفتاة. وبعد أن سقطت وضع فوهة مسدسه الكاتم خلف أذن جريتا وضغط الزناد ليستوثق من موتها .

-قال الأول : لقد كانت عميلة جميلة .

-أجاب الثاني : ولكنها مؤخراً أخذت توطد علاقاتها مع الضباط الأمريكيين في مقهى ماركوردت وقد باعت مخطوط تروبانوف هذا الملقى أمامك .. وتريد تسليمه اليوم .

-أجاب : إنه مخطوط خاص باستعمال الأسلحة وطرق التدريب عليها .

-تساءل : ولكن أين المخطوط ؟ كيف ستعرف مكانه ؟ .

- أجاب : إنه في مظروف أخضر فوق ذات المكتب .

وتقدم نحو المكتب والتقط كتاباً أخضر اللون قرأ في صفحته الأولى :

"قسم تخطيط المعركة في الجيش السوفييتي ، طبعة منقحة وفريدة تتوب عن سابقتها وتبطل مفعولها" .

إن كتاب تنسيق المعركة أو ما يعرف بالتخطيطات الحربية في الجيش السوفييتي يعتبر واحد من الأسرار الحربية العليا في روسيا إذ يحوي على الأوامر والارشادات الاستراتيجية للأسلحة الذرية والنووية ولم يطبع منه سوى (٢٠٠) نسخة وزعت على الفيلد مارشلات وضباط هيئة الركن العامة وأعضاء (البوليتيرو) .

أتذكرون عندما صوب أحد الرجال مسدسه نحو جريتا وصاحت برعب:

-لا .. لا .. أرجوك أيها الكولونيل ماكس ..

فمن هو ماكس ؟ .

إنه ملك المخربين .. سابوتاج .

إنه جاسوس القرن العشرين .. صانع الثورات .

إنه لينيف الصغير (فوشيه أوف بانكو) .

وكان الكرملين يعرفه بـ (تونشلاكر) أي السفاح أو زارع الموت . هذا الذي يحكم وينفذ حكم الاعدام على أعوانه بيديه ..

كان هذا عديم الرحمة .. وحشي المزاج .. داهية .. شرير .. له بصمات دامية في كل مكان حل به من دول العالم وفي أماكن لا يتوقع أحد وجوده فيها .

وطوال أربعين عاماً من خدمته في الجاسوسية كانت مهمته تنظيم الفتن وتجهيز الثورات وتدمير الجيوش والأساطيل وأودى بها إلى أعماق البحار.

وهو القائل :

- ليس لي وقت للقراءة عن الثورات .. إنني أصنعها .

وكان يرد قول انتون الفرنسي :

- الثائر الصحيح يحتاج كل ليلة إلى امرأة مختلفة .

حتى إنه لم يعد يذكر عدد المكاتب التي داهمها رجاله .. أو من اختطفوا أو قتلوا أو ما حصلوا من وثائق ..

إلا أنه يذكر جيداً عملاءه من كلا الجنسين الذين جندوا لخدمة أغراضه. إنه الذي قيل عنه إنه رجل بعدة وجوه وبرأي واحد .. إنه (أرنست فريدريك وول ويبر) مدير البوليس السري لجمهورية ألمانيا الديمقراطية المعروفة بـ (س.س.د) ورئيس مكتب الاستخبارات ومكافحة الجاسوسية وأخطر وأمهر جاسوس ألماني شرقي يعمل لحساب الروس . هذا الشخص الذي حياته حافلة بالقتل والتدمير منذ عام ١٩٢٠ عندما عين رئيساً منقذ للحزب الشيوعي في ألمانيا يقول "دعونا نسمع ما يقول" :

- أنا أضيق ذرعاً بعمليات الخطف وغسل الدماغ أو توبة الضحية ..

أنا أؤمن بأن أي شخص يبدي أقل انحراف أو حتى مجرد الاشتباه في ولاءه يجب تصفية أمره بالحال .

وقد بلغ مجموع الضحايا التي قتلها بنفسه أكثر من ٣٥٠ رجل وامرأة أغلبهم من أعوانه أو عملائه السريين .

وكان من صلاحياته أبان حكم خروتشوف أن يعدم جنرال في الجيش السوفييتي بحجة أنه خطر على أمن الدولة ومن غير أن يحصل على موافقة خروتشوف نفسه أو موافقة الكرملين .

وفقد هذا السفاح في دائرة الاستخبارات السرية في (نور مانينستراس) التي يدير منها عمله وشبكة التجسس الشيوعية التي يقدر عدد أفرادها بتسعة آلاف جاسوس وعميل سري و ١٢٥ ألف مخبر .

ومن مكتبه بعث أحد عملائه بطائرة خاصة حاملاً معه الكتيب السري جداً وبرفقته مذكرة موجهة إلى وزير الدفاع السوفييتي المارشال جورجي.ك. زيكوف يقول فيها:

- إن الميجور تروبانوف قد لقي مصرعه نتيجة ارتباطات غير حذرة مع الضباط الأمريكيين وعاهرات سيئات السمعة ، وإن مكتب الاستخبارات يرفق لجنابكم الكتيب الحربي الذي عثر عليه بين حوائج الرفيق الراحل، ولا ريب أيه ذو قيمة.

والكتاب السري جداً أرسله إلى وزير الدفاع السوفييتي بغلاف عادي مربوطاً بخيط بدل من أن يختمه بالشمع الأحمر كما جرت العادة في الأمور السرية.

عندا أصبح وول ويبر عضواً في المكتب السياسي وعين رئيساً لمكتب الاستخبارات والرئيس الأعلى لجميع منظمات الجاسوسية الروسية ومكافحتها أصبح عدوه اللدود الليوتانت جنرال رينهارد جهلين رئيس منظمة جهلين[1] للجاسوسية في ألمانيا الغربية .

---

(١) أنشأ جهلين منظمته بعد الحرب العالمية الثانية برعاية مكتب الاستخبارات المركزي الأمريكي (CIA) الذي يمدها سنويا بحوالي ستة ملايين دولار . وتتألف هذه المنظمة منن ٥٠٠٠ مخبر من الجواسيس الألمان والعملاء السريين جندهم جهلين لتلك المهمات . وعرف جهلين بالجنرال الذي لا وجه له إذ أنه لم يشاهد يوماً وسط الناس ولم تؤخذ له سوى صورة واحدة يوم كان ضابط استخبارات في ويرماخت . ويتخذ جهلين مقراً لسكناه ولمنظمته المعروفة باسم (م.ج) قصراً قديماً عند ضاحية ميونخ في بولاخ . ويبث الحراس المسلحين في هذا المكان تعاونكم الكلاب البوليسية .

أتذكرون الشخص الذي قتل تروبانوف في الفندق والذي كـــان يرافــق وول .. إنه هينز فيلف الذي سلمه وول الكتاب الأخضر ليسلمه بــــدوره إلـــى جهلين.

وفيلف هذا الذي يعمل مع وول ويبر هو الرئيس للقسم الشرقي الألماني ولكنه عميل مزدوج فعندما وصل إلى مقر إدارة منظـــمة جهلين فـــي بـــولاخ أدخل مكتب رئيس المنظمة رينهارت جهلين وقال فوراً : أود إبـــلاغ ســـيادتكم بنجاح مهمتي .

ووضع فيلف الكتاب الأخضر فوق مكتب جهلين فتلقفه جـــهلين وأخـــذ ينظر تارة له وتارة لفيلف وقال : لقد أذاع بوليس برلين الغربية بأن تروبـــلنوف وامرأة تدعى جريتا قتلا بالرصاص في غرفة بأحد الفنادق .. فكيـــــف حـــدث هذا؟.

أجاب فيلف بسرعة : لقد شـــوهد تروبـــانوف يـــتردد إلـــى الضبـــاط الأمريكيين ولعل عملاء (م.ف.د) تلقوا أمراً من موسكو بتصفيته .

قال جهلين : ربما .. يمكنك الانصراف .

جلس جهلين بمفرده وراح يتفحص الكتاب الأخضر فوجد أنـــه يذكـــر بالتفصيل تحركات الجيش السوفييتي وتوزيع قواه وفرقه في حالة الحرب مـــــع قوة عالمية – يقصد الولايات المتحدة – كما أن الكتاب تضمن معلومات وحقائق عن سلاح الدبابات والمدفعية والطيران وجميعها مدعمـــــة ومقرونـــة بكيفيـــة استعمال الأسلحة الذرية والنووية.

وعندما أحال المخطوط إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكيـــة (CIA) لم يكن يعلم أن المخطوط كان إحـــدى خـــدع (وول ويبـــــر) وإن

الأرقام وفنون تحركات الجيوش في الحرب النووية كانت كلها زائفة ومضللة بدقة .

قلنا أن فيلف عميل مزدوج إلا أننا لم نتعرف عليه ..

إنه العميل المزدوج (هينز فيلف الذي عمل لحساب الشيوعيين) . لقد تلقى فيلف تدريباً عالياً في فنون الجاسوسية على يد هنريخ هملر ، وكنازي متحمس الحق أثناء الحرب العالمية الثانية إلى مكتب أمن الدولة الذي يرأسه هملر .

ولنشاط فيلف فقد نقله هملر إلى قسم الاستخبارات ومكافحة الجاسوسية المضادة التابعة للحرس الأسود حيث أتاح له هملر لتنمية مواهبه .

ومن أهم أعمال فيلف حصوله على التقارير الأولى لمؤتمري (مالطا- طهران).

وبعد انتهاء الحرب أخلى سبيل هينز وخرج من أحد معسكرات سجناء الحرب.. وبقي لمدة عام ونصف يتنقل بوظائف بسيطة إلى أن جاء عام ١٩٤٧ حيث اعتمدته الاستخبارات الحربية البريطانية عميلاً سرياً لها .

وعندما خفضت ميزانية قسم M1-5 تم الاستغناء عن خدماته .

وعن طريق الصدفة التقى بزميل له من الحرس الأسود يدعى هانز كليمينز فطلب منه أن ينضم إلى منظمة جهلين وقال له أنك ستستفيد من منظمة جهلين ومن الاستخبارات الروسية .

-قال فيلف : إذن أنت عميل مزدوج ؟ .

-أجاب : مصلحتي فوق كل اعتبار .. هه .. ماذا قلت ؟

-أجاب فيلف : لك حق التصرف .. افعل ما تريد .

وكان اللقاء الأول مقابلة الكولونيل (مـــاكس) أي وول ويـــبر . وفـــي المساء استقلا قطار سباهي إلى محطة برلين الشرقية ومن هناك انتقـــلا إلـــى فيلا وول ويبر بواسطة احدى سيارات الــ (س.س.د) التي كانت بانتظارهمـــا وبعد العشاء دار الحديث بينهم عن أمور عامة عرف فيلف أن ماكس يختـــبره من خلالها.. ثم قال ماكس: لقد اطلعت على ملفك الموجـــود فـــي أرشيفنـــا واقتنعت به وستلتحق كعميل في منظمة جهلين بألمانيا الغربية وســـتظل أنـــت وكليمنز على اتصال معي .

– قال فيلف : وهل ينبغي أن اعلمك بجميع مهماتي .

–قال كاكس : نعم وستنفذها كما نريد لئلا ترتاب المنظمة بك .

نريد حصولك على بعض الوثائق الحربية التي ستبدو حقيقية ، ولكنـــها بطبيعة الحال ستكون مضللة . يتعين عليك كشف أحد مخبرينا السريين فيما إذا تهاون أو تعاطف أو تخاذل في عمله والقاء القبض على أي جاسوس تجد أننـــا لسنا بحاجة إليه ولا يملك معلومات ذات شأن يفيد منها العدو .

انظر ها هو الهر كليمنز يتمتع بثقة الجنرال جهلين بحيـــث يحـــق لـــه الوصول إلى جميع ملفات الغرب السريين العاملين خلـــف الســـتار الحديـــدي وملفات منظمات جهلين.

إنه يقوم بتصوير وثائق ألمانيا الغربية بالميكروفيلم ..

وهكذا التحق فيلف إلى منظمة دائرة الاستخبارات السرية التي يرأســـها وول ويبر ومنظمة جهلين .. بالواسطة .

وطوال عشر سنين كان فيلف وكليمنز يصوران وثائق الاســـتخبارات الألمانية المهمة ثم يضعان الميكروفيلم داخل علب الطعام المصنوعة من التنـــك

ثم يختمانها ويسلمانها إلى المراسل (تيبل) الذي يضعها في داخل مخبأ المؤونة في قطار سباهن وبعدها تهرب إلى ألمانيا الشرقية حيث يقوم السفاح بفحصها ومن ثم يرسلها إلى موسكو .

وقد تم نقل ١٥٠ ألف صورة ميكروفيلم إضافة إلى أشرطة مسجلة وتقارير شفاهية ولاسلكية وقوائم بأسماء عملاء مكتب الاستخبارات المركزي ومنظمة جهلين وغيرهم من عملاء الغرب والذين دفع وول ويبر لهم مقابل خدماتهم ٧٨ ألف دولار أمريكي .

التجسس عن طريق الدعارة

طوال عشر سنوات ظل (نيكلينا خروتشوف) والكرملين على اطلاع شامل بأسرار أميركا الحربية ومفاوضاتها الدبولماسية مع حكومة ألمانيا الغربية وأثبت (هينز فيلف) بصفته عميل مزدوج مهارته في السير على الحبل المشدود فقد كان ينفذ المهمات التي تكلفه بها منظمة (جهلين) بنجاح باهر .. فهو الذي حطم شبكة تجسس شيوعية تعمل في (دار الآنسة جيزيل) في بالمر سدورف بالقطاع البريطاني من برلين الغربية فقد كانت الآنسة (جيزيل) امرأة جذابة تدير أفخم بيت للدعارة في أوروبا. توجد فيه بصورة دائمة حوالي اثنتا عشر فتاة من مختلف بلدان أوروبا. من فينا وباريس وألمانيا والسويد. غانيات من أجمل وأروع ما في القارة الأوروبية.

كان من زبائن هذا البيت ، عدد من الدبلوماسيين البارزين وضباط الجيش الأميركي إلى جانب أثرياء برلين ووجهائها .. (جاهلين) بأن تكون الآنسة (جيزيل) عملية شيوعية .. وأن بيتها فخ معطر ومغري لتسقط الأخبار والمعلومات القيمة بالمجان .

وانتحل (فيلف) صفة زبون وذهب لزيارة بيتها فاستقبلته بالترحاب وأكرمت مجيئه كزبون جديد . وظهرت أمامه ست فتيات ليختار من بينهن الفتاة التي يريد . وكن جميعاً يرتدين عباءات مسائية شفافة تكشف عن مفاتنهن الشهية وأجسادهن التي تضج بالجنس .

واختار (فيلف) احداهن وكانت شقراء مياسة القد تدعى (هانسي ستاجل) أخذته للطابق العلوي حيث غرفتها . ولاحظ بجانب سريرها سطل فيه زجاجة شمبانيا غائصة في الثلج . وأشارت (هانسي) بيدها الرشيقة إليها وقالت باسمة .

-إنها مجاملة من الآنسة (هيزيل) .. فتعال نشرب معاً ..

-وعلق (فيلف) على كرم صاحبة البيت قائلاً : يا لها من لفتة كريمة تشكر عليها.

وفتح الزجاجة وصب الشمبانيا في كأسين وأخذا يرتشفان مشروبهما بتلذذ. وكجاسوس خبير كان (فيلف) معتاداً على شمبانيا المجاملة هذه . فهو قد استخدم هذه الخدعة ذات يوم في احدى المناسبات .

فعندما يقوم المرء بصب الشمبانيا في الأقداح فإنه يترك بصماته على الزجاجة الرطبة.. وهذه البصمات عندما ترفع فيما بعد تصبح ذا نفع كبير أما في كشف شخصيته أو في استعمالها كدليل على زيارته لبيت العاهرة (جيزيل).

نزعت هانس عباءتها الشفافة دون أن تفطن إلى (فيلف) قد تنبه إلى لعبتهم وبات مرتاباً ، واعترف (فيلف) بينه وبين نفسه وهو يرمق قوامها باعجاب بأنها حقاً صاحبة جسد فاخر .

وسألها قائلاً :

-هل لنا أن نتمتع بكأس ثانية؟ .

فأجابته بتغنج :

-ما المانع إذا كانت هذه رغبتك .

التقط (فيلف) كأسها الفارغة واستدار ليمسك بالزجاجة وهنا صب من قارورة صغيرة تحتوي هيدرات الكورال كان يحملها في باطن يده .. ثم ملأ الكأس بالشمبانيا.. وأخذ يشربان من جديد ، ولم يطل الوقت حتى بدأت (هانس) تتمايل على يديه وتشكو من الدوار .

فقال ملاطفاً :

سوف يزول الدوار سريعاً ، ويستحسن أن ترقدي في الفراش . وحملها بين ذراعيه ، وما كاد يضعها على الفراش حتى كانت تغط في نوم عميق وانثنى يفحص الجدران وسقف الغرفة ويفتش تحت الأغطية وخلف الصور والمصابيح وقطع الأثاث الأخرى بعناية وترتيب . فلم يعثر (فيلف) على ميكروفونات مخبئة .. فهو لم يكن يتوقع عثوره على شيء من ذلك لأنه حديث (هانس) كان عادياً . حيث كان واضحاً أنها لا تنوي الحصول على أية معلومات تثير حذر زبونها .

وانتبه (فيلف) إلى مصباح كان يعلو الفراش ، فوقف على السرير وأخذ يفحص ثريا المصباح، وسرعان ما عثر على (كاميرا (٨)) ميليمتر مختبئة داخل الثريا وعدساتها موجهه إلى أسفل ، ومزودة ببكرة فيلم ما دون الأحمر تعمل اوتوماتيكياً حيث أنها متصلة بمفتاح النور بواسطة شريط معدني دقيق. وتدور الكاميرا بمجرد أن يطفأ النور. فتسرع بالتقاط الصور لما يجري من مشاهد فوق الفراش .

اعاد (فيلف) الكاميرا إلى موضعها بعد أن نزع منها الفيلم ، وخلع

ثيابه واستلقى على الفراش تاركاً النور مضاء حيث مضى وقت طويل قبـل أن يتمكن من النوم .

وفي اليوم التالي سافر (فيلف) إلى برلين الشرقية في مركز قيادتـه . وبعد نصف ساعة التقى الاثنان في قهوة صغيرة بالقرب من نورما نينسترّاس.

وقال (فيلف) موضحاً :

-إن الحالة طارئة وعاجلة .

وأخبر (وول ويبر) بمهمته وبما اكتشف في غرفة (هانسي) . ثم سـأله مستفسراً :

-ما عساي اكتب في تقريري (لجهلين) ؟

انتهى زارع الموت من فنجانه قبل أن يجيب ، ثم قال بهدوء :

-عندما تبدأ منظمة (جهلين) ترتاب بشخص أو بمكان ما . فلا يعـود أي منهما ذا نفع لنا . لقد مكنتنا مؤسسة الآنسة (جيزيل) الحصـول على بعض الصور الهامة والممتعة لكثير من وجهاء برلين الغربية وضباط الجيش الأميركي والبريطاني .

صـور داعرة تتحول إلى أداة نافعة عندما يحين الحاجـة إليـها .. لا تذكر في تقريرك (لجهلين) عن الكاميرات الخفية .. اخبره فقط بأنك اكتشـفت ميكروفوناً صغيراً، وإنك ترتاب بأن باقي الغرف مزودة بمثله .

وعاد (فيلف) إلى بولاخ ، وقدم تقريره (لجهلين) حسب تعليمـات (وول ويبر) وقام بوليس ألمانيا الغربية بصحبة (فيلف) وغيره مـن رجـال منظمـة (جهلين) بالإغارة على بيـت الآنسـة (جـيزيل) . وعـثروا هنـاك علـى ميكروفونات مخفية في غرف الفتيات .

وأثنى (جهلين) على جهود (فيلف) لإكتشافه مركـــزاً اســـتراتيجياً شيوعياً لإستراق السمع من برلين الغربية . ورقاه ليترأس القسم الشرقي فـــي منظمة (جهلين)

وحكم على الآنسة (جيزيل) بتهمة الإرتيـــاب فـــي كونـــها عميلـــة سوفياتيـــة، لكنها لم تلبث أن لفظت أنفاسها في زنزانتها علـــى اثـــر تناولـــها كبسولة السيانيد .

بدأ (هينز فيلف) بصفته رئيساً للقسم الشرقي في منظمـــة (جـــهلين) ، بتسلم المزيد من المهمات الكبرى ، وبذلك بات يتغيب معظم الوقت عن مركـــز القيادة في بواخ .. فقد أصبح ذا قيمة عظيمة للسفاح الذي لم يجد صعوبة فـــي ترشيح عميل مزدوج آخر للعمل في منظمة (جهلين) كي يساعد (كليمنز) فـــي تصوير المستندات والوثائق بأفلام الميكرو بدلاً من (فيلف) .

وكانت منظمة (جهلين) تتعقب الجواسيس الروس والعملاء العاملين في المانيا الغربية وتقبض على عدد وافر منهم شهرياً .

ولكن معظمهم كانوا عديمو الأهمية وكان يتم ذلك بمعرفـــة وموافقـــة السفاح .

وبذلك اكتسب الفرع الشرقي الذي يرأسه (فيلف) سمعة جيدة بأنه انشط وأقدر وحدة في منظمة (جهلين) في القبض على الجواسيس . -

وبهذا أصبح مركز (فيلف) في منظمة (جهلين) متيناً ومأموناً . وبـــات باستطاعة السفاح استغلاله للمزيد من العمليات الهامة .. ومن العمليات البـــارزة التي اشترك فيها كانت عملية اختطاف عـــالم الصواريـــخ الشـــهير الدكتـــور (اتوهيس) الذي كان يعمل في محطة الصواريخ الروسية في بنمومد . فقد كـــان

(هيس) في مركز يستطيع معه كشف انجازات السوفيات ومدى تقدم أعمالـــهم في حقل الصواريخ عابرة القارات وصواريخ حاملة الأقمار الصناعية .

وقال جهلين مخاطباً فيلف ستأخذ الدكتور إلى المانيا الغربية وفي فنـدق كمبينيسكي سيتصل بك اثنان من عملائنا لينقلاه إلى فندق فلاغافن في مطـــار تميلهوف حيث ينتظره رجال الأمن الأمريكيون بانتظاركم ليحملوا الدكتور فـي طائرة تقله إلى الولايات المتحدة .

إلا أن فيلف اتصل هاتفياً بـــ (وول ويبر) وقال :

سوف ارافق عمي إلى منتجع الصحة المعين فهل سيكون هناك زائرون آخرون خلاف أفراد العائلة الموجودين ؟

قال ويبر : سأحضر بنفسي إني جداً معني بصحة عمك .

وبينما كان العميلان المكلفان بمرافقة هيس في طريقهما إلـــى قـاعدة تمبهلوف اعترضت طريقهما سيارة شحن واجبرتهم على الوقوف .

ونزل (ويبر) نفسه من السيارة وهو يحمل مدفعاً رشاشاً وأمر الرجلين بالنزول وقد حاول احدهما مد يده إلى مسدسه فانطلق عياران ناريان أصابته في صدره فاردته قتيلاً كما انطلق عيار ثالث ليفجر رأس الثاني .

وانطلقت سيارة الشحن لتختفي عن الأنظار وكأن شيئاً لم يكن .

بينما صعد وول ويبر إلى سيارة السيدان وقادها إلى فندق كيمنيســـكي وتبعته سيارة فولكسفاجن سوداء كان يقودها حارس (وول ويبر) المدعو (هانز سيوالد) .

دخـــل وول للفندق وفتح له (هينزل فيلف) باب الغرفة رقم ٣٢٠ بعـد أن سمع الطرقات المتفق عليها .

ودخل السفاح إلى الغرفة وقدم فيلف القادم إلى الدكتور هيس بقوله :

الهرشميدث أحد عملائنا سيرافقك إلى مطار تمبلهوف .

التقط السفاح حقيبة الدكتور الصغيرة وقال :

من الأفضل الخروج من الباب الخلفي للفندق إذ يحتمل وجود عملاء الشيوعيين في ردهة الفندق ، وإن سيارتي تنتظر هناك .

وقد وصل بوليس المانيا الغربية إلى مكان الحادث الذي تحدثنا عنه وتعرفوا على الجثث (كورت فارينخ وفرانزيرت) وهما عميلان سريان من منظمة (جهلين) وإلى جانبهما العالم الألماني دكتور هيس الذي اخترقت رأسه من الخلف رصاصة دمدم .

وفي منظمة (جهلين) برأت أقوال هينز ساحته إذ أنه قام بحراسة الدكتور هيس وسلمه حسب الأوامر إلى العميلين .

وقد صدق جهلين الموضوع إذ كان الشخصان المكلفان بمرافقة الدكتور هيس في السيارة ومعهما الدكتور قد قتلوا جميعاً .

وقد ثارت ثائرة جهلين وأعلن عن مكافأة مالية قدرها مليون دولار لمن يأتيه برأس آرنست وول ويبر .

وقد تم نقل ويبر إلى موسكو في أواخر عام ١٩٥٨ خوفاً عليه من الذين يطمعون بالمكافأة. وأصبحت منظمة السفاح (س.س.د) تحت الإدارة المباشرة لوزارة الداخلية السوفييتية .

خريطة على البيض :

ومن أعمال ويبر الخارقة أثناء الحرب العالمية الثانية تزويد الروس بخريطة تبين مواقع الدفاع الالمانية في برلين .

فقبل اجتياح الروس لبرلين بستة أسابيع تسلل (ويبر) مع شـــلة مـن عملائه وجواسيسه إلى العاصمة الألمانية برلين .

وفي الأول من مايو عام ١٩٤٥ كان في حوزة الضباط الروس وهـــم يزحفون إلى المدينة خريطة حربية مفصلة تظهر مواقع الاستحكامات ومخـازن الفحم والتموين في المدينة .

وقد هربت هذه الخارطة الإستراتيجية بطريقة تفوق العجب .

فقد قام أحد الحفارين من أصدقاء (ويبر) القدماء برســم خرائـط ١٢ قطاع من قطاعات المدينة على جدران ١٢ بيضة .

وكانت هناك امرأة عجوز شيوعية تدعى (فريدا شـــويلر) انتحلـت شخصية مزارعة واخترقت خطوط القتال بحجة بيع البيض وسلمتها إلى عميـل (ويبر) .

وقبل أربعة أيام من احتلال الروس لبرلين اخترقت (فريدا شـــويلر) خطوط القتال للمرة الثانية وهي تحمل ١٢ بيضة أخرى وهكذا تم نقل أجـــزاء الخارطة الحربية الشهيرة التي مكنت السوفييت من الإستيلاء علـــى العاصمـة بخسائر أقل وبوقت أقصر ..

ولقد كانت (ايدماسيدث) إحدى عميلاته التي سلكت طريقها وحظيـــت بثقة اركان حرب الأمريكان في المانيا الغربية وهي التي أنبأت ويبر بجنـــوح الضابط السوفييتي ايكور تروبانوف وتقربه من الحلفاء واعتقادهـــا بأنـــه قـام بتزويدهم بالمعلومات عن المنطقة السوفييتية .

وقد بلغت ميزانية شبكة ويبر عام ١٩٥٣ حوالي (٤٠) مليـــون دولار والتي كانت تفوق ميزانية هيئة أمن الدولة في موسكو التي يترأســها الجـنرال (إيفان سيروف).

وعندما كان ويبر رئيساً للمنظمة كان الليوتانت جنـــتر مينــل يشــغل منصب رئيس المكتب الأمريكي لجمع المعلومات الحربية عن الولايات المتحدة ولكن وزارة الداخلية السوفييتية أعفته من منصبه وسلمته منصباً أدنى .

ولم يثمر عمل مينل إلا في عام ١٩٦٠ عندما ألقـــى بوليــس المانيــا الشرقية القبض على (جوزيف باتريك كوفمان) الكابتن الطيار في سلاح الجـــو الأمريكي ..القى القبض عليه في قطار للسكة الحديدية بينما كان مسافرا مـــن هامبورغ إلى المانيا الغربية .

واستطاع مينل الحصول من كوفمان على أسرار عن قاعدة الولايـــات المتحدة الجوية في ثيول بجرينلاند .

ثم اطلق سراح كوفمان بعد أن وعـــد بـــالحصول علـــى مزيــد مــن المعلومات الحربية ومحاولة استمالة رجال آخريــن مــن الجيــش الأمريكــي واستمالتهم للعمل كجواسيس للسوفييت .

إلا أن كوفمان نقل ماحدث إلى قاعدة (اكسل) الجوية.

وتسبب ذلك بتوجيه التوبيخ إلى جنتــر وتنزيل درجته ومركــزه ممــا قرر أن يلحق الضرر بوزارة الداخلية .

وعندما وصل جنتر إلى برلين الغربية طلب حماية استخبارات الولايات المتحدة الحربية واعدا اياهم بإفشاء أسرار مذهلة ومنها الأسرار التي ادلى بــها

كوفمان والتي على اثرها أوقف واعيد إلى المانيا وحوكم عسكرياً وحكم عليه بالحبس عشرين سنة أشغال شاقة .

كما افشى جنتر كل شئ عن منظمة جهلين التي تعج بالعملاء المزدوجين العاملين لحساب الروس .

وعجبت الاستخبارات فكيف يخترق الجواسيس المزدوجين منظمة جهلين ..إلا أن جنتر زاد عجبهم واستغرابهم عندما أخذ يعدد أسماء هؤلاء العملاء وكان أول اسم قاله : هينز فيلف مدير احدى الفروع في منظمة جهلين قسم مكافحة الجاسوسية .

ثم قال : هانزكليمنز الذي قام بتصوير معظم المستندات .

ثم : ايروين تيبل مراسل لكل من الـ (س.س.د) ومنظمة جهلين .

واتصلت قيادة الاستخبارات الحربية الأمريكية فوراً بالجنرال جهلين وأبلغته بالخبر إلا انه جهلين لم يصدق ذلك .

وقد اكتشف في محل اقامتهما في ثكنات الجيش كاميرات ميكرو ومسجلات وميكروسكوبات وحقائب ملأى بالمعدات السرية.

والقي القبض عليهما وسيقا تحت الحراسة مع تيبل إلى السجن .

وفي يوليو سنة ١٩٦٣ جرت محاكمة الثلاثة في كارلسرو أمام القاضي كيرت ويبر وقاضيين من المانيا الغربية .

وأعلن في اكتوبر عام ١٩٦٣ على أن الرئيس الأعلى لمكتب الجاسوسية في المانيا الغربية الجنرال رينهارت جهلين يزمع الاستقالة .

وكالة الاستخبارات اليابانية :

دمر جيش اليابان وخربت المدينة بعد الحرب العالمية الثانية إلى جانب تدمير وكالات الاستخبارات فيها .

إلا أن هذا كله لم يمنع اليابان من إنشاء شبكة عظيمة من العملاء أثناء الحرب ولهذا كانت تخبر الحكومة الفاشية بكل تحركات قوى التحالف .

هاهو (تاكيو يو شيكاو) عميل مكتب الاستخبارات البحرية اليابانية يعين في هونولولو عام ١٩٤١ بوظيفة نائب القنصل ..

وكان شيكاو يشاهد دائماً حول البارات الفخمة وفي النوادي الليلية .

ولم يكن يكتف بالمعلومات التي يحصل عليها حتى ليقال عنه أنه يبحث في القمامات البحرية على أمل أن يحصل على بعض المعلومات القيمة حول النشاط البحري .

وإن أهم معلومات أرسلها إلى السلطات اليابانية إن الأميرال البحري كيميل كان قد رفض الخطط المدمرة لشبكة الغواصات في المرفأ .

وباندلاع الحرب اعتقل في نفي إلى اليابان .

وكان الـ C.I.A قد أبقى هؤلاء العملاء تحت المراقبة المشددة فظلت تخبر الأميرال البحري تشير نيمنز بكل تحركات الأسطول البحري الياباني .

كما أبقوا تحركات الأميرال البحري (إيزوروكو يمامونو)[1] تحت المراقبة .

---

(١) هو الأميرال الياباني الذي خطط للهجوم على ميناء بيرل (الجوهرة) واستطاع الأمريكان إسقاط طائرته ومات في حطامها .

وبعد الحرب العالمية أعيد تنظيم وكالات الاستخبارات اليابانية وكان أهم وكالة هي وكالة (الناتشيو) أو ما يدعى (مكتب المباحث) وكان ارتباط هذه الوكالة برئيس الوزراء مباشرة .

وبالرغم أن عدد أفراد هذه الوكالة لم يتجاوز المائة شخص إلا أنها استطاعت بناء شهرتها من خلال كفاءتها .

كما تأسس باسم وكالة الدفاع عدد من الأقسام من بينها عمليات البحث .

وكان مركز الناتشيو في العاصمة طوكيو وهي مجهزة بالوسائل الإلكترونية من أجل اعتراض الرسائل العسكرية والدبلوماسية الاذاعية في المناطق الحدودية المجاورة للاتحاد السوفييتي والصين وكوريا الشمالية .

وبرهنت هذه الوكالة على كفاءتها عندما سجل اليابانيون المحادثات بين المراقبة الأرضية والطائرات السوفييتية النفاثة التي أسقطت طائرة الركاب الكورية من طراز بوينغ فوق جزيرة ساخالين[١] الروسية .

وقد خلق اسقاط هذه الطائرة في ايلول ١٩٨٣ ضجة عالمية .

وتنفق الناتشيو ثلث ميزانيتها على شراء تقارير من معاهد خاصة أو من الصحفيين إلا أنها اتخذت خطوات لتأسيس وكالة مركزية لجمع وتحليل التطورات السياسية والعسكرية عام ١٩٧١ .

وكان الوضع الذي ركزت عليه هو مراقبة التحركات البحرية والجوية حول اليابان ، وتولى مكتب الأمن مهمة التجسس المضاد ضد الجواسيس السوفييت والصينيين .

---

(١) تقع هذه الجزيرة بالقرب من شمال اليابان .

وظهرت الوكالات السرية اليابانية في الظهور عندما تم معالجة قضية فكتور بيلينكو الذي طار إلى اليابان على أحدث طائرة مقاتلة من طراز ميغ – ٢٥ وهبط ذلك الطيار السوفييتي في اليابان عام ١٩٧٦ .

وخشية أن يقوم الاتحاد السوفييتي بتدمير الطائرة في مطار هاركوديت الحربي فقد تم نقلها إلى قاعدة جوية وهناك تفحصوا بعناية كل تفصيل من تصميمها وصوروه ثم أعادوها إلى روسيا عن طريق البحر .

وقد صرح الجاسوس الروسي ستاينسلا ليفيتشنكو بأن اليابان جنة الجواسيس.

إن القوانين اليابانية لينة تماماً مع النشاط التجسسي فتصور أن المستخدمون والعسكريون والحكوميون المنخرطون في النشاط التجسسي يحكم عليهم بالسجن سنة واحدة .

ووصل ليفينشنكو إلى طوكيو عام ١٩٧٥ باعتباره مراسل لصحيفة نيوتايمز السوفييتية .

وفي عام ١٩٨٠ اكتشف أن اللواء يوخيساميا ناغا[١] ومعه ملازم أول وضابط بحري شاركوا في التجسس لصالح الاتحاد السوفييتي واتصل هؤلاء بالمخابرات العسكرية اليابانية ودفع لكل منهم ١٠٠٠ جنيه استرليني لقاء تسليم وثائق للملحق العسكري السوفييتي وادلوا لمعلومات تتعلق عن تنظيم المخابرات في اليابان .

---

(١) لقي الجنرال حكماً أقصاه سنة واحدة فقط .

وكالة الاستخبارات في جنوب إفريقيا(٢)

(مكتب أمن الدولة B.O.SS) :

من كل ما ذكر بالهامش ، راحت وكالة الاستخبارات B.O.S.S بإرسال قنابل على شكل طرود بريدية للمقاتلين من أجل الحرية في أفريقية .

كما راحت تدبر الخطط لسرقة مكاتب لندن التابعة للجماعات المعادية لسياسة التمييز العنصري .

ولم تسلم منها حتى المنظمات العالمية كمنظمة العفو الدولية التي تناضل من أجل حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم .

وتشترك وكالة الاستخبارات BOSS في بث الشائعات حول القادة الأفارقة ومؤيديهم سعيا لتشويه سمعتهم والنيل منهم .

كما أن أعمالها منصبة للتسلل والتوغل بين الجماعات التي تعمل لصالح حكم السود في جنوب أفريقيا .

ويعود الفضل لجعل وكالة الاستخبارات BOSS عديمة الشفقة أو

---

(٢) عندما جاء المهماتما غاندي من الهند إلى جنوب أفريقيا ليمثل أمام المحكمة في احدى القضايا شاهد سياسة التمييز العنصري هناك .لقد مارست جنوب افريقيا وما تزال هذه السياسة واجبرت الناس على العيش في ظروف لا انسانية وفي مناطق محصورة بهم .ليس بمقدر أحد السير في طرق معينة ولا لأحد منهم السير ضمن ممرات المشاة المخصصة ولا يحق لهم الدخول إلى المتنزهات العامة . حتى أن غاندي نفسه طرد من مقصورة الدرجة الأولى في القطار إذ لايسمح للهنود السفر بمقصورات من الدرجة الأولى , وهنا قام غاندي بتجريب الإصلاح الاجتماعي والسياسي اللاعنفي لأول مرة . إن الأقلية من الأوربيين تحكم البلاد وبقبضة حديدية والخدمات السرية تنحصر ضمن إبقاء جنوب افريقيا بلدا تابعا للبيض وقمع الثوار السود المطالبين بالحرية دون رحمة أو شفقة ..بالإرهاب ..بالاعتقال ..بالقتل إذا لزم الأمر .

الرحمة إلى الجنرال هاندريك فان دينبرغ الذي لاحق المعارضين لحكم البيض دون رحمة وراح بهم اعتقالاً وتنكيلاً وقتلاً [1].

وقد أعاد رئيس الوزراء بوثا تنظيم المؤسسة التجسسية .

وحلت خدمة المخابرات الوطنية محل وكالة الاستخبارات B.O.S.S[2] .

وفي عام ١٩٨٣ باح ثلاثة صحفيين أفارقة بأن الوكالة متورطة في محاولة الإطاحة بحكومة سايكليس .

وأدلى هؤلاء الصحفيين بأن الكولونيل (مايكل هوار) قام بالانقلاب الفاشل . وحوكموا سراً بالتجريم والغرامة .

وادعى هؤلاء الصحفيون أن هوار له علاقات مع الخدمة السرية .

وفي النهاية على الحكومة أن تعترف بأن مارتين دولين تشيك هو أحد رجال هوار عميل تابع لخدمة الاستخبارات الوطنية .

وادعت الحكومة أن دولين تشيك كان مسافراً خارج البلاد في ذلك الوقت .

---

(١) أدت أعماله إلى استياء عالمي وبالتالي جعله يتخلى عن منصبه عام ١٩٧٨ .

(٢) إن احلال خدمة المخابرات الوطنية محل وكالة الاستخبارات B...O.S.S كان ظاهرياً وشكلياً وتم تغيير اللقب فقط إلا أن السياسة والطريقة بقيتا نفسها.

الخدمات السرية في فرنسا :

بدأت الخدمات السرية في فرنسا في التجسس الداخلي والخارجي بعد الحرب العالمية الثانية تحديداً ومنذ ذلك الوقت وهي تخضع للكثير من التغييرات في لوائح أسمائها .

ولم يسمح الجنرال ديغول بأي حشد للقوة في خدمة سرية واحدة .

ويمكننا أن ننسب الهزيمة التي لقيتها فرنسا على يد الغزاة الألمان إلى فشل الخدمات السرية في فرنسا لأنها لم تستطع أن تقوم بتزويد معلومات دقيقة حول لحظة هجوم الجيش الألماني .

وكانت الحكومة الفرنسية تعتقد أنها بأمان خلف حصونها عند خط ماغينوت والتي ظنوا أن الألمان لن يستطيعوا اختراقها . إلا أن الألمان قاموا بعملية التفاف فأذهلوا الجيش الفرنسي ثم قاموا ببعض الأعمال الهندسية في دفاعاتهم .

وعند هذا الاحتلال لقي المكتب الثاني عشر والخدمات السرية نهايتهما عندما احتلت المانيا فرنسا .[١]

وعند هرب ديغول إلى لندن مع مجموعة من ضباطه أنشأ ديغول وحكومته الفرنسية الحرة استخباراتهم الخاصة بقيادة العميل الاسطوري وزعيم المقاومة الكولونيل (باسي)[٢]وأطلقت على منظمته اسم (المكتب

---

(١) هرب الجنرال ديغول ومن معه من الضباط الوطنيين إلى لندن واستطاع من هناك إدارة حركة سرية إلى أن دخلت الجيوش المتحالفة إلى فرنسا ووجهت ضربتها القاضية لهتلر .

(٢) اسمه الحقيقي (ديوافرين) ويعد أعظم عقل في هذه المنظمة والدعامة القوية فيها .

المركزي للمعلومات والعمل العسكري (B.C.R.A.M) وازدادت نشاطاتها وعدد عملائها عندما تقدمت جيوش التحالف في شمال أفريقيا . ثم انتقلت زمام أمور القيادة إلى جاكسوستيل الذي كان بارعاً في فنون التجسس ومخلصاً للجنرال ديغول .

وقد انقسمت هذه الخدمة السرية بعد الحرب العالمية الثانية إلى عدة فرق وكانت احداهما مؤيدة للأمريكيين والأخرى مؤيدة للبريطانيين .

وانقسمت الوكالة بأكملها إلى مجموعتين[٣] وفي ذلك الوقت أعيد تنظيمها أطلق عليها اسم : منظمة (سيدس SDECE) وتعرف بين الناس باسم (سيدك sdeck).

وكالة الاستخبارات (SDECK) S.D.E.C.E :

وهذه الخدمة ذات صفة علنية بالتجسس المضاد والتي يشرف عليها الرئيس فاليري غيسكارد ديسينغ وتبلغ قوتها ٢٠٠٠ شخص . وهذه الوكالة توازي وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) وقد لقبت هذه الوكالة (حوض السباحة).

لأن مركز قيادتها يقع بالقرب من مسبح توريلز .

ومن مهام هذه الوكالة بالعمليات خارج البلاد وحماية المصالح الفرنسية ضد التجسس السوفييتي الشيوعي وإلى جانب اهتمامها بالأمن الداخلي.

وقد أجبرت الحرب الجزائرية هذه الوكالة من تركز تجسسها في شمال أفريقيا في حين اهتمت القوى الغربية الأخرى بالحرب الباردة ضد روسيا .

---

(٣) مجموعة اليساريين ومجموعة اليمينيين .

ومن أهم الحوادث التي سنستعرض إليها هي :

حادثة فوزيولي :

عمل فيليب ثيوردود فوزيولي كعميل للخدمات السرية الفرنسية مدة عشرين عاماً وهو على صلة وثيقة بوكالة SDECE الواقعة في واشنطن لتعمل مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA وفرض عليه أن يتجسس ضد كوبا .

وزود فوزيولي وكالة الاستخبارات المركزية CIA بمعلومات ذات أهمية .

وقد توترت العلاقات بين SDECE والـ CIA بسبب سياسة ديغول .

وتلقى العملاء الفرنسيون تعليمات بالتجسس ضد أمريكا ذاتها إلا أن فيزيولي أبقى علاقاته الطيبة مع الـ CIA ولم يوافق على سياسة ديغول الجديدة.

وتوترت العلاقات الفرنسية الأمريكية عندما ثار الجنرالات ضد ديغول في الجزائر وكان لهم علاقات مع ريتشارد هيلمز وهو المدير الثاني للـ CIA.

وخلال عام ١٩٦٢ تمرد العميل الروسي أنا تولي غوليستين من الـ KGB وهرب إلى واشنطن وأباح أن الضابط الفرنسي جورج باك عميل روسي وعمل باك في مكتب منظمة حلف شمال الأطلسي (ناتو) .

كما أوضح أن كثيراً من الجواسيس الروس يعملون في وكالة الاستخبارات الفرنسية وبإسم مشفر هو (سفير) كما أن هناك جاسوس يعمل ضمن هيئة الرئيس ديغول .

وقد أرسل الرئيس الأمريكي جون كيندي رسالة إلى الجنرال ديغول بهذا الصدد . وأرسل كبار الضباط في المخابرات إلى واشنطن لاستجواب غوليستين .

ويقال أن جاك فوكارت وهو الصديق الحميم للجنرال ديغول كان عميلاً روسياً .

وقد عمل فوكارت في التنسيق بين عمليات المخابرات والبوليس ضد المتآمرين من الجناح اليميني والجيش الذين كانوا يريدون الإطاحة بديغول .

والفضيحة الأخرى التي انخرطت بها هذه الوكالة فضيحة (بن باركا) عام ١٩٦٠ وبن باركا سياسي مغربي محترف ومغترب وأحدث اختفاءه ضجة كبيرة والمعروف إن وكالة الاستخبارات الفرنسية على علاقة وطيدة مع البوليس السري المغربي وهم وراء عملية اختطاف بن باركا .

أما الفضيحة الأخرى التي تورطت بها المخابرات الفرنسية اعتقال عميلها روغر ديلوت في نيوجرسي لقيامه بتهريب مخدرات تبلغ قيمتها ١٢ مليون دولار .

وتورطت الوكالة الفرنسية في قضية الإطاحة بالعقيد معمر القذافي رئيس ليبيا .

وكان رئيس قسم العمليات في هذه الوكالة الكولونيل آلين ماروليز الذي ساعد الرئيس المصري محمد أنور السادات في جهوده للإطاحة بالعقيد معمر القذافي .

وكانت البلدان ستتحاربان بسبب هذه القضية .

وكان ماروليس يبذل جهوده للإطاحة بالقذافي .

وفي شهر آب ١٩٧٩ خلق ماروليس مشكلة في بنغازي وكانت وراء هذه المشكلة وكالة الاستخبارات الفرنسية .

وفي عام ١٩٨٠ أجبر ماروليس (ماروليز) على الاستقالة .

وقد عينت لجنة مباحث بقيادة الجنرال بيير بيلوت الذي اقترح حل هذه الوكالة وقال : إنني مقتنع تماماً إن هذه الخدمة السرية يجب أن تحل .

المديرية العامة للأمن الخارجي D.G.S.E .

أمر الرئيس ميتران [١] بإعادة تنظيم خدمات الأمن بعد انتخابه عام ١٩٨١ وأبدل اسمها إلى (D.G.S.E) وعين رئيساً لها خبير بالإدارة من الجوية الفرنسية .

وعين بيير ماريون بسبب صداقته مع وزير الدفاع ، إلا أن بيير استخدم هذه الوكالة في شؤون التجسس الاقتصادي والعلمي وقد قال له ميتران:

إن المعلومات السرية التي جمعتها هذه الخدمة السرية لم تكن أفضل من تلك المعلومات الموجودة في قصاصات الجرائد .

ولذلك عين بيير لاكوست رئيساً لوكالة الاستخبارات D.G.S.E .

وانتشر اسم هذه الوكالة في الهند بعد اغتيال السيدة غاندي [٢] وتولى

---

(١) فرانسوا ميتران سياسي فرنسي ولد عام ١٩١٦ . أمين عام الحزب الإشتراكي ١٩٧١ .رئيس الجمهورية الفرنسية ١٩٨١ .

(٢) انديرا غاندي ١٩١٧-١٩٨٤سياسية هندية ابنة جواهر لال نهرو رئيسة الوزارء١٩٦٦-١٩٧٧و١٩٨٠-١٩٨٤.اغتالها متطرفون من طائفة السيخ.راجيف ابنها ولد عام١٩٤٥،رئيس الوزراء خلفاً لوالدته ١٩٨٤.أغتيل أيضاً .

راجيف غاندي مهام مكتب رئيس الوزراء ووجد عملاء مكتب المخـــابرات إن الملحق العسكري في السفارة الفرنسية المقدم بولي عميلاً لوكالة الاســتخبارات (D.G.S.E) واشترك في النشاطات التجسسية ضد الـــهند وبســـبب حصانتــه الدبلوماسية لم يعتقل ، إلا أنه طرد من الهند باعتباره شخـــصا غير مرغـــوب فيه.

مكتب مراقبة الإرهاب D.S.T:

وتتولى هذه الوكالة مهمة مراقبـــة نشاطات الجواسيس الأجـــانب فـــي فرنسا وتتألف هيئتها من عدد من ضباط الجيش .

وعين الرئيس ميتران المستخـــدم المدني بافس بزينـــت رئيســـاً لـــهذه الوكالة وأولى وزير الأمن الداخلي غاستون ديفير الكثير من اهتمامه في هـــذه الوكالة وعملها.

وأكبر فشل لاقاه مكتب مراقبة الإرهاب DST هو عجزه عن اعتقـــال هنري كرويل . الذي يشترك في النشاطات ضد فرنسا وهـــو القـــائد الرئيـــس للمجموعة ضد ديغول خلال ثورة الجزائر وهو يفتخر قائلاً : إن لـــدى وكالـــة DST ملفاً عريضاً عني ولكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً معي أو ضدي .

وفي عام ١٩٨٣ قامت وكالة الاستخبارات DST بعملياتها ضد العمـــلاء الروس واستطاعت أن تكشف ما يقارب ٤٧ عميلاً طردتهم من فرنسا وكان من بينهم .٤ دبلوماسياً بعد أن عرفت معلومات عنهم من المنشق الروسي بوريس .

وعندما تولى بونيت رئاسة هذه الوكالة جمـــع معلومـــات ٣٠٠,٠٠٠ ارهابي في (الكومبيوتر) .

الخدمات السرية الإيرانية (SAVAK) :

أسس السافاك عام ١٩٥٦ حاكم ايران الشاه محمد ريزاشـــــاه بيـــهالفي بمساعدة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA والموساد الإسرائيلي .

وكان الهدف من تنظيم هذه الوكالة إخمـــاد أيـــة معارضـــة وتحطيـــم الحركات الديمقراطية في إيران .

وخلال عهده تصرفت وكالة السافاك كأداة رعب وكان يكفي ذكر اسمها بين الناس ليؤدي ذلك لارتعاشهم ورعبهم .

وقد تولى قيادة هذه الوكالة (السافاك) في ســـــنواتها الأولـــى القـــائد الاقطاعي (تيمور بختيار) وقد أفاد أحد التقارير :

إن السافاك منتشرة في كـــل مكان فهناك عميـــل للســـافاك وراء كـــل موظف كبير وحاكم ولاية وحتى وراء كل وزير ، يلازمه كظله محصياً عليـــه تحركاته وأفعاله وكان لها الحق والصلاحيات المطلقة في ذلـــك أضـــف إلـــى ارهاب وقتل معارضي الشاه المقيمين خارج إيران .

وخلال المظاهرة التي قام بها المنشقون على الشاه فـــي الـــهند كـــانوا يرتدون الأقنعة أثناء احتجاجهم على سياسة الشاه خوفاً مـــن التعـــرف علـــى أشكالهم وقتلهم من قبل وكالة الاستخبارات الإيرانية (السافاك) .

وبعد أن نجحت الثورة في إيران وغادر الشاه محمد رضا بهلوي البلاد انتهت هذه الوكالة وانتهى معها الإرهابي (شاه ريزا بيهالفي) .

وقد أغار الثوار من اتباع الخميني على مركز قيادة السافاك في بنـــاء (كميته) ودمروا المبنى ومزقت الملفات وبعثرت في الطرقات واحرقت الأدوات

المستخدمة في التعذيب .

وكان هدف الثوار الإمساك بـ (نعمة الله نصيري) القائد الثالث لوكالة الاستخبارات الإيرانية (السافاك) .

وقد تمكنوا من الإمساك به وقتلوه على سطح البناء الذي جعله نصيري مركزاً مثيراً لإرعاب الناس .

وقد قتل عملاء وكالة الاستخبارات الإيرانية (السافاك) القائد المؤسس لهذه الوكالة (تيمور بختيار) بسبب انصرافه لحبك المؤامرات ضد الشاه وعاش في منفاه في العراق .

وقد اختطف عميلان للسافاك طائرة ايرانية عام ١٩٧٠ وطلبا السفر للعراق وهناك ذهبا لرؤية بختيار وتظاهرا بأنهما ضحيتان لاضطهاد الشاه ، وقد رحب بهما بختيار . وقد قتل هذان العميلان بختيار ثم عادا إلى ايران .

وعندما استجوب الشاه فيما بعد فيما يتعلق بعملية الاغتيال هذه قال بصراحة:

لقد قامت السافاك بذلك . نحن فعلناها .

واعتقد الثوار الإيرانيون أنهم تخلصوا من السافاك إلا أن تأسيس المنظمة الأمنية الخاصة تميزت بنفس الوحشية التي كانت تتميز بها السافاك .

كيف كان الجواسيس يبعثون برسائلهم ؟[1]

منذ فجر التأريخ كانت الجاسوسية عاملاً فاعلاً في مجرى الحروب ، وكان هم الجاسوس هو نقل معلوماته السرية .

كان جواسيس الصين والفرس القدماء يوقدون النار في المرتفعات لنقل الرسائل في حين كان اليونان وآخرون يطلون الدروع بمواد لامعة تعكس أشعة الشمس لنقل الإشارات .

وطريقة أخرى قديمة لإرسال الأخبار السرية كانت حلق رأس أحد العبيد ووشم المعلومات على صلعته ، وبعد أن يطول شعره ثانية يرسل في مهمته ، وعند وصوله إلى غايته كان رأسه يحلق ثانية وتقرأ الرسالة .

رغب أحد الجواسيس اليونانيين في بلاط الملك الفارسي (كسركس) أن يخطر مواطنيه بقرب غزوة فارسية فبعث تقريره السري بواسطة حبيبات من الخشب مغطاة بالشمع وتعتبر هذه أولى الحبر السري .

ويوناني آخر سجل معلوماته على قماش استعمل كضماد لجروح أحد العبيد الذي كان يعمل كمراسل .

ولكن تلك الخدع رغم أنها ذكية إلا أنها من البساطة بحيث لم يستمر استعمالها طويلاً وحلت محلها الكتابات السرية بواسطة الرموز والشيفرة .

واخترع الإغريق طريقة (سكاتيل) للشيفرة تكتب الرسالة على قطعة جلد طويلة حيث تدون الأحرف والإشارات على عامود واحد بشكل غير

---

(١) أستاذ قانون وجاسوس ماهر : سعيد الجزائري .

واضح، وعندما تصل الرسالة يقوم الشخص المعني بلف قطعة الجلد باحكام على عصا خاصة ذات سماكة معينة وعندئذ فقط تعود الأحرف المختلطة إلى أماكنها وتؤلف كلمات يمكن قراءتها .

واستعمل نابليون نوعاً سرياً من الكتابة عند الاتصال بجنرالاته ولكن إحدى تلك الرسائل تسببت في منعه من كسب أتحدى المعارك الهامة .

إذ أثناء معركة بيرغ عام ١٨١٣ وعندما كانت الأمور سيئة بالنسبة له بعث نابليون مذكرة عاجلة بكتابة سرية إلى المارشال أوغيرو يأمره فيها ببناء الجسور خلف قوات الجيش والفرنسي الأساسية كي تتمكن من الانسحاب عبر نهر (الشر) . ولكن عند استلام أوغيرو للرسالة كانت كلماتها غير واضحة بحيث تعذرت قراءتها .

فلم تقام الجسور وعندما قام الحلفاء بهجومهم لم يستطع نابليون أن ينسحب وهكذا خسر .

إن عملية بث واستقبال المعلومات السرية قد تقدمت باختراع (صاموئيل[1] مورس) الأمريكي ، التلغراف بواسطة النقطة والشرطة (٠ -) عام ١٨٣٢ .

وبعد ثمانية أعوام سجل اختراعه التلغراف الكهربائي المغناطيسي لنقل الرسائل بواسطة ما أسماه الهنود الحمر (الأسلاك المتهامسة) وبدأ الجواسيس يستعملون أنواعاً متعددة من رموز مورس منذ ذلك الوقت .

والجاسوس اليوم مزود بجهاز ارسال قوي يستطيع ارسال الإشارات إلى مسافات بعيدة ويسلح بمجموعة من الأجهزة الإلكترونية التي تساعده في

---

(١) صموئيل مورس (١٧٩١-١٨٧٢) مصور وفيزيائي أمريكي . اكتشف التلغراف الكهربائي وأبجديته .

عمله السري.

وبالرغم أن هناك وسائل ذكية تستخدم اليوم إلا أنه مازال القوس القديم مكانه فيستعمل كواسطة أما لنقل شيء مدمراً ورسالة لمسافات قصيرة بأقل قدر من الضجة .

وتزود تلك الأقواس بنظارات علمية لتمكن إطلاق الشيء بدقة .

وتذكر القطعة النقدية مجدداً التي اقتفى رجال الشرطة الاتحادية أثرها فتوصلوا إلى مصور يدعى (غولدخس) وعندما قام عملاء الشرطة الاتحادية بتفتيش حانوته عثروا على مجموعة من معدات التجسس الحديثة : أجهزة راديورات موجات قصيرة ، أوراق شيفرة ، آلات تصوير دقيقة والعديد من أزرار القمصان المجوفة ، فرش الحلاقة ، مسامير .

وظهر أن غولدخس هو الكولونيل رودلف آبل الجاسوس الروسي الشهير .

كما استعمل السيكار القنبلة في الحربين العالميتين للأغراض التخريبية وكان يوضع بين شحنات السفن التجارية السريعة الاشتعال .

كان يصنع السيكار القنبلة من الرصاص ويلحم عند طرفيه ويقسم إلى جزئين كل جزء يحتوي على نوع من الأسيد مغاير للآخر .

وكان يفصل بين الجزئين سطح من النحاس وباستمرار كان النحاس يتآكل وما إن يمزج الأسيد في الجزئين حتى تتولد حرارة شديدة ومن ثم تنبثق شعلة .

وبإمكان تقرير توقيت الانفجار بمقدار سماكة الحاجز النحاسي .

مـــــا الرمـــز ؟

الرمز هو استبدال الكلمة الحقيقية بكلمة أخرى أو مجموعة أحـــرف أو أعداد ومن المستحيل فك هذه الرموز باستثناء حصول العدو على كتاب الرموز ولهذا تكون الكتب تحت الحراسة المشددة .

كتب الرموز البحرية تغلف بصفائح من الرصاص كي يظل بالإمكـــان إغراقها في حال وقوعها في ايدي عدوه .

مــــا الشيفــرة ؟

الشيفرة لا تتعلق بمجموعات من الكلمات بل بـــالأحرف المنفصلـــة . والأرقام أو الإشارات ، فالذي يتسلم الشيفرة يحفظ "المفتاح" في ذاكرته. وعلـــى عكس الرموز لا يجب كتابة شئ .

وكمثال للشيفرة قد يعني الحرف (واو) أو الرقم (٥) أو الإشـــارة (+) هجوم. ويدعي خبراء الشيفرة أن أية واحدة ومهما كانت معقدة ، يمكن حلـــها دائماً شرط أن يتاح الوقت الكافي ، الوقت . ذلك هو العـــامل الأساســـي فـــي الجاسوسية إذ ما الفائدة إذا تمكن أحد خبراء الشيفرة من حل رسالة تقول :

إن العدو سيقوم بهجومه عند الفجر بعد أن يكون الهجوم قد بـــدأ قبـــل وقت طويل .

إن أول اختراع شيفرة يعتمد على الأحرف الأبجدية يعزى إلى يوليوس قيصر .

كانت شيفرة بسيطة تعتمد على مواضع الأحـــرف فكـــل حـــرف فـــي الأبجـــدية استعاض قيصر بالحرف الرابع الذي يليه وهكذا كان الحرف ألـــف يمثل بحرف جيم والباء بحرف الشين إلى آخره ..

وحسب هذه الطريقة فستبدو رسالته المشهورة (فيني ، فيدي ، فيس) (أنا أتيت ورأيت وقهرت) كالآتي : زيرم– زمهم – زمغم .

يقوم على حراسة أمن بريطانيا ثلاثة منظمات :

- أم ١٦ – جهاز التجسس .
- أم ١٥ – جهاز مكافحة التجسس .
- الفرع الخاص التابع لسكوتلند يارد .

إن أسماء المدراء العاملين لوكالات الأمن البريطانية تظل أسرار رسمية ما داموا على قيد الحياة . وعدد قليل من الوزراء يعرفون بها . في آن تراها ، وفي آن آخر يتعذر عليك رؤياها .

إن استخدام الحبر السري هو طريقة مناسبة لنقل أخبار الجاسوسية، لسهولة استعماله وبساطة صنعه ، إذ لا حاجة لمعدات خاصة .

إذا اسقطت ريشة للكتابة نظيفة تماماً في عصير الليمون وكتبت على قطعة من الورق وانتظرت حتى تجف، فسوف تبدو الورقة بيضاء، ولكن إذا مررت عليها مكواة حامية فستبرز الكتابة من جديد ، بلون رمادي خفيف.

هناك طرق عديدة مزيج من الحليب والبراندي، أو مقدار ملعقة صغيرة من السكر في كوب ماء ، وأيضاً عصير الليمون كالسابق ، وكذلك البرتقال والليمون الهندي يفي بالغرض . كذلك الخل ، وملعقة شاي من العسل في كأس ماء مناسبة تماماً . كذلك الملح والصودا وعشرات المواد الكيميائية الأخرى .

كل مايحتاجه الأمر لإظهار الكتابة هو الحرارة،وبإمكانك أما أن تمسك بالورقة فوق مكواة كهربائية مقلوبة،أو سلك طباخة كهربائي،أو مصباح النور.

يستعمل معظم الجواسيس المحترفين الحبر المصنوع من الوسائل المشعة ، فوسط الضوء العادي لا تظهر الكتابة ، لكن بواسطة الأشعة فوق البنفسجية تشع الكتابة السرية بلمعان .

حتى البيضة يمكن أن تحمل رسالة سرية. امزج الشبة بالخل واكتب على القشرة بعود كبريت، وما إن يجف الحبر حتى تختفي الكتابة، لكن إذا غليت البيضة ومزعت القشرة بعد بضعة ساعات ، فسوف تظهر الرسالة السرية على مح البيضة .

الجاسوس الذي حصل على معلومات تلحق العار باثنين من أعظم شخصيات العصر .

ومن هو المسؤول البريطاني الذي كان يراسل الرئيس روزفلت بالشيفرة ويوقع رجل البحرية ؟

في العشرين من مايو ١٩٤٠ وصلت إلى البيت الأبيض مخابرة لاسلكية من السفارة الأمريكية في لندن .

قال السفير جوزيف كنيدي :

– سيادة الرئيس ، الأمر عاجل ، إن أحد رجالنا من كان يسرق مستندات ووثائق حيوية ، ويبعث بمحتوياتها إلى الألمان ، إذا لم نتصرف على عجل فإن شبكات استخباراتنا بأكملها ستكون معرضة للخطر وسنخسر معركة بريطانيا .

بأمر صاحب الجلالة الملك ..افتح الباب ...

المكان لندن ، الوقت العشرين من أيار عام ١٩٤٠ ، كان أربعة أشخاص غير عاديين يقطعون الشوارع المكسوة بمياه الأمطار ، اثنان من

شرطة سكوتلندبارد، وأحد عملاء المخابرات البريطانية، والسكرتير الثاني في السفارة الأمريكية .

وتوقفوا عند (٤٧ غلوستيتربليس) وتفحصوا أسماء النزلاء ، ومن ثم صعدوا السلم بسرعة واتجهوا صوب باب شقة (تيلور غيتوود كنت) ، "وهو شاب أمريكي في التاسعة والعشرين من عمره يعمل كاتب شيفرة في سفارة بلاده في لندن " فطرقوه وهم يقولون :

- " افتح الباب بأمر صاحب الجلالة الملك " .

ومن خلف الباب سمعوا صوت حركة فجائية :

- كلا ..كلا.. لا يمكنكم الدخول .

ثم قال أحد الرجال بصوت عال ، كي يسمع من في داخل الشقة :

- أيها السرجنت .. استعد لتحطيم الباب .

وانحل القفل وفتح الباب بهدوء .. ووقف أحد الموظفين الأربعة وهو شاب وسيم تعلو وجهه مظاهر القلق ، ومن خلفه كانت رزم المستندات مبعثرة في أنحاء الغرفة ومحشوة في الحقائب .

وتقدم أحد رجال سكوتلندبارد قائلاً :

- لدي هنا اذناً قانونياً بتفتيش مسكنك .

وحدق به الشاب ببلاهة .

قال الرجل (الشرطي) :

- لقد سمعتني ، أيها السيد أليس كذلك ؟

فلم تبدر عنه أية استجابة .

فسأله الرجل (الشرطي) :

- أنت (تيلور غيوود كنت) ، اليس كذلك ؟

استفاق الأمريكي ثم أجاب :

- أجل .. أجل إنني كنت .

سأله الرجل (الشرطي) :

- أنت تعمل في السفارة الأمريكية في لندن .

أجاب كنت متبرما :

- أجل .. أجل .

قال الرجل بلطف وأومأ إلى رقاقة :

- حسنا إذن ، هل نبدأ البحث ؟

وكان الذي عثروا عليه في ذلك اليوم من عام ١٩٤٠ . فقط قبل ستة أيام من اخلاء دنكرك ، شيئا قياسيا ، حوالي ألف وخمسمائة نسخة من وثائق أمريكية سرية كل المراسلات التي تمت بين حكومتي بريطانيا وأمريكا خلال مدة استخدام كنت في السفارة ، وعثروا أيضا على مفتاحين مقلدين حديثا ، لغرفة الشيفرة ولمكتب السجلات ولوحتين فوتوغرافيتين لأوراق سرية ولو كانت تلك المجموعة من الوثائق في أيد عدوه فستضر إلى حد بعيد كلا من انكلترا وأمريكا .

ولكن معنى تلك الأحجية والأسباب التي حملت كنت لسرقة الوثائق السرية لا زالت حتى اليوم مثار جدل غاضب ، ورغم أن اثنتين من المعنيين الرئيسيين (جوزيف كندي) الذي كان وقتئذ سفير الولايات المتحدة لدى بريطانيا (وتيلور كنت) قد تكلما أكثر من مرة حول تفاصيل القضية فلا زال بعض الناس يشعر أن الحقيقة لم تعلن كاملة .

الحقيقة التي كما يقولون لو أعلنت فلسوف تلطخ سمعة اثنين من أكـــثر القادة شهرة في العالم العربي : (فرانكلين روز فلت) و (ونستون تشرشل) .

ومهما يكن من أمر فأنه في عام ١٩٤٠ عندما اكتشفت نشاطات (كنت) بدت الحقيقة على درجة كافية من الوضـــوح في صباح الثامن عشر من أيـــار ولم يكن قد مر أسبوع على تسلم (تشرشـــل) لمهامهه كرئيس للـــوزارة. قـــام اثنان من رجال سكوتلنديارد بزيارة السفير الأمريكي ودعيا لمقابلته في مكتبه .

قال السفير (جوزيف كندي) :

- نعم أيها السيدان ، بماذا أستطيع أن أخدمكما ؟ .

قال الأكبر سنا :

- إننا هنا للبحث في نشاطات أحد موظفي السفارة .

رد كندي :

- يوجد عندنا الكثير من الموظفين أيها السيدان .

لكي أكون صادقاً معكما ، أقول أن معرفتي بـــــالرجل المذكـــور جـــد بسيطـــة، ومع ذلك فأنا على ثقة بأننا نستطيع التغلب على أية صعوبـــة قد تكون طرأت.

أجابه المتحدث :

- ذلك ما أرجوه يا سعادة السفير .. ذلك ما أرجوه .

سأل كندي دون تردد :

- بالتحديد ما هو المشكل ؟ .

وتطلع كل من الرجلين نحو الآخر بارتباك، وتكلم الأصغر سناً آخـــــر الأمر :

- القضية يا سيدي هي أن (سكوتلنديارد) كانت تتبع باهتمام بالغ نشاط عدة مجموعات تعمل لحساب الألمان في هذه البلاد.

أجاب كندي :

- بالتأكيد أعرف ذلك .

استمر الرجل قائلاً :

- المهم أننا لاحظنا في عدة مناسبات أن (كنت) يجتمع بـ (آنا ولكوف) إحدى عدوات السامية المشهورات وبالكابتن (راش) مؤسس (رايت كلوب) الذي يقتصر على نشر الدعاية الألمانية واللاسلامية .

قال كندي مقاطعاً :

- وأنتم .. أتخشون أن يكون (كنت) وهو الذي يعمل ككاتب شيفرة، أن يقوم بتزويد هؤلاء الناس بالأسرار ؟.

أجاب الرجل :

- أجل .. بالضبط يا سيدي .

واستدعى كندي سكرتيرته .. وطلب منها إضبارة (تيلور كنت) . تفحص كندي سجل كنت فوجد تاريخه ممتازاً ثم قال كندي :

- لقد سبق له العمل ككاتب شيفرة في سفارتنا بموسكو وأبوه كان يعمل في السلك الدبلوماسي .

وتوقف كندي فجأة ثم قال :

- أيها السيدان .. يبدو أن السيد كنت قد تقدم بطلب للانتقال إلى السفارة الأميركية في برلين .

ومنذ تلك اللحظة يقول الموظفون البريطانيون ، بـــات تعـــاون كنـــدي كاملاً، فقد قام هو وممثـــلاً ســـكوتلنديارد ، بوضـــع خطـــة ، ليقـــوم رجـــال سكوتلنديارد. بتفتيش شقة كنت بحضور أحد أعضاء السفارة .. لغرض رفـــع الحصانة الدبلوماسية عنه .

ووضع رجال سكوتلنديارد خطة لاعتقال (آنا ولكوف) في نفس اليـــوم الذي يتم فيه تفتيش شقة (كنت) . وكان البريطانيون يرديون اقنـــاع الولايـــات المتحدة بمنحهم المساعدة ، ولكن إذا وقعت تلك التقارير بين يدي الألمان ، فإن النتيجة قد تعني غزو الجزر البريطانية وهزيمة الإنكليز .

وفي صباح العشرين من أيار وقبيل الظهر، رن جرس هاتفه الخـــاص، والتقطه كندي في الحال ، وكانت تلك المخابرة التي ينتظرها مـــن الســـكرتير الثاني في السفارة :

- إن الأمر سيئاً يا سيدي .

قال كندي :

- ماذا وجدتم ؟ .

أجاب السكرتير :

- مئات من الوثائق المسروقة لوحات فوتوغرافية ، مفاتيح مقلدة .

تعجب كندي وأجاب مذهولاً :

- يا إلهي .

أكمل السكرتير قائلاً :

- يبدو واضحاً أنه كان يتصرف بهذه المواد ، ربمـــا كـــان يقدمـــها للألمان.

وبقي كندي صامتاً للحظات ، ثم سأل :

- ولكن كيف ؟ .

أجاب السكرتير :

- ذلك سؤال آخر يبدو أنه توضح بنفسه إذ بينما كنا نقوم بالتفتيش رن هاتف (كنت) والتقطه أحد رجال سكوتلنديارد قبل أن يتمكن (كنت) من ذلك ، كان المتكلم من السفارة الإيطالية . وتصوروا الشخص أنه يكلم (كنت) ، فأخبره عن الموعد التالي لإرسال الحقيبة الدبلوماسية وسأله متى يتم تجهيز الرزمة الثالثة . الحقيبة الدبلوماسية الإيطالية ؟ .

قال كندي :

- بالضبط .. وماذا ينوي البريطانيون فعله بخصوص كنت الآن ؟ .

رد السكرتير :

- هذه هي النقطة ، فهم ينتظرون سماع رأيك .

قال كندي :

- حسن .. يمكنك إبلاغ (كنت) إنه قد صرف من السلك الدبلوماسي الأميركي، ستحضر المعاملات الرسمية بعد الظهر . وأخبر الاسكوتلنديارد، أن كنت تحت تصرفهم .

وما أن أقفل كندي خط الهاتف ، حتى طلب من سكرتيرته تحضير أوراق صرف كنت من الخدمة ومن ثم تحدث مع الرئيس (روزفلت) بواسطة الهاتف عبر القارات .

سرد كندي للرئيس آخر تطورات القضية .

واتخذا سوية ، السفير (كندي) والرئيس (روزفلت) ، الإجراءات الوحيدة الممكنة (تجهيز رموز شيفرة جديدة وتسليمها بواسطة مرسلين خاصين).

وهكذا ، وكنتيجة لنشاط (كنت) ، عطل جهاز المواصلات الأميركي السري في جميع أنحاء العالم، وفي وقت سقوط فرنسا. واستمر العطل مدة ستة أسابيع ، حتى تم تجهيز أبعد المواقع الأميركية برموز الشيفرة الجديدة .

وبينما كان كنت ينخل في سجن بربكستون ، كان فيالق هتلر تتدفق عبر هولندا، وبلجيكا ولوكسمبورغ، وبدأ غزو ألمانيا لبريطانيا وشيك الوقوع.

وبينما كانت القوات الجوية الملكية تخوض معركة "لوفتوواف" كان الرسميون البريطانيون يبحثون في قضية (كنت) ، كان الموقف حرجا بالنسبة لهم . فالمعونة الأميركية حيوية .. وكان السؤال :

هل تقديم أمريكي إلى المحاكمة بتهمة التجسس قضاء على فرص المساعدة الأميركية ؟

وهل سيرتفع صراخ الأمريكيين الانعزاليين غضبا ، بالمطالبة بحق محاكمة كنت أمام القضاء الأمريكي ؟ .

وفي الثالث والعشرين من تشرين أول (البارد) ، بدأت محاكمة (تيلور كنت) في (اولد بيلي) المشهورة في لندن .

وقد عقدت الجلسات السرية والصقت أوراقا رمادية فوق زجاج باب قاعة المحكمة .

وكان الشهود وبعضهم من أشهر رجال الحكم يدخلون بسرية إلى قاعة المحكمة .

وخلال أربعة أيام ، سمعت المرافعات السرية ، وبعد خلوة استمرت

خمسة وعشرين دقيقة ، عادوا لإعلان الحكم .

وحكم كنت بالسجن لمدة سبعة سنوات .

وقضى كنت سنوات الحرب في (كامب هــــل) المعتقـــل المتخصـــص للسجناء السياسيين الكائن في جزيرة (وايت) .

لقد كان كنت ينحدر من عائلة فرجينية معروفة بالسمعة الحسنة وحفيـداً لأمين صندوق الاتحاد. وكان قد تلقى علوم في برنستون والسربون وجامعــــة (مدريد) وجامعة (جورج واشنطن) . وكان يجيد الفرنسية والألمانية والإيطاليـة إلى جانب الروسية.

وحتى اليوم الأول لا زال (تيلور كنت) ينفي بشدة التهم التي وجــــهت ضده، ويدعي أنصاره أنه سجن لأسباب أخرى غير التجسس .

بل لأنـــه كان يعرف تفاصيل (جريمة تدبر ضد الديمقراطية) ! لأنــــه كان يعرف ما يكفي لالحاق العار باثنين من أعظم الشخصيات في هذا العصر .

فطوال حياته كان يتنقل بصحبة والده المنتمي إلى السلك الدبلوماســـي عبر الصين وألمانيا ، وسويسرا وإنكلترا وبرمودا والواقع أنه رأى النور فــــي أحد أمكنة عمل والده ، في نيو شانغ في الصين .

وهكذا ، وقبل أن يبلغ الثالثة والعشرين من عمره، دخل (تيلور كنـــت) السلك الدبلوماسي الأمريكي، وخلال حكم الرئيس (فرنكلين روزفلت) عـــرض على كنت ، وذلك ما قبله ، وظيفة كاتب شيفرة في إحدى السفارات الأمريكيـــة المفتتحة حديثاً ، السفارة في موسكو .

وفي موسكو(كما اعترف كنت فيما بعد)كانت بداية عادته الغير مسـعـتقيمة فـــي استعارة ونسخ المراسلات السرية .. ولكن تم نقله إلى لندن قبـــل أن تكتشـــف عادته الشاذة،كان قد شعر بنفور من النظام الشيوعي ولذا تقدم بطلب النقل .

وقبل مغادرته موسكو ، وبعد أن وازن احتمـــالات الحظـــر ، اتلــف مجموعته من الأوراق السرية .

وترك كنت موسكو حائراً قلقاً ، فعمله ككاتب شيفرة كـــان يتيـــح لـــه مشاهدة الكثير من المراسلات السرية التي كانت محتوياتها كما قال فيما بعـــد ، تشعره بأن الشعب الأمريكي لم يكن يخبر الحقيقـــة عـــن نشـــاطات حكومتـــه الدبلوماسية،وبدأ يشعر النفور وعدم الثقة بالرئيس (روزفلت) ومن جهة أخـــرى وجد نفسه يحس بحيل نحو أفكار (ادولف هتلر) .

وقد القى هتلر اللوم على اليهود بأنـــهم الســـبب فـــي متـــاعب الدنيـــا ومصاعب العالم كله وافق كنت .

وفي الواحد والعشرين من تشرين الثاني ١٩٣٩ تسلم كنت عمله فـــي السفارة الأمريكية في لبنان .

وهناك وأثناء اجتياح ألمانيا الخاطف لأوروبا ووسط محاولات رئيـــس الوزراء تسمبر يلث العقيمة للوصول إلى السلام المشرف شاهد كنـــت جميـــع الرسائل المتبادلة بين لندن وواشنطن بكل ما تضمنته للمساعدات المادية وجميع الردود على تلك الرسائل وكل التفاصيل المتعلقة بوضـــع انجلـــترا العســـكري المفتقر إلى الاستعداد.

كما أطلع كنت على سلسلة من المراسلات الغير رسميـــة ومـــع ذلـــك ترســـل بالشيفرة السرية من قبل السفارة الأمريكية بين أحد الأشخـــاص في الأدميرالية البريطانية[1] وبين الولايات المتحدة الأمريكية .

وبدأ كنت يستعير تلك الرسائل ويطبع نسخاً منها .

وفي هذا الوقت تعرف كنت على آنا ولكوف التي كانت تجمـــع إلـــى جانب فتنتها الدهاء والذكاء .

---

(١) كانت الرسائل توقع باسم (الرجل البحري) .

قالت له في لقاءه الأول به في الحفلة الأولى :

- كان والدي الملحق البحري للقيصر في لندن في ذلك الوقت قامت الثورة ١٩١٧ وسيطر الشيوعيون واليهود والماسونيون وخلعوا حكام روسيا الشرعيين . ولما كنا قد فقدنا كل شيء لم نعد إلى روسيا أبداً .

تصور لولا اليهود والشيوعيون لما كنا نواجه الحرب الآن .

وعرفته على الضابط كولد ستريم غاردس وهو أحد الجرحى الذي قلد وساماً وعلى عضو محافظ في مجلس العموم وعلى الكاتب راساي .

وبعد أن توطدت عرى الصداقة بينه وبين راساي دعاه يوماً إلى شقته ودار حديث بينهم حديث طويل عن الحرب وأسبابها وما آلت إليه الآن ..

وخلال الحديث تطرق كنت إلى "رجل البحرية" وتساءل من هو يا ترى؟ .

فرد عليه راساي :

- اعتقد أنه ونستون نشرشل أبرز قادة الأدميرالية وأكثر رجال الامبراطورية قسوة وطموحاً .. إنه يتعاون مع اليهود والشيوعيين.

ولطالما كان كنت وراساي وأحياناً معهم آنا يتفحصون ويبحثون الوثائق السرية.

ويقول كنت : اكتشف البريطانيون أو الأمريكيون بطريقة ما أنه كان يقوم بنسخ مراسلات روزفلت وتشرشل .

وفي هذا الوقت سقطت حكومة تشمبرلين وأصبح تشرشل رئيساً للوزراء وكانت مدة ولاية روزفلت قد شارفت على الانتهاء .

ولهذا يقولون أن دوافع كنت فوق الشبهات أو هكذا يقول هـو . وفـي أوائل عـام ١٩٤٠ كانت الغواصات النازية وقاذفات القنابل قد اغرقت العديـد من سفن الحراسة البريطانية الضاربة ، وما جاء شهر آب حتى كـان حوالـي نصف الأسطول قد أصبح في قاع البحر .

وكان أمل تشرشل كرئيس الادميرالية اقناع روزفلت وحكومته والشعب الأمريكي بإعارة بريطانيا أو منحها الخمسين مدمرة مـن مخلفـات الحـرب العالمية الأولى الراسية في الموانئ الأمريكية .

وأثنـاء اعتقال كنت واخلاء سراح دنكرك توصلت أمريكا وبريطانيـا أن تغير تأجر الأولى مدمراتها بقواعد بحرية وجوية في الأراضي البريطانيـة بعقد مدته تسعة وتسعون عاماً .

وهكذا وافقت بريطانيا على إقامة القواعد في نيوفاوند لانـد وبرمـودا وباهاماس وجامايكا وانتيفيوا وسانت لوسيا وترينيد دوتوباكو وغينيا البريطانيا، وبعد شهرين فاز روزفلت بالولاية للمرة الثالثة ، وقرر القضاء الإنجليزي بـأن كنت رغم ما يدعيه قد أوصل وثائق سرية إلى الألمان .

وطرح الادعاء على كنت الأسئلة التالية :

- لماذا قمت بنسخ مئات الوثائق التي لا علاقـة لـها بمراسـلات الزعيمين؟
- لماذا سمحت بتصوير تلك الوثائق ؟
- لماذا عرضت الوثائق على أشخاص غير مستخدمين في السـفارة الأمريكية؟
- لماذا طلبت نقلك إلى برلين ؟

ورغم إجابات تيلور كنت لم تكن إجاباته مقنعة حسب اجتهادات القضاة.

وكالة الاستخبارات الأسترالية

(منظمة الأمن والاستخبارات الأسترالية)

تأسست هذه المنظمة على أنها منظمة أمن داخلية وهيئة تجسس مضاد على غرار مكتب المباحث الاتحادي الأمريكي ووكالة الاستخبارات البريطانية العسكرية (M1-5) .

وقد نظم الكولونيل س.ج. روبيرت استخبارات عسكرية استرالية لتعمل مع مكتب المباحث الاتحادي في ملبورن.

وتولى الجنرال دوغلاس ماك آرثر قيادة القوى المتحالفة ليصد تيار التقدم الياباني في جنوب شرق آسيا .

وتلقى مكتب الاستخبارات الاتحادي مساعدة من المنظمة المعروفة باسم (مراقبي الساحل) وهذه المنظمة عبارة عن شبكة جواسيس استراليين عملوا في الجزر التي احتلتها اليابان .

وقد نشأت عن هذه الوكالة الخدمة السرية للمخابرات العسكرية التابعة للكولونيل روبرت .

وثمة فرعان لوكالة الأمن والاستخبارات الاسترالية (AS10) :

الفرع الأول : يعني بجمع المعلومات ويعتني بالتجسس المضاد .

الفرع الثاني : يراقب العملاء الأجانب ويكبحون نشاطهم في استراليا .

وبعد أن أباح العميل الروسي فلاديمير بيتروف والذي يعمل لصالح وكالة الـ K.G.B. أباح بالتفاصيل المتعلقة بشبكة العملاء الروس وممن يعملون

في استراليا وكان هذا العميل يعمل في السفارة السوفييتية في كانبيرا .

وكان بيتر خبيرا في الشيفرة في الأسطول البحـري ثم نصب قنصـلا في السفارة السوفييتية عام ١٩٥١ وعرفت وكالة الاستخباراتAS10 تأريخـه كله فوضعوه في اتصال مع الدكتور مايكل بيالو غوسكي(وهو لاجئ بولنـدي) الذي سرعان ما أصبحا صديقين ، وعندما وصلت الأخبار أن المفوض القديـم (لافرينيت بيريا) قتل في روسيا عزم بيتروف الانشقـاق وبدأ بشراء مزرعـة في استراليا للاستقرار فيها .

وفعلا انشق في ٥ نيسان ١٩٥٤ .

وقد جمع بيتروف الكثير من الوثائق السرية وغادر السفارة . وكـانت زوجته ايفودوكيا جاسوسة على مستوى رفيع في الـ KGB ولكن بيتروف لـم يبح لها بخططه.

ولما انتشرت أخبار اختفاء بيتروف ألقى القبض علـى زوجتـه فـي السفارة. وقاد الروس ايفود وكيا إلى مطار سيدني ووضعوها تحت الحراسـة لإعادتها إلى روسيا وفي الطائرة أظهرت لها المضيفة جريدة فيها مناشدة مـن زوجها بيتروف يطلب منها أن تبقى معه في استراليا .

وأخبرت ايفودوكيا القبطان عن رغبتها بالبقاء مع زوجها في اسـتراليا وهـذا بدوره أخبر محطة داروين عن رغبتها .. وهبطـت الطـائرة ودخـل البوليس إلى الطائرة واصطحبوا ايفودوكيا على مسؤوليتهم.. واسـتطاعت أن تعيش مع زوجها.

ومثل بيتروف وزوجته أمام اللجنة الملكية التي كانـت تتقصى حـول مدى التجسس السوفييتي في استراليا . وأباح بيتروف بكل شيء يعـرف عـن

تغلغل الـ KGB بين صفوف اللاجئين القادمين من أوروبا الشرقية وعن جمع الاتحاد السوفييتي المعلومات المتعلقة بتعدين اليورانيوم في استراليا وعن افساد العديد من الضباط وعن تزويدهم المخابرات البريطانية عن تفاصيل تتعلق بانشقاق العميلين المزدوجين بورغيس وماكلين . لقد ظهرت الخدمات السرية الاسترالية عام ١٩٨٣ بسبب حادثين.

ففي عام ١٩٨٣ نشر كتاب عنوانه (الجاسوس رئيس الوزراء) الذي ألفه الصحفي المعروف أنتوني غراي (مراسل وكالة رويتر في بكين) وأدعى أن رئيس الوزراء الاسترالي هارولد هولت جاسوس صيني مع أن هارولد كان سياسيا محترما في استراليا إلا أنه فجأة اختفى من شاطئ تشيفيوت الذي كان يسبح عنده وكان الاعتقاد السائد أنه غرق .

بينما يدعي غراي أن الضفادع البشرية الصينية أخذته إلى غواصة .

وقال غراي أنه حصل على هذه المعلومات من الضابط البحري رولاند تيتكمب.

وأكد النائب العام الاسترالي وقتئذ غاريث ايفانز :

- إنني أنكر تماما أن منظمة المخابرات والأمن الاسترالية لم تستجوب هارولد هولت وإن الادعاءات الموجودة في الكتاب عارية من الصحة وهي من خيال المؤلف .

واستطاعت الوكالة الاسترالية في نفس العام ١٩٨٣ أن تكتشف السكرتير الثالث للسفارة السوفييتية فاليري إيفانوف وهو عميل للـ KGB إلا أنه تمتع بالحصانة الدبلوماسية لذا لم يتخذ بحقه أي اجراء سوى النفي من البلد .

والحادثة الثانية :

تشكلت لجنة هوب لتخوض في جميع الفضائح التي تحدث في البـــلاد وأثناء تقصيها لهذه الفضائح برزت فضيحة أخرى وافشت اللجنة الســـر بـأن الوزير الخاص في حكومة هوك وهو ميك يانغ قام بتسليم أسرار وزارية إلـــى ايفانوف.

وخبر ايفانوف أنه سيطرد من البلاد وعلى ميك ينغ أن يســـتقيل مـــن منصبه . إلا أن الغرابة كانت عندما عاد ميك يانغ وزيرا وعضوا فـــي لجنـــة الأمن الحكومية بعد ستة أشهر .

واحتج قادة المعارضة في استراليا على هذه الخطوة .

ووصف أندروبيكوك قائد المعارضة هذه العودة قائلا :

-إن دراكولا مسؤول بنك الدم .

وفي نهاية عام ١٩٨٣ واجهت هذه الخدمة فضية أخرى . إذ نظمـــت هذه الوكالة مناورة تدريبية لضباطها في المخابرات في فندق شيرآتون ميليورن وكانوا سينفذون مناورة مزيفة لتحرير الرهينة من غرفة في الفندق ولم تخـــبر هذه الوكالة الفندق أو البوليس عن تلك المناورة .

وكسر الضباط المتحمسون الذين يرتدون الأقنعة باب احدى الغرف وهـــم يحملون معهم بنادق نصف آلية مما نشر الذعر بين الزوار النازلين بالفندق كما أساءوا التصرف مع مدير الفندق الذي اعترض على تصرفهم اللاقانوني.

واستدعى المدير البوليس الذي اعتقل بعضا من هؤلاء العملاء الذيـــن كانوا يترنحون من أثر الكحول الذي تعاطوه .

وأطلق سيدني هيرالد على هؤلاء الضباط اسم (جماعة الملاكمين غــير البارعين) .

وعلى أثر ذلك استقال جون واين رئيس وكالة (ASIS) . ووكالة (ASIS) هي وكالة مخابراتية فرعية من (AS10) .

وأطلق السيناتور بريمر على هذا الدبلوماسي المتميز الأسماء التالية :

- المحتال .
- البيروقراطي المرح.
- المحترف الكذاب .
- العقدة الاجتماعية .
- السكير المفرط .

وأجبــرت الوكالة AS10 أن تخبر رئيس الوزراء والنائب العــام قبــل تنفيذ أي عملية تجسسية ستقوم بها .

كما اشتــرط على هذه الوكالة أن تدلي بتقارير مفصلـــة إلـــى اللجنـــة الأمنية التابعة للمجلس الاستشاري الاتحادي .

كما خول النائب العام الصلاحية في البحـــث فـــي الملفـات المتعلقـــة بالشؤون الأمنية .

الخدمات السرية في كوبا

الإدارة العامة للمخابرات (D.G.I.)

كلما ذكر اسم الإدارة العامة للمخابرات الكوبية يتبادر إلى الذهن اسم الإرهابي والمجرم السياسي كارلوس .

وكارلوس هذا هو (إليخ راميرز سانخز) ابن المحامي الشيوعي الفنزويلي.

وكارلوس هذا كان قد تدرب على يد وكالة الاستخبارات الكوبية (المخابرات العامة) قبل أن يذهب إلى جامعة لوموبا في موسكو .

وقد لمع اسم كارلوس عندما اختطف عام ١٩٧٥ أحد عشر وزيرا للنفط الذين جاءوا إلى فيينا لحضور مؤتمر الدول المصدرة للنفط أوبك (OPEC).

واستطاعت المخابرات الفرنسية من اعتقاله في السودان وما زال قابعا في سجون فرنسا.

تأسست الوكالة الكوبية بمساعدة وكالة الاستخبارات الروسية K.G.B وتعمل وكأنها أحد فروعها إذ أنها تعمل لصالح الاتحاد السوفييتي أكثر مما تعمل لصالح كوبا.

وكان الجنرال فيكتور رسيمنوف التابع للـ K.G.B رئيسا للمخابرات الكوبية كما ارتقى عدد من الضباط الروس إلى مناصب رفيعة في المخابرات الكوبية .

ومن مهمات هذه الوكالة تدريب العمــلاء والإرهــابيين مــن أمريكــا اللاتينية ، كما لها علاقة وطيدة مع منظمة التحريــر الفلســطينية والأولويــة الحمراء والجيش الجمهوري الإيرلندي وبعض المنظمات التحررية في أوروبــا وغرب الهند وأمريكا الوسطى .

وقاعدة هذه الوكالة في غرينادا الوقعة غرب الهند وتريد أعمالها مـــن هناك.كما تشارك الوكالة بتدريب المتمردين في بلدان أمريكــا اللاتينيــة مثــل كولومبيا وكوستاريكا والسلفادور وغواتيمالا والهندوراس .

وقد حاولت الــ C.I.A عدة مرات القضاء على نظام كاسترو في كوبــا إلا انها أخفقت والمطلع على عملية خليج الخنــازير يعــرف مــدى الخســائر والفضيحة التي تعرضت لها أمريكا ورئيسها .. وفشل تلك العملية .

وتتلخص هذه العملية بمحاولة أمريكا غزو كوبا بمســـاعدة اللاجئيــن السياسيين الكوبيين . كما تؤمن الإدارة العامة للمخـــابرات الكوبيــة الحمايــة للرئيس فيدل كاسترو .

وحتى الثمانينات اخفقت المخابرات الكوبية اثنيــن وثلاثيــن محاولــة لاغتيال كاسترو قامت لها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (C.I.A) .

ينتمي برنار الفرنسي الولادة للعام ١٩٤٣، وفي عــام ١٩٦٤ التحــق موظفا في وزارة الخارجية الفرنسية وهو يحمل الثانوية العامة ويرجــح قبولــه في هذه الوظيفة لخدماته في الجزائر مع قوات الاحتلال الفرنسي .

وفي نهاية عام ١٩٦٤ عين محاسبا في السفارة الصينيــة وبقــي فــي وظيفته حتى عام ١٩٦٥ وقد التقى الفنان الصيني (باي بش ش) والذي كــان شكله الخارجي أجمل من أي فتاة وكان هذا اللقاء لقاء حميما ..

واستمرت حياتهما في سرية تامة.. إلى أن أخرست المفاجأة برنار بعـد شهور من زواجه السري إذ أن (باي) حاملا .

وفرح هذا الفرنسي بهذا النبأ. وبحكم عمل (باي) الفني فقد غاب عـــن برنار سبعة شهور ليعود بعدها إلى بكين ليخبر برنار بأنه وضع طفـــلا فـــي احدى مستشفيات شنغهاي وأن الطفل سمي (دوشي) .

ولما سأل برنار عن ابنه قال (باي) بالنظر لعملي الـــذي لا أســتطيع الانقطاع عنه لذا أخذته الدولة لترعاه وتعتني به .

بعد فترة نقل برنار إلى العمل في السفارة الفرنسية في المملكة العربيــة السعودية وفي عام ١٩٦٩ عاد إلى الصين بعد أن توسطت له زوجة الرئيـــس الفرنسي كونه أحد أقاربها .

ولم يكن برنار وهو يعود للصين أن المخابرات الصينيــة كـانت لـــه بالمرصاد.. وفي عام ١٩٨٤يؤكد مدير المخابرات الفرنسية أن برنار قد وقـــع تحت تأثير المخابرات الصينية من خلال(باي) حيث خضع (باي) نفسه لتـــأثير المخابرات الصينية فتم تشغيله من قبل العقيد (تشاي) وأطلق من خلال (بـــاي)

عملية (البالون).وعند وصول برنار تمت مقايضة أي لقاء بينه وبين (باي) موافقه برنار على تزويد (باي) بمعلومات لصالح المخابرات الصينية التي عرفت السر .

وكانت الموافقة من برنار دون إعلام الخارجية أو السفارة أو المخابرات الفرنسية وقد حصلت المخابرات الصينية على وثائق يومية لعمل طاقم السفارة واهتماماتهم وميولهم وعرفت ماذا يعرفه الفرنسيون عن الاتحاد السوفييتي وأمريكا كما عرفوا عن موازنة السفارة وكيف تتفق وحتى معلومات عن زوجة الرئيس . وحتى الكلب الذي طلب منه في فرنسا ساعدت المخابرات الصينية للحصول على مقرزأ بطبيب صيني خاص بالكلاب مزود بجهاز خاص.

وحصلوا على برنامج الكتروني لنظام توجيه الصواريخ المضاد للطائرات المطور عن تكنولوجيا مسروقة من الاتحاد السوفييتي حمله معه برنار خطأ بدل برنامج محاسبة الكتروني ونسخة الصينيون وأعادوه مع برنار.

كما نسخت وثائق سرية والشيفرة السرية والخرائط المهمة لعمليات الطوارئ السرية وعلى نظام الأمن والإنذار داخل السفارة مع نظام الحراسة أثناء العطل . وقد عقدت المخابرات الفرنسية والقضاء الفرنسي مع برنار تعاونه دونما طلب في قص سيرته التجسسية وكانت حكما مخففا لأمور كثيرة منها أن برنار حصل على سر خطير من منغوليا الصينية من منشق صيني وثق جدا به وأعلم المخابرات الفرنسية بعنوانه وكلمة السر بينهما وصلة الاتصال هي قريبة للمنشق تعمل في معمل سري خطير وهي منشقة رغم موقعها الحزبي الهام .

وهكذا أسدل الستار على برنار وقضيته من قبل المخابرات الفرنسية والقضاء الفرنسي .

انقلاب ضد عميل CIA في فيتنام

إن كثير من الأمريكيين في فيتنام كانوا يدركون أن الجانب الأكبر من التأييد الشعبي لـ (دييم) أخذ يضعف وهذا ما وضح في ٨ مايو سنة ١٩٣٦ في مدينة (هيو) معقل أسرة دييم عندما قام البوذيون بمظاهرة ضد القرار الذي اتخذته الحكومة بمنع رفع العلم البوذي على دور العبادة البوذية فما كان من جنود دييم إلا أن أطلقوا الرصاص عليهم فقتلوا تسعة من المتظاهرين.

وكان رد البوذيين على ذلك أن راحوا يحرقون أنفسهم في الشوارع لإثارة الرأي العام العالمي بقضيتهم.

ولم تجد الولايات المتحدة الأمريكية بدا من تهديد دييم سرا بأنها ستستنكر هذه الطريقة التي يعامل بها البوذيين إذا لم يستجب لمطالبهم.

ولكن الولايات المتحدة كانت تؤيد اضطهاد البوذيين وإلا لما عمد (نهو) في يوم ٢ أغسطس ١٩٦٣ إلى ارسال وحداته الخاصة للهجوم على معابد البوذيين وقتل وجرح عشرات منهم والزج بالمئات في السجون .

وكان كثير من الفيتناميين يعلمون أن القوات التي شنت ذلك الهجوم الوحشي تتمتع بتأييد المخابرات المركزية الأمريكية CIA .

وعلى أثر تلك الغارات وصل إلى سايجون (هنري كابوت لودج) مرشح الحزب الجمهوري لمنصب نائب الرئيس في انتخابات عام ١٩٦٠ ليحل محل السفير فريدريك نولتنج الذي عرف بتأييده لحكومة دييم .

ولقد أوضح لوجد لدييم على الفور أن الولايات المتحدة تريد منه أن يبعد شقيقه وزوجته مدام نهو عن الحكم .

ومع أن إدارة المخابرات المركزية استمرت خلال شهر سبتمبر في امداد الوحدات الخاصة بالعون المالي بمعدل ٢٥٠ ألف دولار في الشهر فقد كفت يدها عنها في أكتوبر .

وقد استدعى جون ريتشارد سون مدير مكتب الإدارة في سايجون إلى واشنطن بناء على طلب كابوت لودج ، وقد جعل استدعاء ريتشارد سون كثيرين من الناس يعتقدون أن إدارة المخابرات المركزية كانت تعمل بمفردها ولحسابها الخاص في فيتنام الجنوبية متحدية أوامر واشنطن.

غير أن الرئيس كندي أكد في مؤتمر صحفي عقده في يوم ٩ اكتوبر أن إدارة المخابرات المركزية CIA لم تقم بأية عمليات مستقلة .

وفي الوقت نفسه اتهم نهو الإدارة بالتآمر مع البوذيين لقلب نظام الحكم قائلا: إن رجال إدارة المخابرات المركزية CIA يتصلون بالبوذين ليدبروا حركة انقلاب ولست أدري كيف تلبس لنا الإدارة جلد النمر بعد أن كانت تؤيدنا.

وتمت حركة الانقلاب ضد حكومة دييم في اليوم الأول من نوفمبر سنة ١٩٦٣. ولكن الجيش هو الذي قام بالانقلاب دون أن يسهم فيها البوذيين واغتيل دييم وشقيقه نهو.

وانكرت الولايات المتحدة أن لها صلة بالانقلاب أو بالاغتيال . بيد أن مدام نهو شقيقة دييم التي كانت في الولايات المتحدة أثناء الانقلاب شنت على حكومة كندي هجوما مريرا قائلة :

إن زوجي وشقيقي قد اغتيـــلا بموافقـــة حكومـــة الولايـــات المتحـــدة الأمريكية. وفي غضون ذلك كان ايزنهاور يقوم بمحاولة لترشيح كابوت لـودج لمنصب الرئيس في انتخابات سنة ١٩٦٤ .

وقد كتب فيليك بلير في عدد صحيفة نيويورك تايمز الصـــادر يـوم ٧ ديسمبر ١٩٦٣ يقول :

أراد الجنرال ايزنهاو أن يتأكد من أمر هام .. لقد اهتم بأن يعرف مـــن السفير نفسه ما إذا كان في مقدرو أي شخـــص أن يتهمه بأنه مســـؤول عـــن اغتيال الرئيس الفيتنامي الجنوبي (نجو دينه دييم) وشقيقه وزوج شقيقه (نجـــو دينه نهو) .

لقد وجد الرئيس ايزنهاور أن عليه أن يتحرى عـــن ملابســـات هـــذا الموضوع بدقة مع أنه كان يعلم أكثر من غيـــره بخطط حكومتـــه وتحركـــات جهاز المخابرات المركزية الأمريكية .

وكالة الاستخبارات الكندية

خدمة المخابرات والأمن

عمل وكالة التجسس المضاد ضمن عمل البوليس الكندي الملكي الراحل.. وبقت هذه الوكالة تعمل هكذا حتى السبعينات .

وكان أول عمل تجسسي لها على النطاق الدولي عندما فرض عليها معالجته قضية ايغور غوزينكو الذي انشق إلى كندا عام ١٩٤٥ وكان قبلها خبيراً في لغة الشيفرة في السفارة السوفييتية.

وقد وجد غوزينكو صعوبة في اقناع السلطات الكندية أن روسيا تدير حلقات تجسس في البلد .

كما رفضت وزارة العدل الكندية أن تعطيه حق اللجوء السياسي وفكرت بإعادته إلى الاتحاد السوفييتي .

وقدم غوزينكو وثائق كبير سرية هامة حول التجسس الروسي في كندا. وعلى الفور قام رئيس الوزراء الكندي ليخبر الرئيس الأمريكي ترومان ورئيس الوزراء البريطاني كليمنت أتلي بأن الدكتور البريطاني الشيوعي (آلان نان) قد يبوح بتفاصيل اختبار القنبلة الذرية كما أنه زود العملاء السوفييت بعينه من اليورانيوم في أوتاوا وكشف العديد من الكنديين ومن الطبقات العليا ممن كانوا يعملون لصالح المخابرات الروسية الـ K.G.B .

واستطاعت وكالة الاستخبارات (RCMP) أن تمحو شبكة الجواسيس السوفييتية بأكملها وأن تقمع المستفيدين من المعلومات التي زودهم أياها ايغور غوزينكو.

واتهـم ضباط وكالة الاستخبارات R.C.M.P بالتجسس غير الشـرعي على الأسلاك الهـاتفية وتجاوز سلطتهم في التعامل مـع الثـوار الكوبيين التابعين لجبهة التحرير الكوبية .

وقد قامت الحكومة الكندية بتأسيس منظمة جديدة عـام ١٩٨١ باسم (خدمة المخابرات والأمن) ، وتولت هذه الوكالة مهمة الأمن الداخلي بالإضافة إلى التجسس المضاد ومراقبة نشاطات الإرهابيين واتخاذ ما يلزم ضدهم .

ولكون كندا لها علاقات وطيدة مع بريطانيا وأمريكا ومنظمـة حلف شمال الأطلسي فإنها بذلك تعتمد على منظماتها الاستخبارية في التجسس في البلدان الأجنبية.

كما أن كندا عضو في الكتلة الغربية ودول الكومنولث لذلك فإنـها لم ولن تجد صعوبة في الحصول على المعلومات من الدول الحليفة .

وكالة الاستخبارات الاسبانية

وكالة الاستخبارات المركزية لشؤون الدفاع CESID

كلنا نعلم أن أسبانيا خضعت لفترة طويلة لحكم الديكتاتور الجنرال فرانكو. وفي عهده وجدت ثماني وكالات استخبارية تعمل في اسبانيا مهمتها الكشف عن المناوئين ضد الجنرال فرانكو وتهديم الديمقراطية لدى الشعب ، لذا فإن هذه الوكالات كانت تكتظ بملفات شاملة عن المواطنين .

تأسست هذه المنظمة عام ١٩٧٧ مرة أخرى بعد موت الجنرال فرانكو. وتتولى هذه الوكالة CESID مهمة الاستخبارات الداخلية والخارجية .

وقد انقسمت هذه المنظمة إلى فرعين يراقب كل منهما نشاطات الآخر. ومعظم الضباط العاملين في هذه الخدمة هم من مؤسسة الاستخبارات العسكرية التي يديرها فرانكو ومن ضباط الجيش المتقاعدين .

وفي عام ١٩٨٢ كشف النقاب عن خطط الضباط من الجناح اليميني الذين خططوا للانقلاب ضد الحكومة .

وعندما تولى ادولفي سوارز رئاسة الوزراء وهو ديمقراطي أمر باتلاف جميع الملفات التي احتفظت بها وكالات الاستخبارات التابعة للجنرال فرانكو.

وقد ساعد سوارز في نجاحه الاشتراكي فيليب غونزاليز . وقد أبقى سوارز هذه الوكالة تحت المراقبة المشددة بشكل لا يمكنها أن تتخطى حدود مسؤوليتها.

الحرب السرية (١)

لقد انهارت أثينا لأنها مجتمع مفتوح ولأنها سمحت للجواسيس بالعمل بحرية دون رقابة . ولقد كانت سياسة الولايات المتحدة في الحرب الباردة أنها اعترفت بأخطار المجتمع المفتوح وحاولت إقامة توازن ما بين الأمن الوطني والحريات إقامة توازن ما بين الأمن الوطني والحريات الأساسية وبين السياسة الخارجية وأعمال الاستخبارات .

لقد اعترف الرئيس ايزنهاور بعد اسقاط الطائرة التجسسية (يو-٢) بأنه وافق شخصياً على تعقب الجاسوسية بكل الوسائل الممكنة .

وقد استولت الحيرة على الرئيس كندي مرتين في الحادث الكوبي (عملية خليج الخنازير) ففي الثالث عشر من نيسان ١٩٦١ بعد الغزو بخمسة أيام سار على الخط الذي يفصل ما بين إعلان الحرب عن تصميم واليمين بأن الولايات المتحدة لن تتدخل في أية حال لإسقاط كاسترو وبأنه سيقوم بكل ما يمكن للتأكد من أن ما من أمريكي يشترك في عمل عدائي ضد كاسترو وأنه سيعارض القيام بهجوم من بلده على كاسترو .

إن كندي لم يكذب ..

إذ لم يكن أي أمريكي بين العصاة الذين نزلوا في خليج الخنازير في الثامن عشر من أيار ولم يوجه الهجوم من أراضي الولايات المتحدة الأمريكية بل من جزر واقعة ما وراء ساحل نيكاراغوا استأجرتها الولايات المتحدة سنة ١٩١٦ لتسعة وتسعين عاماً.

---

(١) نفس المصدر السابق.

وعندما كشف النقاب عن الدور الرئيس الذي قامت به وكالة الاستخبارات المركزية في الحادث الكوبي لام الرئيس كندي نفسه كما فعل ايزنهاوز في حادث (اليو-٢) .

قال الرئيس كندي في السابع والعشرين من نيسان لجمعية ناشري الصحافة الأمريكية وهو لا يزال متألماً من التجربة الكوبية :

"إن الحقيقة الواقعة هي أن أعداء هذه الأمة قد فاخروا علناً بأنهم اكتسبوا من صحافتنا معلومات كان من الواجب عليهم استئجار عملاء للحصول عليها بطريق السرقة والرشوة والاحتيال ، لكن استعدادات هذه الأمة السرية لمكافحة استعدادات العدو قد وضعتها الصحافة في متناول كل قارئ " .

وقال : إن عدد وقوة ومواقع وطبيعة قواتنا وأسلحتنا وخططنا الاستراتيجية لاستخدامها قد شرحت في الصحافة إلى درجة ترضي كل دولة أجنبية .

وإن في حالة واحدة على الأقل اقتضى نشر التفاصيل عن سلاح آلي سري في حوزتنا إلى اجراء تبديل به كلف الكثير من الوقت والمال .

قال ضابط استخبارات : إن الرئيس قد انزعج لرواية ظهرت في التاسع من كانون الثاني ١٩٦١ في صحيفة نيويورك تايمز مؤرخة بصورة غير محتملة في ريتالهولو ، غواتمالا . وقد أطلق مراسل التايمز (بول . ب. كندي) الهجوم على قيام مصلحة الاستخبارات المركزية بتدريب الثوار الكوبيين للهجوم المقبل فقال :

إن قــوات شبيهة بقوات المغاوير تدرب على فنون حرب العصابـــات على يد أجانب معظمهم من الولايات المتحدة في معسكر محجوب عن الرقابـــة الجوية في سفح الكوزديليارا على بضعة أميال من المحيط الهادي.

وأضــاف : لقد دربوا لما يعتبره أهل غواتيمالا اصطداماً لا مفر منـــه مع القوات الكوبية ، وهذه الأنباء لم يجد الرئيس كندي مناسباً لنشرها.

ولقد حاول السوفييت أن يزيلوا من الأذهان عقدة (المجتمع المفتـــوح) فقالوا بموجب القول المعروف (القي عليه القبض بالجرم المشهود) .

مـــن المعروف لدى الجميع أن جميع الدول تتخـــذ التدابـــير اللازمـــة لحماية أسرار الدولة ولا تشذ الولايات المتحدة عن هذا .

إن إعادة (آلن دلس) إلى رئاسة المنظمـــة ومصلحتـــا الاســـتخبارات ومكافحة الجاسوسية في الغرب يكتنفهما بسبب المجتمع المفتوح نوعـــان مـــن المشاكل :

١- كون الأنباء الغربية في متناول اليد وتعذر الحصول على أنباء الكتلـــة السوفييتية فقد قال آلن دلس المعروف كبطل في التجسس ضد النازيين :

- لقد كانت ألمانيا حلم (غليون) بالنسبة إلى ما نلاقيه الآن .

إن الأمر في غاية السهولة بالنسبة للروس فكل شيء لدينا تحت مظلـــة واحدة وما على الروس إلا الانحناء لالتقاط ما يشاؤون . وقد قرر متعقبـــو نقائص السوفييت أن أي عسكري سوفييتي في الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة يستطيع أن يحصل على ٩٥% من الأنباء والمواد الاخبارية بمجـــرد طلبـــها فمكتب النشر الحكومي يزود كل طالب بمثل هذه المواد بسعر الكلفة كمنشـــآت المـــوانئ في الولايات المتحدة ومساحات المطارات ومواقعها وقوائم الموارد

المعدنية ولوائح بأسماء الضباط المتقاعدين .

٢- كما أن مكتب المعلومات بالخرائط التابع لدائرة المساحة في الولايات المتحدة المرتبطة بوزارة الداخلية يزود الراغبين بخرائط طوبوغرافية للولايات المتحدة كلها.

كما يحضر الدبلوماسيين السوفييت المؤتمرات الصناعية ، ويذكر أن دبلوماسيان روسيان في مؤتمر الكهرباء الغربية المنعقد في لوس أنجلوس عام ١٩٥٩ قد جمعا من المنشورات والمطبوعات ما اضطر إلى تحميله في سيارة ستيشن وقدر وزن ما حملاه من مطبوعات بأكثر من ربع طن وهذه الكتب والمطبوعات من التي يحضر الاتحاد السوفييتي حظر بيعها في الاتحاد السوفييتي في الوقت أن بامكان أي شخص الحصول عليها في أمريكا. وفي شهر نيسان ١٩٦٠ أخبر نائب الأميرال (هاني ج. ريكومز) لجنة فرعية من الكونجرس للطاقة الذرية أن أحد صناع الدمى أنتج نموذجا للغواصة الذرية (بولاريس) دقيقة الصنع إلى درجة أن رساما للسف يستطيع أن يقضي ساعة على هذا النموذج ويقول أن لديه معلومات تساوي ملايين من الدولارات .

وقد جاء في الملاحظة التي أرفقت باللعبة :

"إن هذه الغواصة الذرية المطلقة للصواريخ هي واحدة من سلسلة النماذج المصنوعة بدقة طبقا للمواصفات الواردة في الكتاب الأزرق لبحرية الولايات المتحدة.

ونود أن نغتنم هذه المناسبة لنعبر عن خالص امتناننا نحو فرع القوارب الكهربائية التابع لشركة (جنرال داينامكس) إنتاج هذا النموذج المطابق للأصل. إن هذا النموذج يشتمل على كل التفاصيل الداخلية بما في ذلك

المفاعل النووي وقاعة المراقبة ومسكن البحارة وصاروخان من نوع بولاريس .

إن هذا النموذج الذي تتقنون مطابق للأصل في جميع التفاصيل . وقد جعل بمقياس ١/..٣٠قدم .

لقد أذهلني إنزال هذا النموذج إلى الأسواق ولو كنت روسياً لأصبحت شديد الامتنان نحو الولايات المتحدة لتكونها بالتزويد بمعلومات كهذه لقاء (٩٨ ,٢) دولار.

إن هذا النموذج يعطي معلومات صحيحة عن حجم غرفة المفاعل الذري وعن عدد البحارة الذين يقتضيهم تسيير الغواصة .

لقد أجاب أحد الأوربيين إذ سئل على احتجاج نائب الأميرال (ريكوفو) فقال:

- حتى لو توصل الروس إلى أجزاء الكتاب الأزرق المتعلق بالغواصة الذرية لما وجدوها تستحق السرقة لأنها ضخمة إلى درجة أنها تحتاج إلى بناء مكون من ثلاثة أدوار ليتسع لها وإذا ما حصل عليها المرء كلفه تحويل قياساتها إلى النظام المتري غالياً إلى درجة أن يؤثر توفير الوقت والنفقات أن يقوم بصنع غواصة من اختراعه .

حادث طائرة (يو-٢)[١]

طوال تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية لم تعترف سوى مرتين بأنـــها استخدمت جاسوساً .

كان هناك (ناثان هيل) الذي عمل خلف خطوط البريطـــانيين خـــلال حرب الاستقلال متنكراً بشخصية أستاذ مدرسة والذي أعدم وهـــو فـــي ســـن السادسة والعشرين دون محاكمة في عام ١٧٧٦ .

كانت آخر كلماته :

- يؤسفني إنني لا أملك سوى حياة واحدة أهبها لبلادي .

وكان هناك فرنسيس باورز الذي كانت آخر كلماته التمــاساً بالرأفـــة أثناء محاكمته في موسكو إذ قال :

-أنا لا أشعر بأي عداوة شخصية نحو الشعب الروسي، وإني لم يسبق

---

(١) في عام ١٩٥٤ أراد جونسون أن يمتحن محركات الطائرات والأنظمة الالكترونية في العلو البعيد لـــذا قـــام بتصميم طائرة (يو – ٢) وهي بالأساس طائرة نفاثة بلا محرك ومميزاتها الأجنحة الطويلة والهيكل الخفيف والوقود الخاص هي التي تمكنها من الطيران على علو مائة ألف قدم لساعات طويلة بسرعة خمسمائة ميل بالساعة . وهـــي خفيفة إلى درجة أن أجنحتها ترف كحشرة عملاقة عندما تقرب من الأرض. وكانت الطائرة باهظة التكـــاليف . وكان يجب أن يبذل اهتمام خاص للمفاصل والموصلات لتأمين سطح أملس لتخفيف الاحتكاك في الأجواء العليـــا . اختبرت التصاميم الأولى منها في عام ١٩٥٥ وكانت قد حسنت يدوياً في دائرة الاختبارات في لوكهيد وتـــزن ١٧٧٢٠ رطلاً بما في ذلك خزانات الوقود المليئة بسعة (١٠٠٠ غالون) ، ولأجنحتها بجال ثمانين قـــدم. وكـــان مدى طيران تلك التصاميم الأولى، بخزانات الوقود الإضافية حوالي (٢٦٠٠) ميل كانت تسير بوقود غال جـــداً ، إنما كان باستطاعة الطائرة الوصول إلى علو حيث يصبح الهواء خفيفاً إلى درجة لا يعود يحتمل الجوانح العملاقـــة . وذلك ينطوي على خطر آخر ، إذ كلما رق الهواء كلما زاد احتمال تعطل المحرك لقلة الأوكسجين . إنما أدخلـــت تعديلات على ذلك لدرء المخاطر ، وانضمت القوات الجوية عام ١٩٥٥ لمتابعة البحث والتحسين على التصاميم . وفي آب في نفس العام ، نشرت القوات الجوية صوراً واضحة والتقطت على علو (٥٠,٠٠٠) قدم .

أن اتهمت في محكمة ، وإنني لأشعر باشمئزاز وأسف عميقين بسبب ما أقدم عليه .

ولقد نجح باورز من الموت لكنه فقد فرصة دخول التأريخ كأحد الوطنيين لأنه انقلب إلى دليل اتهام ضد الدولة .

وقد حكم على باورز عشر سنوات .

لقد كان حادث طائرة الـ(يو-٢) قد أحرج حكومة ايزنهاور وقضت على مؤتمر القمة وأنهت أكثر عمليات التجسس نجاحاً وأعطت الروس أفضل فرصة للدعاية منذ بدأت الحرب الباردة .

لقد فشل باورز في القيام بأحد ثلاثة أشياء :

١- كبس زر التفجير في طائرته الذي كان سبب في تحطيمها بعد نزوله بالباراشوت .

٢- استعمال حقنة السم التي زود بها لاستخدامها في حالة تعرضه للتعذيب.

٣- الالتزام بوصية التجسس الأولى -الصمت .

إن زملاء باورز في سلاح الطيران وافقوا بأن تصرف باورز كان بحكمه .. ماذا يستطيع أن يفعل ؟

إن باورز لم يكن جاسوساً مدرباً على وسائل التجسس ولم يسبق له الخوض بمثل هذه التجربة التي تعرض لها وقد اختير كونه من الطيارين الذين يتمتعون بجدارة .

في السابع عشر من آب ١٩٦٠ قدم فرنسيس غاري باورز إلى المحاكمة في موسكو وتحديداً في عيد ميلاده الحادي والثلاثين .

وفي عام ١٩٥٥ عاد الرئيس ايزنهاور من مؤتمر السلام في جنيف خائب الأمل بعد رفض اقتراحاته حول الأجواء الحرة .

وكانت تلك الاقتراحات ستؤدي في الواقع إلى تمكين طائرة الاستكشاف من جمع المعلومات عن البلاد الأخرى ، وقدم اقتراحاً كوسيلة للمراقبة التي كان يؤمل أن تؤدي إلى نزع السلاح وتزيد من احتمالات السلام في العالم .

ولكن الروس رفضوا كل ذلك . إذ باستطاعتهم الحصول على ما يلزمهم من معلومات بواسطة جواسيسهم في مواقعهم وبالفعل كانوا يتزودون بواسطة الصور الهوائية على ما يودون معرفته عن المنشآت العسكرية والصناعية.

وكانت سياسة الأجواء المفتوحة ستفيد الولايات المتحدة كثيراً، وخاصة وأنها تلاقي صعوبات جمة في جمع المعلومات من البلدان الشيوعية ، التي يظل ٤٠% منها مغلقاً في وجه الغرباء ، وعدة مناطق فيها لا يسمح حتى للمواطنين السوفييت بدخولها.

إن هذا لا يعني أن الدول الغربية كانت غير نشطة في حقل جمع المعلومات من الجو. فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت الطائرات تنقب أجواء الحدود السوفيتية، وتسبر غور شبكات الرادار، وتلتقط ما تستطيع من معلومات .

وعندما كانت تسقطها المدافع السوفيتية، المضادة للطائرات، كانت الصحف تخبر بأن الطائرة قد ضلت طريقها ودخلت الأجواء السوفيتية ومثل هذه العمليات كان يقوم بها البريطانيون على نطاق واسع .

وفي شباط سنة ١٩٥٨ كشف اللعبة طالبان من جامعة اكسفورد في مجلة للطلاب تسمى (اكسبرس) ففي أحد أكثر المقالات كتبت لمجلة مدرسية شهرية . كتب (بول تومسون) و (وليام ميللر) اللذان خدما في البحرية الملكية من عام (١٩٥٣-١٩٥٥).

وإن ما يعلن عن حوادث الحدود بأنها هجمات وحشية غـير عادلـة ، تقوم بها مقاتلات سوفياتية على الطائرات الغربية البريئة التي تحلـق ضمـن حدودها ، وأحياناً يسلم بأن الضحية قد ضلت طريقها، إما على طول الحـدود بين الشرق والغرب من العراق حتى البلطيق وربمـا أبعـد هنـاك محطـات يدبرها مواطنون متدربون على مورس أو الروسية ، يسجلون بنشـاط علـى إشارة من أجهزة الإرسال الروسية ، سفن، دبابات ، طائرات ، جيوش .

والذي يبث أن تلك الاعترافات ليست مجرد نسج خيال هو إقدام السلطة على اعتقال الكاتبان واتهامهما بمخالفة لقانون الأسرار الرسمي .

وحكم على الطالبين المحررين بالسجن ثلاثة أشهر .

واستطاع أحدهم في وكالة الاستخبارات أن يرى إمكانية الاستكشـاف ، فهنا طائرة تستطيع الطيران فوق أراضي الاتحاد السوفياتي الواسعة،على علـو لا تستطيع المقاتلات أن تصل إليه وحيث تصبح الصواريخ المضـادة عديمـة الفائدة ، ودرست احتمالات استعمال (اليو-٢) كطائرة تجسس ، وأوفق علـى الخطة التي وضعت في اجتماع على مستوى عال في أواخر سنة ١٩٥٥ .

وابتدأت رحلات (اليو-٢) التجسسية فوق الاتحاد السوفياتي عام ١٩٥٦ واستمرت طوال أربعة سنوات .

كانت تعتبر أحد أكثر فتوحات وكالة الاستخبارات المركزيـة عبقريـة ونجاحاً واعترف وزير الدفاع(توماس غيش)أمام أعضاء اللجنة الخارجية فـي عام ١٩٦٠ "لقد خسرنا بتوقف رحلات التحليق مصدراً حيوياً لجمع المعلومـات وأنه ينبغي علينا أن ننمي المصادر الأخرى كي نحصل على هذه المعلومات .

وقال أيضاً : " إن نوعية المعلومات المجمعة كانت حـول المطـارات والصواريخ والتجارب والتدريب على استعمال الصواريخ ومخـازن الأسـلحة الخاصة، وإنتاج الغواصات والانتاج الذري، وكانت النتائج تؤثر إلى حد بعيـد في رسم خطتنا العسكرية " .

وأشار غيش : "إلى رحلات (اليو-٢) كانت مانعاً ضد أي هجوم سوفياتي مباغت" .

وأضاف غيش : "لقد كونت الرحلات قصة تمكنكم من تصور الهجوم المباغت، وتقدم لكم فكرة عن المنشآت العسكرية ، وكذلك عن الإنتاج ، بحيث أستطيع القول أنها تعطيكم صورة واضحة عن مركزهم العسكري ، ولقد تركت الانطباع بأنهم متسلحون على نحو أفضل مما يعلنون عنه " .

واعترف غيش بأن رحلات الطيران كانت أفضل وسائل معلوماتنا للاحتفاظ بسرعة العملية تحت ستار برنامج الأبحاث الجوية من لوكهيد طائرات (اليو-٢) وأسر "الن دالس" في ذات التاريخ إلى عضوين في مجلس النواب الترتيبات السرية المتخذة .

وتألف الفيلق الأول لطائرات (اليو-٢) في كانون الثاني سنة ١٩٥٦ من ثلاث طائرات ، وقام بأبحاث مشروعة عن تقلبات الطقس في الأجواء العليا، وبين وقت وآخر كانت التقارير تنشر حول ما توصل إليه البحث .

وأعلن في إيران أن نطاق العمليات سيتسع ليشمل أوروبا وأرسلت الطائرات (يو-٢) إلى القواعد الأمريكية في ليكهيث بانجلترا "وفيز بادن" في ألمانيا .

ولم يعلن شيئاً عن قاعدتين آخرتين أنشأتها خصيصاً في "انسر ليك" قرب أضنة بركيا ، ومطار "اتسوجي" قرب طوكيو ، وكانت تلك هي المراحل الأولى من عمليات الطائرات (يو-٢) .

وخلال العام الأول قتل اثنان من الطيارين السبعة وثالث نجا من الموت عندما تحطمت طائرته .

وقع الحادث الأول في شباط ١٩٥٦ عندما اشتعلت النيران بإحدى الطائرات وهي تقوم بالتجارب في ايرزونا وتمكن الطيار (روبرت ايفرت) من الإفلات من على علو (٣٠,٠٠٠) قدم .

وفي السابع عشر من أيلول قتل الطيار (هارد غراي) عندما تحطمت طائرته في ألمانيا الغربية .

وفي نيسان سنة ١٩٥٧ ، قتل طيار الاختبار (روبرت سيكر) عندما تحطمت طائرته في منطقة مهجورة في نيفادا .

وهناك طيار آخر من السبعة الأوائل وهو "بروس غرانت" حيث تعرض لارتجاج في المخ نتيجة لنقص الأوكسجين وهو يطير على علو مائة ألف قدم .

وكانت الدفعة التي أرسلت في بعثة إلى أوروبا وتركيا واليابان أفضل من التصاميم الأولى، كانت مزودة بمحركات قوية، وأدخلت التحسينات بحيث بات المجال والارتفاع أبعد (كان خط طيران باورز (٣٤٠٠) ميل على ارتفاع (٧٠,٠٠٠) قدم) .

وجهزت بسبعة آلات للتصوير قادرة على الالتقاط الدائم من على ارتفاعات بعيدة . وكانت الآلات تعمل بشكل آلي وتلتقط صوراً واضحة ، وكل ما كان يتوجب على الطيار أن يفعله هو كبس أحد الأزرار فوق نقاط محددة سلفاً .

وكانت (يو-٢) مجهزة كذلك بآلة تسجيل لالتقاط إشارات الرادار أثناء تحليقها، وأخيراً كان يوجد خلف مقعد الطيار جهاز للتدمير يعمل في حالات الطوارئ، ويستطيع الطيار أن يجد الوقت الكافي للهبوط قبل أن يعمل جهاز التفجير الذي كان من القوة بحيث يحدث تدميراً كاملاً للطائرة .

ففي أوائل عام ١٩٥٦ وصلت إلى قاعدة (انسر ليك) في تركيا مجموعة الطيارين ونزلوا في أماكن منفردة عن الآخرين في القاعدة ، ولم يعرف سوى القليل عن الطائرات الرمادية الغير معلمة .

وعندما سئل الطيارون لمصلحة من يعملون ؟ .

أجابوا إنهم مدينون تابعون إلى "لوكهيد" ومؤجرين لمصلحة الأرصاد الجوية، والشيء الذي يثير العجب هو أن الطائرات ما كانت تحلق إلى في الأيام الصافية . مع العلم أن مصلحة الأرصاد كانت تستمر في جمع المعلومات في جميع الأحوال الجوية. وسرعان ما باتت الطائرات الرمادية الغير معلمة بأجنحتها الضخمة منظراً مألوفاً في منطقة (أضنة). واستطاع الرادار الروسي الكشف عن الطائرات أثناء تحليقها فوق الحدود .

وكان خط سير طائرات (يو-٢) في الأيام الأولى يبدأ بالاتجاه إلى الشرق نحو الحدود التركية الإيرانية ، ومن ثم إلى الجنوب الشرقي نحو طهران. وبعد طهران تستمر في الاتجاه شرقاً حتى منطقة "ماشر" حيث الحدود المشتركة بين افغانستان وإيران والاتحاد السوفياتي .

وكانت الطائرات تحلق فوق الحدود الروسية الأفغانية الممتدة ستمائة ميل . دون أن نعبر بعيداً داخل الأجواء السوفيتية ، ومن ثم تعود ، على الطريق نفسه إلى قاعدتها .

ولم تمض عشرة أيام قبل أن يتقدم السوفيات بمذكرة احتاج شديد اللهجة من أن الطائرات الأمريكية قد اخترقت الأجواء السوفيتية في منطقة بحر البلطيق .

وأصرت وزارة الخارجية الأمريكية على أن أي طائرة عسكرية أمريكية لم تعبر الأجواء السوفيتية وأن مذكرة الاحتجاج إن هي إلا عملية مقصودة لوقف التحسن في العلاقات الدولية .

ورد (خرشوف) في خطاب القاه في السفارة التشيكوسلوفاكية في التاسع من أيار عام ١٩٦٠ فقال :

"أثناء وجود توننغ هنا رحبنا به كضيف وأشربناه وأطعمناه وغادر بلادنا جواً، وبعث في اليوم التالي طائرة تحلق في أجوائنا العليا لتصل إلى ما

فوق كييف. كل ما يمكن أن يشبه به توييننغ هو الحيوان الذي يقـــوم بأعمالـــه القذرة في نفس المكان الذي يتناول فيه طعامه " .

وهكذا فإن الروس كانوا على علم منذ بدأ برنامج (يو-٢) بأن أجواءهم تتعرض للخوف . ولكنهم لم يصلوا بيـــن التحليقـــات تلـــك وبيـــن طـــائرات الاستكشاف الجوية إلا بعد سنتين .

ففي أيار سنة ١٩٥٨ أشارت صحيفة القوات الجوية الســـوفيتية إلـــى التحقيقات الجارية حول عمليات طائرة (يو-٢) لأنها "لا تحمـــل أية إشــــارات تدل على مهمتها" ، وأوحت المقالة بأن مهمتها قد تتضمن التجسس .

كان في اليابان ست طائرات (يو-٢) وكانت تقوم برحـــلات يوميـــة ، وكان اليابانيون يعربون عن امتنانهم للمعلومات المفيدة التـــي كـــانت توفرهـــا طائرة (يو-٢) في تعقب العواصف وكانت رحلات أخرى لا يعلن عنها رسمياً. تتم سجالاً في بحر "اوكهوتن" ونحو شرق الشواطئ السوفيتية ، وإلى الجنـــوب نحـــو البحر الأصفر وفوق الصين ، التي كانت شبكات الرادار الخاصة بها أضعف من تلك التي يستعملها السوفيت .

وقبيل خمسة أشهر من تحطم طائرة باورز بالقرب من "سفر دلوفســك" ظهرت مقالة في الاتحاد السوفيتي أوردت تفاصيل مقالة في الاتحاد الســـوفيتي تصميم طائرة (يو-٢) وأشارت بصراحة إلى أنها تستعمل للتجسس .

ونعود ثانية إلى "باورز" الذي وقع عقـــداً لمـــدة ســـنتين مـــع وكالـــة الاستخبارات المركزية بعد أن تعهد بالإبقاء على تطوعه ســـراً حتـــى علـــى زوجته ، ولقد تضمن العقد تحذيراً بأن الإفشاء بأيـــة أســـرار عـــن الوكالـــة المركزية قد يقود إلى السجن عشرة سنوات وغرامة بمبلغ عشـــرة آلاف دولار، وأخبر أنه ما أن تناط به مهمة فسيكون راتبه الشهري(٢٥٠٠) دولار علـــى أن يحتفظ بألف دولار إلى ما بعد النجاح في المهمة، وكـــان قـــد فـــهم أن عملـــه

الأساسي هو التحليق بطائرة (يو-٢) فوق الحدود السوفيتية لجمع المعلومات حول أجهزة اللاسلكي والرادار وإذا سارت الأمور كما يؤمل فسوف يعهد إليه بمهمات أخرى .

وما أن وقع "باورز" وثيقة التعاقد حتى أرسل إلى "وترتاون بسترب" في نيفادا للتدرب على الطيران المرتفع. وزود بلباس طيران خاص وكانت قد اختبرت صلاحيته في الأجواء العليا وخلال شهرين ونصف وقد سجل اسمه "بالمر" وكان "باورز" يقوم بالتحليق في طائرة (يو-٢) ويدرس أجهزتها الخاصة بالتقاط الإشارات اللاسلكية والرادارية.

واستمرت رحلات "باوزر" المعتادة حتى آب سمة ١٩٥٦، عندما أمر بقيادة طائرة (يو-٢) من "انسرليك" إلى مطار "بودوي" في النرويج ودون التحليق في الأجواء السوفيتية لتعريفه على الخط الجديد في حال احتياجه له في المستقبل وكان الطريق القانون من "انسرليك" إلى "بودوي" عبر أثينا وروما فرانكفورت وستافنغر في النرويج أقصر من ذلك الذي كان سيسلكه فيما بعد .

وزادت الرحلات عام ١٩٦٠ بمعدل رحلة في الشهر، وفي نيسان قبل شهر من تحطم طائرة باورز أنهت إحدى الطائرات بنجاح رحلتها فوق الاتحاد السوفييتي .

وقال خروشوف مشيراً إليها "كان ينبغي علينا أن نسقط طائرة التجسس، في ٩ نيسان أيضاً ولكن رجالنا أخطؤوها وعاقبناهم على ذلك " .

في الساعة الثانية من فجر أول أيار حسب توقيت موسكو استدعى الكولونيل "شلتور" الطيار "باورز" وأخبره أنه سيقوم بالرحلة. وأيقظ طيار آخر في نفس الوقت وأرسلا لتنشق الأوكسجين، تحضير ضروري قبل التحليق العالي ، وبعد ذلك بقليل أعلم باورز أنه قد اختير للرحلة بينما سيقوم الطيار الآخر برحلة استقصاء للأحوال الجوية للتغطية .

وسلمت الخرائط إلى باورز فأفهم أن مهمته التجسسية الأساسية هي الصاروخ العملاق[1] في قاعدته . ونقاط أخرى هامة كانت مواقع إطلاق للصواريخ شرق بحر الأورال . وقواعد البحرية والطيران في ارتشنجل ومودمانسك.

كانت مهمات باورز سهلة كان عليه أن يتبع خط السير حسب ما تظهره الخريطة عبر بحر الأورال (سفر دلوفسك) ، كيرف ، ارتشنجل ، مارماتسك وبودوي. وعند وصوله إلى النقطة المشار إليها على الخريطة كان عليه أن يشعل أجهزة التصوير .

وزود "باورز" بمعدات الإنقاذ المعروفة : زورق من المطاط ، خرائط للقسم الأوروبي من الاتحاد السوفياتي ، وسائل إشعال النار ، أعيرة للإشارة، ضوء كاشف ، مجموعة بواصل ، منشار حديدي فنجر ، مسدس أوتوماتيكي عيار (٢٢) كاتم للصوت وحوالي الـ (٢٠٠) طلقة .

وبعد أن ارتدى "باورز" ثوب الطيران الثقيل وخوذته البيضاء ذات الرقم (٢٩) قدم له عدة أشياء أخرى في حالة حدوث شيء ما .

وكانت تلك مكونة من (٧٥٠٠) روبل حشيت في جيوب ثوب الطيران عدة ليرات ذهبية التي وصف (خروشوف) طريقة رصها بلفة أمريكية دقيقة وعملة ألمانية وإيطالية . ساعتان ذهبيتان وسبع خواتم نسائية ذهبية في أية غاية "كان يود استعمالها في طبقات الجو العليا " ؟ .

تساءل خروشوف بسخرية فيما بعد :

"لعله كان سيطير إلى مارس وكان ينوي إغواء الفتيات هناك وضحك وتصفيق من أعضاء مجلس السوفيات الأعلى" .

---

(١) صاروخ سوفييتي جديد بضعف حجم أي صاروخ صنع في الولايات المتحدة (الصاروخ الأمريكي طوله ١٠٨ قدم وسيكون معداً للإطلاق للتجربة وإن القاعدة تقع بالقرب من سفرد لومتسك) .

وكاحتياط أخير زود الكولونيل (شلتون باورز) بدولار من الفضة يخفي حقنة سامة.

ومن بزوغ فجر أول أيار في بيشاور وفي الساعة الرابعة والنصف حسب توقيت موسكو طار فرنسيس باورز شمالاً وسط سماء مضطربة .

واستغرقت المرحلة الأولى من الرحلة الثلاثمائة ميل بين بيشاور والحدود السوفيتية. حوالي الساعة وهو يطير على علو يزيد على الستين ألف قدم . وما أن عبرت الطائرة الحدود الأفغانية السوفيتية في الساعة ٥,٣٦ حتى بدأت مراكز المراقبة تتبعها في طريقها داخل الأجواء السوفيتية كذلك التقطها الرادار السوفياتي وأخطرت قواعد إطلاق الصواريخ المضادة للطائرات وكذلك المقاتلات على طول خط السير المفترض .

وبينما كان باورز يحلق فوق الأهداف التجسسية الأولى وجد نفسه يواجه صعوبات في الاستمرار في خط سيره وفي استعمال أجهزة التصوير فوق النقاط المحددة ، بسبب رداءة الطقس إذ أن الغيوم كانت تغلق طريقه ولم يستطيع تحديد المراكز الأرضية .

وبينما كانت الطائرة فوق الأورال وتقترب من (سفرد لوفسك) ارتجت بعنف وكأنها اصطدمت بشيء ما . وتنبه باورز إلى وميض لهب برتقالي في مؤخرتها توقف محرك الطائرة الوحيد في أحرج الأوقات . بينما كان يقترب من هدفه الرئيسي. وخفض من العلو على أمل أن يعيد الهواء الغني بالأوكسجين الحياة إلى المحرك .

كان في هذه الأثناء قد أصبح على بعد حوالي (٢٠) ميلاً من سفرد لوفسك المنطقة الصناعية التي تحميها قواعد الصواريخ المضادة للطائرات. إلا أن المحرك لم يعمل . وخفض من ارتفاعه حتى بات على علو ثلاثين ألف قدم فقط عندما بدأت الصواريخ السوفيتية تنفجر من حول الطائرة .

على ذلك الارتفاع فقدت محطات المراقبة الأمريكية اتصالها بطائرة (يو-٢) ويعتقد أن القذائف الروسية حطمت الطائرة على الرغم من أن الحطام لم يشر إلى أية إصابة مباشرة .

وقد علل باورز ذلك أثناء محاكمته :

"لم يكن باستطاعتي استعمال مقعد القذف بسبب الضغط الناتج عن الطائرة الهاوية اذكر أنني كنت على ارتفاع (٣٠) ألف قدم ولم أستطع تشغيل المقعد . ولذا فقد شرعت الفتحة وأرخيت الأحزمة وكانت الجاذبية الأرضية تدفع بنصفي نحو عجلة القيادة بينما كان النصف الآخر معلقاً في الخارج .

وكنت قد نسيت قطع خرطوم الأوكسجين الذي استمر يشدني إلى داخل الطائرة . وكان علي أن أبذل جهداً كبيراً للإفلات وانفتحت مظلة الباراشوت آليا مباشرة بعد خروجي من الطائرة . وكنت في ذلك الوقت قد أصبحت على ارتفاع أربعة عشر ألف قدم .

ولسنا هنا نتحدث بصدد ما جرى من أسئلة وأجوبة من خلال المحاكمة إذ أن النتيجة كما قلنا سجنه لعشرة أعوام.

وقد هدأت حدة خروتشوف حين وصوله إلى نيويورك في أيلول عام ١٩٦٠ لحضور اجتماعات الأمم المتحدة .

باستخفاف ومزاح تجاوز عن حادثة (اليو-٢) قائلاً :

"كان هناك جواسيس في كل مكان وسيبقى الأمر كذلك . لقد عاملنا باورز بلين ، في حين أعدمتم أنتم آل روز برزغ، رغم أنهما لم يعترفا ، لقد حكم على باورز بعشرة أعوام وسيخرج من السجن بعد ثلاثة" .

وكان خروتشوف عند كلامه فبعد أقل من سنتين من السجن أطلق سراح باورز وأرسل إلى بلاده في العاشر من شباط ١٩٦٢ في عملية مبادلة بالكولونيل "آبل".

عمليات مخابراتية بالشيفرة

عملية روما

من روما علم أن رجال الأمن الإيطاليين صادروا قسماً من الوثائق التي ثبت في النشرات الإخبارية في التلفزيون الإيطالي (ار.أي.أي.اونو) في بداية شهر تموز حول عملاء لوكالة الاستخبارات الأمريكية أشاروا فيها إلى تورط الوكالة في اعتداءات ارهابية بين العام ١٩٦٩-١٩٨٤ .

وقد وجه الرئيس الإيطالي كوسيف نداءً جديداً من أجل "الحقيقة" حول اعتداء محطة السكة الحديدية ببولونيا وذلك لمناسبة ذكرى هذه المأساة التي ذهب ضحيتها ٨٥ قتيلاً عدا مئات الجرحى وتدمير المحطة وذلك في ٢ آب سنة ١٩٨٠ .

وقد أثير جدل في إيطاليا منذ بث التلفزيون في الأول والثاني من تموز تحقيقات ظهر فيها رجلان مقنعان ينددان بالعلاقات التي أقيمت في تلك الفترة بين أجهزة الاستخبارات الأميركية واحد محافل الماسونية (بروبا اندا – ٢) واليمين الإيطالي المتطرف .

وقد نفت وكالة الاستخبارات الأمريكية تورطها بهذا العمل التخريبي. ويواصل المسؤول الإيطالي عن هذه التحقيقات (اينو ريموند ينو) اهتمامه بالقضية رغم تدخل الشرطة التي صادرت عدداً من أشرطة تحقيقاته.

عملية يويبلو :

أسرت البحرية الكورية الشمالية سفينة التجسس الأميركية يويبلو بينما كانت على بعد ١٥ ميلاً من السواحل الكورية وعند التحقيق مع أفرادها علم أن

مهمتهم كانت تأمين التصنت على الاتصالات والحصول على المعلومات والتحركات العسكرية في المنطقة .

عملية غرينادا :

في صباح ٢٥ تشرين أول سنة ١٩٨٢ نفذت القوات الأميركية عملية إنزال واسعة على الجزيرة وتم التمهيد لهذا الغزو بعمليات تخريب واسعة قامت بها عناصر الوكالة داخل الجزيرة وقد حددت الوكالة خط سير وأماكن إنزال القوات الأميركية وامنت لها شبكة واسعة من المعلومات الدقيقة عن مواقع القوات المدافعة عن الجزيرة وأحصيت الخسائر الأميركية بخمس طائرات هيلكوبتر ومقتل وجرح أكثر من أربعين جندياً هذا عدا الخسائر بين القوات الحليفة المهاجمة من دول أميركا اللاتينية والمتحالفة ضمن منظمة شرق الكاريبي.

بعد نجاح عملية الغزو أوكلت الوكالة المركزية الأميركية مهمة تنظيف البيت من الداخل فتم صرف ملايين الدولارات من أجل فوز المرشح الأميركي بالانتخابات (هربرت بلايز) الذي نجح بفضل هذا الدعم بأن يكون أول رئيس وزراء يدين بالولاء للسياسة الأميركية مطالباً الرئيس الأميركي (رونالد ريغان) بأن يبقى على وحدات من الجيش الأميركي بالجزيرة حفاظاً على استقرار حكمه .

عملية الوردة :

اسم الشيفرة السري جداً للعمليات والخطط الموجهة للتخلص من الزعيم الليبي العقيد معمر القذافي والذي اعتبرته الوكالة المركزية الأميركية CIA العدو الأساسي لمخططاتها والذي يجب التخلص منه بأي ثمن .

عملية الزنبقة :

هدفها دعم المعارضين المناوئين للزعيم الليبي معمر القذافي وكذلك دعم جهود دولية شاركت بها بعض الدول العربية للإطاحة به . -

عملية الزهرة :

هدفها التخلص من الزعيم الليبي العقيد معمر القذافي عبر ضربة عسكرية وتأمين تغطية جوية مكثفة لعمل عسكري واسع بالاشتراك مع احدى دول المنطقة.

عملية بريري فاير :

تجميع مجموعة من حاملات الطائرات الأميركية للتواجد قرب الساحل الليبي لتنفيذ عملية الوردة ، وفي خليج سرت تجمعت أكثر من ٥٠ سفينة حربية أمريكية مدعومة بـ ٢٠٠ طائرة وعدد كبير من الغواصات الهجومية العاملة على الطاقة النووية من طراز لوس انجلوس ٦٨٨ .

قامت الطائرات الأميركية بشن عدة هجمات على المدن الليبية وعلى مقر الزعيم الليبي القذافي وقد فشل الهجوم في التخلص من الزعيم الليبي إلا أنه خلف وراءه أكثر من مائة قتيل ليبي .

وفي ١٤ نيسان ١٩٨٦ جددت الطائرات الأمريكية قصفها للأهداف المدنية في طرابلس وبنغازي وتم التركيز على مقر إقامة القذافي لقتله لكن الهجوم فشل إذ أن القذافي لم يصب لكن اثنان من أبنائه جرحت وتقلت ابنته بالتبني وكان عمراه ١٥ شهراً فقط .

عملية إيفي بلز ١٩٧٩:

بعد ارتداد يورتشنكو رئيس ضباط أمن المخابرات السوفييتي في السفارة السوفييتية بواشنطن عن الـ KGB وتعاونه مع C.I.A كشف هذا الأخير عن عميل المخابرات السوفييتية داخل وكالة الأمن القومي رونالد بيلتون. وعند التحقيق من بيلتون اكتشف أنه قد باع السوفييت احدى العمليات الهامة في وكالة الأمن القومي وكان اسمها المشفر (ايفي بلز) .

وإذا كانت هذه العملية الأهم في مشاريع الوكالة بما يستهدف من جمع معلومات سرية للغاية عن الاتحاد السوفييتي فإنه قد كشف أيضاً حجم التكنولوجيا المتطورة جداً في عمليات التجسس بين القوتين روسيا وأمريكا وعرض للشبهة ولكشف عمليات الشيفرة الأمريكية والصديقة المستخدمة والتجسس على السوفييت.

في قاع المحيط وفي أعماق بحر أوختسك شرق الاتحاد السوفييتي استطاعة وكالة الأمن القومي الأمريكية أن تصل إلى كابل الاتصالات البحرية السوفييتية وكان هذا الكابل يربط شبكات اتصالات مهمة للغاية وكان يعتبر في حينه بمأمن عن كل تنصت وآلات استراق السمع مهما كانت هذه الآلات متقدمة.

واستطاعت الوكالة أن تغرز لولباً متطوراً ومتصلاً بالكابل الروسي الكترونياً دون أن يلامسه وكان هذا اللولب يخزن ويحفظ كل الاتصالات الروسية.

وكان رجال الضفادع الأمريكيين يغوصون بواسطة غواصة صغيرة جداً باستعمال إنساناً آلياً لموقع اللولب لالتقاطه وابداله بلولب آخر كل ستة أشهر.

وقد استمرت هذه العملية حتى أواخر عام ١٩٨١. وفي أواخر عام ١٩٨١ أيضا التقط أحد الأقمار الاصطناعية الأمريكية صورا لعشرات القوارب البحرية السوفييتية وهي تتجمع حول بقعة تواجد اللولب الأمريكي في قاع المحيط .

وقد أدرك الأمريكيون ساعتها أن اللولب الأمريكي قد كشفت مهمته إلا أنها مع هذا كانوا مسرورين للكشف عن الكثير من الألغاز التي حيرتهم سابقا .

وقد تسربت عملية كشف إيفي بلز للصحافة وكان عنوان نيويورك تايمز :

"بيلتون يكشف للسوفيات عن آلة تكنولوجية متطورة جدا لاستراق السمع " .

الجاسوسة كيم هوي:

لقد كشفت المخابرات الكورية الجنوبية بعد اجراء تحقيقات مكثفة وصعبة مع فايومي اليابانية (حسب البيانات الواردة في جواز السفر) بعد أن سمحوا لها باختيار محامي وعقدوا معها اتفاقا أن يكون هناك حكم.مخفف إن تعاونت مع اللجنة المحققة .

قالت : أولا إن الجواز مزور ، كما أن الرجل العجوز الذي كان معي ليس والدي ولقد توفي بالسم الذي كان مخبأ داخل ضرس صناعي فأخرجه ثم ابتلعه لأنه خاف الاعتراف .

أنا يا سادتي كورية شمالية انتمي لعائلة من الطبقة العاملة بعد أن انتهيت دراستي عملت في مصنع لمدة عامين ثم التحقت بالمخابرات الكورية الشمالية .

وأنا من مواليد ١٩٦٠ دخلت دوائر الاستخبارات بعـــد ترشـيحي أولا واجتيازي عدة دورات وتعلمت فنون التجسس والقتـــال الـــهجومي والدفـــاعي وكلفت بمهمات كثيرة عبر العالم وبجوازات سفر مزورة وقد نفذت كل ما طلب مني بالحرف.

إن المهمات التي كلفت بها ونفذتها قد كتبتها بخط يدي .

أنا لم اقتل شخصا في حياتي قط ولم أكلف بذلك من الجهة التي أعمـــل بإمرتها. لقد نلت عدة ميداليات ونياشن ورتب عديدة نتيجة لأعمالي الناجحة .

وفي مهمة تفجير الطائرة الكورية كان اسمي مزورا في جواز الســـفر كما أن الذي يرافقني ليس أبي .

كما كنت أحمل زجاجة بلاستيكية على أنها مشروب الـــ(كوكا كـــولا) وقد سألت عن محتوى هذه الزجاجة فقيل لي بأنها مادة خاصة بالتجسس كنـــوع من أنواع الحبر السري ستضعينها في الطائرة الذاهبة إلى سيؤول ونحن نـــهبط في مطار البحرين عائدين إلى روما بينما يتلقى عميل لنا الزجاجة في الطـــائرة ويمررها لسيؤول.

كما إني لم أكن أعلم أن الزجاجة تحتوي مادة متفجرة وإن الهدف هـــو تفجير الطائرة للضغط على العالم حتى لا يذهـــب هنـــاك عنـــد الأمبريـــاليين للاشتراك في الألعاب الأولمبية العالمية .

ولـــو كنت أعرف بأنني سأفجر الطائرة لما ترددت فأنا عضوة مهمـــة في الحزب والاستخبارات وليس لي إلا القبول فيما أكلف به .

وربما قائدي كيم سونغ ايل الذي قام بدور والـــدي أمـــــرني بـــابتلاع كبسولة السم بعد مضغها فلم تتح لي الفرصة لمضغها فابتلعتها بينمــــا قـــائدي مضغها ومات .

ولكني لم أمت فالمخابرات البحرينية لم تمكننا من ذلك من أجل التحقيق، ولو مت ما عرفتم عن عملية (الطائر الصغير) أي تفجير الطائرة .

ولم يدر بخلدنا أن موظف الشركة الجوية في مطار أبو ظبي سيتذكرنا ونحن نسأله عن الطائرة العائدة لروما ويغير لنا التذاكر كمساعدة لنا ثم يبلغ مطار البحرين بهذه السرعة ومن ثم أقف أنا في هذا الموقف من ١٩٨٧/١١/٢٩ .

أنا هنا دخلت التأريخ كجاسوسة شهيرة وسيذكرني شيوعيو العالم كمناضلة في سبيل قضيتهم .

أنا إن تسببت في قتل الأبرياء في حادث تفجير الطائرة وابتلعت كبسولة السيانيد لم أكن أطلب الحياة بل الموت .

كما أود أن أوضح لكم إن كل الأسماء التي ذكرتها في اعترافاتي عن ضباطي هم ليسوا بهذه الأسماء إذ انها اسماء حركية لا نعرفهم بغيرها .

ورغم إني لا أستحق الحياة وأتحمل مسؤولية ما فعلت فأنا شريكة في الجرم رغم عدم معرفتي بالنية وأنا نادمة على ما فعلت .

وهكذا حكم عليها بالسجن الطويل .. حكم على كيم هوي المواطنة الكورية الشمالية ..

بقي أن نعلم أنه جرت محاولة لقتل كيم في السجن من قبل المخابرات الكورية الشمالية إلا أنها باءت بالفشل .

التاريخ الأسود للجاسوسية:

- التقرير : لجنة تشيرش للتحقيق بعمليات الوكالة الخارجية للـ C.I.A .

الهدف : باتريس لومومبا .

المكان : الكونغو (زائير حاليا) .

باتريس لومومبا زعيم افريقي مناضل ووطني بارز على مستوى العالم ومناهض للاستعمار والهيمنة الأجنبية .

نادى بالحرية والاستقلال السياسي والاقتصادي لبلده ثم اغتياله عام ١٩٦١ بعد القبض عليه بواسطة تشومبي الذي تزعم انفصال كاتنكا الغني بالمعادن عن الكونغو والذي مات بدوره في سجنه بالجزائر .

تعاونت المخابرات الألمانية الغربية والبلجيكية والأمريكية على التخلص من لومومبا .

في عام ١٩٦٠ وبناء على أوامر مجلس الأمن القومي الأمريكي عهد للـCIA مهمة التخلص من باتريس لولومبا .

وقد حددت الترتيبات اللازمة ووسائل الاغتيال ومكانه .

ريتشارد بيل نائب مدير الوكالة لشؤون الخطط أوعز لبرونسون تويدي رئيس قسم افريقيا بالوكالة بوضع دراسة للتخلص من لولومبا .

وأوعز إلى جوزيف شيدر العالم في الوكالة اتخاذ ما يلزم للتخلص من الهدف.

جهز شيدر المواد المطلوبة ، وفي أواخر أيلول ١٩٦٠ تم تسليم المواد السامة لضابط المحطة في ليوبولدفيل الذي أكد له الأمر الصادر من الرئيس إيزنهاور بعملية اغتيال لولومبا وهذا ما أكده هذا الضابط أمام لجنة تشيرش .

وكانت عملية التخلص من لولومبا قد تمت بالتصفية الجسدية المباشرة بعد اعتقاله دون استعمال المواد السامة بواسطة جنود تشومبي العسكري المتمرد على لولومبا .

- التقرير : لجنة تشيرش للتحقيق بعمليات الوكالة الخارجية للـ CIA .

الهدف : فيدل كاسترو .

المكان : كوبا .

فيدل كاسترو قاد الثورة ضد الدكتاتور فولجنسيو باتيستا في الأول من كانون الثاني ١٩٥٩ ومازال لغاية الآن رئيسا لكوبا الجزيرة التي تقع على بعد أميال من اليابسة الأمريكية .

خلال ١٩٦٠-١٩٦٥ حصيت أكثر من عشر محاولات أمريكية للتخلص منه إلا انها باءت بالفشل .

أول محاولة : في ليل ١٩٦٠/٧/٢٠ تم إنشاء فريق عمل مشكل من ريتشارد دبيسل مدير الـ CIA وتريس بارنس نائبه للخطط وعن مديرية العمليات السرية في CIA ومن ج سي كنغ رئيس قسم العالم الغربي في مدرسة الخطط وتم وضع أول خطة للتخلص من كاسترو على أن يكلف أحد الكوبيين الناقمين على النظام الشيوعي والمتعاون مع الوكالة لتنفيذ المهمة .

وتخوفا من أن يكون هذا الكوبي عميلا مزدوجا فقد تم الاستغناء عن التنفيذ. وتم التخطيط لتنفيذ عمليات أخرى تراوحت بين تقديم أسلحة وكبسولات سامة إلى القوى المعارضة لكاسترو وبين نزول فريق كامل من المخابرات للساحة لتنفيذ عمليات الاغتيال المباشر والتخطيط لاستعمال الأقلام المسممة والمساحيق الجرثومية القاتلة.

إضافة إلى تشويه سمعة كاسترو بواسطة استعمال أدوات للهذيان

يظهر من خلالها أمام الناس وكأنه مجنون .

ومن ضمن الخطط محاولـــة رش استديوهات الإذاعة الكوبيـــــة قبــل ساعات من القاء كاسترو لخطاب مباشر عبر الإذاعة بمواد عقاريـــة معروفـــة باسم (LSD) تنشر هذه المواد في قاعة الاستوديوهات لها تأثير جنونـــي علـــى الحاضرين وتجعل المتكلم يهذي وينـــسى نفسه لساعات وهـــذا مـــا يعرضـــه للسخرية من قبل الحاضرين .وكذلك تم دهن صندوق ســيجار بـــالمواد ذاتـــها وتقديمها له قبل إلقاء خطابه .

كما وضعت خطة لتشويه صورة كاسترو بإزالـــــة لحيتـــه المعروفـــة بواسطة مواد الثاليوم تدهن بها جزمته أثناء قيامه بأي رحلة خارج كوبا وفـــي تلك الفترة وخلال تركه لجزمته للتلميع والتنظيف خارج غرفته .

وفشلت الخطط بسبب الغاء كاسترو رحلاته خلال تلك الفترة .

❖ التقرير:لجنة تشيرش للتحقيق بعمليات الوكالة الخارجية للــــــ CIA.

الهدف : محمد غلام مصدق .

المكان : إيران.

محمد غلام مصدق مواليد١٨٨٠شغل مناصب سياسية مهمة حتى عـــام ١٩٢٠ . عضو في البرلمان الإيراني من عام ١٩٢٣ حتى ١٩٢٨ .

تم نفيه من قبل الشاه محمد رضا بـــهلوي نتيجـــة لمواقفـــه السياســـية والاقتصادية التحررية .

في آذار ١٩٣٩ عاد لطهـــران كنائب وقائد للجبهة الوطنية الإيرانيـــــة عام ١٩٤٩ .

أصبح رئيسا للجنة البترولية البرلمانيـــــة حيـــث قـــاد الحـــرب ضـــد الاستثمارات والامتيازات النفطية الأجنبية ورفع شعار تحرير البترول الإيراني

من التبعية الغربية.

في ٢٨/نيسان ١٩٥١ قادته الجماهير الشعبية المؤيدة لسياسة التحررية بفعل الضغط على القصر الملكي الإيراني لمنصب رئيس الوزراء في ٢٩ نيسان ١٩٥١ أقر مشروع رفض الامتيازات النفطية الأجنبية مما جعل عداء كل الشركات النفطية الأجنبية السبع المسيطرة على نقوط العالم ـ له .

توفي بعد خروجه من السجن أثر مرض سرطاني في يوم ٥ آذار ١٩٦٧ .

في ليلة ١٥ آب ١٩٥٣ اقتحمت قوات الحرس الملكي للشاه بيوت الوزراء وتكفل مدير المخابرات (السافاك) باعتقال رئيس الوزراء محمد مصدق إلا أنه استطاع أن يهرب إلى روما عن طريق بغداد .

في ١٩ آب ١٩٥٣ جندت المخابرات الأمريكية بعض عناصر الشغب للنزول لطهران بسيارات عسكرية إيرانية لأحداث اضطرابات واعتداءات على المحلات والمواطنين وبهتافات معادية لحكومة مصدق .

- تم تحويل ١٩ مليون دولار من الإدارة الأمريكية لتمويل الانقلاب المضاد بشهادة مجلة THE Nation .
- تجنيد مجموعة من حرس القصر الملكي وتسليحها تسليحا خاصا مع تدريب عناصرها داخل السفارة الأمريكية في طهران .

ويوم ١٩ آب ١٩٥٣ قامت قوات الانقلاب بالتحرك من مقر السفارة الأمريكية وبقيادة الجنرال زاهدي مدعومة بالدبابات والمدفعية وحاصرت رئاسة الوزراء ومحطة الإذاعة ووزارة الدفاع بمساعدة رجالات الـ CIA .

بعد يومين من الانقلاب سلم محمد مصدق نفسه بعد هربه من قصره وحكم عليه بالسجن الانفرادي ثلاث سنوات ثم اطلق سراحه ليوضع تحت

الإقامة الجبرية .

قال وزير الخارجية البريطانية أنتوني ايدن بعد سماعه بسقوط مصدق:

-لقد نمت سعيدا في تلك الليلة .

❖ التقرير: لجنة تشيرش للتحقيق بعمليات الوكالة الخارجية للـ CIA .

الهدف : الجنرال رينيه شنايدر .

المكان : تشيلي .

الجنرال رينيه شنايدر القائد العام لجيش تشيلي خلال حكم الدكتاتور سلفادور اللندي. امتاز بحرصه على الديمقراطية والإصرار على اتباع العملية الدستورية بحماية النظام دون سائر الضباط الذين خططوا بالدعم الأمريكي للقيام بانقلاب عسكري يطيح باليندي وحكومة الوحدة الشعبية المنتخبة .

في ٢٥/١٠/١٩٧٠ توفي الجنرال رينيه شنايدر متأثرا بالجراح التي أصيب بها وهو يحاول مقاومة خاطفيه بعد أن عجزوا في اليوم السابق من اختطافه .

وشنايدر هو القائد العام والمعارض الدستوري للانقلاب العسكري لمنع وصول الليندي لرئاسة الجمهورية التشيلية نتيجة الاستفتاء الشعبي يوم ١٩٧٠/٩/٤ .

في منتصف شهر آب ١٩٧٠ أعطى الرئيس نيكسون أوامر لمدير الـ CIA ريتشارد هيلمز بالقضاء على نظام الليندي باعتباره سيكون نظاما غير مرضي عنه في أمريكا وقد تم اجراء اتصالات مع كبار الضباط والشرطة التشيليين وتم الاتفاق على الانقلاب العسكري مدعوما بشكل قوي من المخابرات الأمريكية .

كان الجنرال شنايدر القائد العام للجيش ولما كان إحالته للتقاعد أو

إقالته متعذرا دستوريا تم التخطيط لاختطافه .

وكانت أول محـــاولة للخطف قد جرت يـــوم ١٩٧٠/١٠/٢٢ إلا انـــها فشلت لمقاومته الحرس المرافق له لهذه العملية .

وقد زودت الـــ CIA الخاطفين مجددا بالبنـــادق الرشاشـــة والذخـــيرة وجددت محاولتها في اليوم الثاني فيما كان الجنرال متوجها إلى مكتبه فـــأصيب اصابات بالغة نتيجة مقاومته محاولة الاختطاف الثانية وتوفي بعد ثلاثة أيام.

❖ التقرير : لجنة تشيرش للتحقيق بعمليات الوكالة الخارجية للـــ CIA .

الهدف : اغتيال نغودين دبيم .

المكان : فيتنام الجنوبية .

نغودين دبيم : رئيس جمهورية فيتنام الجنوبية لغايـــة ١٩٦٣/١١/٢ . حاول الحد من تدخلات الإدارة الأمريكية في بلده والاستقلال عـــن المعســكر الغربي بانتهاج سياسة اقتصادية وعسكرية مبتعدة عن التكتلات والأحلاف .

ومع أن الدور الأمريكي كان بارزا في وصوله للسلطة لكنه لم يبعـــث على الارتياح لدي الإدارة الأمريكية بعد فترة من توليه الرئاسة .

في ١٩٦٣/١١/٢ : انقلاب عسكري في فيتنام الجنوبية قاده جـــنرالات الجيش ضد الرئيس الفيتنامي الجنوبي .

بعد نجاح الانقلاب تم تصفية الرئيس وشقيقه نهو واقامة نظام سياســـي موال بشكل كامل للسياسة الأمريكية .

وكان هذا الانقلاب بتخطيط ومشاركة الـــ CIA حسبما ورد في شـــهادة شيدر، إن الحكومة قد قامت بدعم هؤلاء المعارضين وقدمت لـــهم المسدســـات والرشاشات وقنابل يدوية مع تدريبهم على استعمالها.

كمـــا قدمت للجنرالات أموالا طائلة وشجعتهم وقدمت لهم المعلومات

المخابراتية وحددت لهم نقاط الضعف عند القوى العسكرية المؤيدة للرئيس الفيتنامي .

❖ التقرير : لجنة تشيرش للتحقيق بعمليات الوكالة الخارجية للـ CIA .

الهدف : رفائيل تروخيلو .

المكان : الدومنيكان .

رفائيل تروخيلو: رئيس جمهورية الدومينكان عرف نظام حكمه بالحكم العائلي وسمي بحكم آل تروخيللو الإستبدادي إلا انه في الفترة الأخيرة من حكمه وضعت الكثير من القوانين والإصلاحات التي كان الأمل في تنفيذها أن تشهد الدومنيكان نهضة اقتصادية واجتماعية وسياسية مهمة .

بعد اغتياله قام الجيش بقيادة الجنرال وازن اللبناني الأصل بالسيطرة على الحكم واعادة البلاد إلى حلبة المصالح الأمريكية .

١٩٦١/٥/٣١ أطلق معارضان دومنيكان النار على رئيس الجمهورية تروخيللو فصرع على الفور .

وكانت المعارضة الدومنيكية نشطة منذ أوائل العام ١٩٦٠ حيث قادت الكثير من الاضطرابات والمظاهرات وأعمال الشغب ضد المؤسسات الحكومية.

ولم تهدأ المعارضة رغم كل الوعود والخطط التي وضعت واعلنت من قبل النظام من أجل الحد من حكم العائلة واعطاء صلاحيات وحريات واسعة في المجالين النقابي والإعلامي وتوزيع الأراضي وتنشيط الزراعة والصناعة .

وإن الحكومة الأمريكية حسب شهادة شيدر وعبر أجهزة الـ CIA قد قامت بدعم هؤلاء المعارضين وتم تزويدهم بالمسدسات والرشاشات والقنابل اليدوية كما تم تدريبهم على استعمالها .

- قبر دون جثة -

ويليام بكلي الجاسوس الأمريكي الذي دفن في عام ١٩٨٨ في (مقبرة ارلنغتون القومية) الأمريكية التي تقوم بينها وبين مبنى البنتاغون حدود مشتركة والتي يعتبر الدفن فيها أقصى مظاهر التكريم .

غير أن ويليام بكلي يعد أول أمريكي يدفق في هذه المقبرة ويقام له شاهد قبر عليه اسمه وتأريخ تقريبي لموته .. ودون أن يكون تحت هذا الشاهد جثمان .

فإن جثة ويليام بكلي لم تنقل من لبنان إلى أمريكا أبدا ..

ولم يعرف الأميركيون بالتحديد مكان احتجازه حتى عندما استخدموا أقمار التجسس الصناعية وعندما استخدموا أجهزة الاستخبارات الالكترونية . وعندما لجأوا إلى (الموساد) الاستخبارات الإسرائيلية إلا أنها لم تكن أوفر حظا منهم .

ويليام بكلي هو السبب الرئيس في الورطة التي سقطت فيها إدارة ريغان، وإن وقوعه في أيدي مختطفيه في لبنان هو الذي أجبر الإدارة لبذل المستحيل من أجل استعادته نظرا لأهميته . وقد ذهبت واشنطن إلى حد السعي لإيفاد مبعوثيها إلى طهران وبيع الأسلحة لها على أمل استعادة بيكلي .

وفي مبنى وزارة الخارجية وفي نفس يوم مراسم الدفن الرمزي لبكلي أزاح جورج شولتز وزير الخارجية الستار عن لوحة أسماء ضحايا الوزارة من الدبلوماسيين بعدما حفر في آخر القائمة اسم بكلي ، ووضعت تحته باقة زهور.

وبكلي كما هو معروف يشغل منصب رئيس محطة وكالة الاستخبارات

المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط عندما اختطف في بيروت يوم ١٦ آذار ١٩٨٤ . وكانوا بمراسم الدفن وحفر اسمه على لوح الضحايا كأنهم يريدون إغلاق ملفه إلى الأبد وإنهم نسوا أو تناسوا فضيحة إيران غيث ومحاولات الـ CIA في الشرق الأوسط .

إن معهد نشين الأمريكي الذي يديره مجموعة من المسؤولين الأمريكيين الحاليين والسابقين الذين كانوا يتولون النشاط الاستخباري من عام ١٩٨٠-١٩٨٥ والتي يوجه نشاطها من البيت الأبيض الكولونيل أوليفر نورث ضابط المارينز .. إن هذا المعهد يتحدث :

بعد اختطاف بكلي في بيروت أصدرت الأوامر بالتقاط صور بطريقة التحليل الدقيق من الأقمار الصناعية بيروت بأكملها والضواحي المحيطة بها ثم دعوة مساعدي الوكالة في المنطقة بسمح المناطق اللبنانية بحثا عنه .

وأصدرت الحكومة الأمريكية أخرها إلى فريق مدرب تدريبا عاليا تابع للجيش الأمريكي كل أفراده من خبراء العمليات السرية من رجال مجموعة (النشاط) بالتوغل في شوارع بيروت وضواحيها الخلفية لجمع المعلومات عن أكبر أجراء الاستخبارات الأمريكية في الشرق الأوسط .

ولما لم تتمخض كل الأساليب والعمليات والبحث للعثور على بكلي تم التقرير على اتخاذ خطوات غير عادية وكانت الخطوة الأولى الغير عادية للـ CIAهي الموافقة على قيام ثيودور شاكلي الذي كان يشغل حتى أواخر السبعينات منصب نائب مدير السي أي إي للعمليات إلى هامبورغ بألمانيا الغربية للاجتماع مع منوستر غوربانيغار وهو رجل أعمال إيراني له علاقات قديمة بالوكالة وله علاقات بالقوى المعارضة للثورة الإسلامية الإيرانية في أوروبا الغربية وعندما اخضع شاكلي لجهاز الكذب اتضح أنه يختلق المعلومات. ومع هذا فقد تم لقاء شاكلي بمنوستر في تشرين الثاني ١٩٨٤ .

وبعد اكتشاف فضيحة (إيران غيث) ادعت الـ CIA إن شـاكلي قـد اجتمع بصفته الشخصية وأنه لم يكن مخولا من الوكالة .

وكان موضوع الاجتماع البحث عن طريقة لاقناع مختطفي بكلي مـن خلال الإيرانيين بإطلاق سراحه مقابل إمداد إيران بالسلاح وقطع الغيـار ، إلا أنه بعد أن قدم شاكلي تقريره للوكالة طلبت منه الوكالة أن يوقف اتصالاته به.

لقد كان بكلي (زير نساء) ولطالما حذر من الوقوع في فخ ما ..كما أنه يثير الخلافات حيثما ذهب وفي أية مهمة يعهد بها إليه .

وقد أعيد بكلي من فيتنام في نهاية الحرب الفيتنامية إلى المقر الرئيـس للـ CIA في لانغلي وخلال فترة استطاع أن يكون من أبرز خـبراء الوكالـة بشؤون مكافحة الإرهاب فأرسلوه إلى الشرق الأوسط وكانت أول محطة خـدم فيها هي دمشق وكان مركزه فيها (خبير تحليل استجابات القيادة السورية) .

وبعد ذلك أوفد إلى القاهرة وهناك كانت مهمته المساعدة فـي تدريـب حراس الرئيس المصري أنور السادات .

وفي منتصف العام ١٩٧٨ نقل بكلي إلى محطة إسلام أباد في باكستان .

وهناك وجد قوة تأثير التيار الإسلامي وحركة الثورة الإسلامية ، وفـي شباط ١٩٧٩ أطيح بالشاه وأعقب ذلك سقوط السفارة الأمريكيـة فـي أيـدي الحرس الثوري الإيراني يوم ٤ تشرين الثاني من العام نفسه . وبعد أيام هجـم الباكستانيون في إسلام أباد على مبنى السفارة الأمريكية يوم ٢ تشرين الثـاني حيث اضطر ٩٩ من موظفي السفارة بينهم بكلي للجوء إلى غرفـة الأجـهزة السرية في الطابق الثالث من السفارة، وسقط اثنان من الأمريكيين قتلى . وقـد تسلق معظم أفراد السفارة إلى سطح المبنى.

وقد تمكن المتظاهرين من انتزاع معلومات على درجة من السرية من ملفات الاستخبارات الأمريكية في مكاتب السفارة وكانت تحوي على أخطر الأسرار في منطقة الشق الأوسط وجنوبي شرق آسيا .

وبعد هذه الكارثة سارعت الـ CIA بإبعاد بكلي من باكستان بمساعدة السفارة البريطانية في إسلام أباد وفور وصوله إلى لانغلي أجرى المسؤولون في مكافحة الإرهاب جلسات استماع كاملة معه لمعرفة ما حدث .

ولما كانت الأصول المرعية في الوكالة أنه أي عميل عرفت هويته لا يمكن أن يعاد إلى المنطقة التي كانت مسرح عملياته قبل ذلك إلا بعد مرور خمس سنوات على الأقل وهذه القاعدة غير قابلة للتجاوز أو الاستثناء لذا تقرر تجميد بكلي والحق بوظيفة عادية في مؤسسة (بيميكس) النفطية المكسيكية.

إلا أن الوكالة شعرت بحاجتها إليه وبحلول عام ١٩٨٢ عين الخبير المقيم للوكالة بشؤون مكافحة الإرهاب .

وبدون سابق إنذار قرر ويليام كيسي مدير الـ CIA أن يعيد بكلي إلى الشرق الأوسط أي يكسر قاعدة السنوات الخمس .

وعندما وقع انفجار ١٨ نيسان ١٩٨٣ الذي هدم مبنى السفارة الأمريكية في بيروت وقتل ٦٣ شخصا بداخلها وجد كيلي سببا قويا لتخطي المعارضة ضد قرار لإرسال بكلي إلى الشرق الأوسط .

وقد كان من بين القتلى روبرت أميس رئيس قسم الشرق الأوسط في مقر وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية الـ CIA .

وقد تبين أن الانفجار أساسا كان مهيئا لقتل روبرت رغم أنه دخل بيروت سرا . وقد أكد المسؤولون في الحكومة الأمريكية والوكالة أن بكلي أهلا

لهذا المنصب أي البديل لرئيس قسم الشرق الأوسط للـ CIA وبإمكانه مكافحة الإرهاب وحماية نفسه في جو بيروت الملتهب .

وهكذا تسلم بكلي وظيفته رئيسا لمحطة CIA في بيروت في نهاية عام ١٩٨٣ . وكان بكلي لا يرغب بالذهاب إلى بيروت إلا أنه كان لا يستطيع رفض أوامر ضباطه ، وبعد ثلاثة أشهر من تسلم بكلي لوظيفته اختطف بكلي في ١٦ آذار ١٩٨٤ .

ومنذ ذلك الوقت لم تهدأ محاولات كيسي والوكالة وإدارة ريغان كلها لاستعادته ، بما في ذلك فريقين من رجال الاستخبارات لتحديد مكان احتجازه.

وبعد شهر واحد جرى ترفيع مستوى سياسة مكافحة الإرهاب الأمريكية ومستوى المسؤولين عنها وزيادة الميزانيات المخصصة لها ووقع التوجيه الرئاسي لشؤون الأمن القومي رقم ١٣٨ الذي الزم كافة الهيئات المنوط بها مكافحة الإرهاب بأن تقدم توصيات مدروسة وعملية بشأن كيفية وقف الإرهاب نهائيا .

عمليات الدعم الأمني لزعماء ورؤساء الدول :

يذكر ويليام كايسي مدير الـ CIA أنه كان لوكالته العديد من الأصدقاء من رؤساء دول وزعماء سياسيين وقد تم تقديم مساعدات مختلفة لهؤلاء الأصدقاء منها مساعدات أمنية ومنها اقتصادية ومنها مخابراتية .

ومن هؤلاء الأصدقاء :

- الرئيس حسين حبري رئيس تشاد حيث قدمت له مساعدات مادية وعسكرية ومخابراتية كجزء من مشروع إدارة ريغان لمواجهة الرئيس الليبي العقيد معمر القذافي .

- الرئيس محمد ضياء الحق[1] : رئيس باكستان الذي جعل من إسلام أباد (بعد موافقته) أن تكون محطة لوكالة الـ CIA والتي تعـد أكـبر محطات الوكالة في العالم ، ويعد ضياء الحق من أخلـص أصدقـاء كايسي مدير المخابرات المركزية الأمريكية .
- الزعيم صموئيل دو زعيم ليبيريا : جنـدت وكالـة CIA رئيـس الحرس الخاص لهذا الزعيم فلانزا مـانتون الـذي حـاول الإطاحـة بالرئيس لكن محاولته فشلت وأثناء محاكمته اعترف بعمالته للوكالـة . تم إعدامه . وقد تقربت الوكالة CIA من الرئيس دو بعد هذه الحادثـة وحصل على الكثير من المساعدات الاقتصادية وتـم تدريـب قـوات حرسه الخاص على أيدي CIA.
- الرئيس ماركوس رئيس الفيلبين : من أقوى الحلفاء الأمريكـان وصديق هام لوكالة CIA سمح للأمريكيـن بإقامـة أكـبر قـاعدتين عسكريتين خارج الولايات المتحدة على أراضيه وهما قاعدة كـلارك الجنوبية وقاعدة خليج سابيك البحرية اللتان تتمتعان بأهمية استراتيجية بالغة.وقد أمنت له الوكالة الكثير من المساعدات الأمنية والعسكرية .
- في انغولا دعم القوات الثائرة بقيادة جوناس سافيمبي على النظـام الماركسي.
- في كمبوديا : تمت مساندة الثوار ضد الجيش الفيتنامي المتواجد في كمبوديا وكانت مساهمة الـ CIA تقدر بخمسة ملايين دولار سنويا .
- في أثيوبيا : اقتصر دعم الـ CIA للمعارضين للنظام الماركسـي على الدعم المعلومات وأنيط الدعم المادي بإحدى الدول العربية .

---

(١) في آب ١٩٨٨ قضي في حادث طائرة غامض مع مدير محطة الـ CIA في باكستان.

التدريب والقتل الغريب

نشرت إحدى مجلات شيكاغو مقابلة أجرتها مع أحد العملاء (رفض ذكر اسمه لاعتبارات أمنية) :

س : قلت أنك تعمل في مجال السموم فأي نوع من العمل كان ذلك ؟

ج : بناءً على الأوامر الصادرة من الـ CIA تم ابتكار طرق ووسائل من أجل القيام بعمليات الاغتيال وبشكل عام فإن كل شيء عملته كان مخططاً لقتل الناس أما الأعمال التي أقوم بها فهي : السموم والمتفجرات الأسلحة النارية .

س: هل يمكنك أن تعطينا مثلاً على سلاح يستخدم فيه السم ؟

ج: نعم ففي منتصف الخمسينات أعطوني السم وبعد ذلك محلولاً يخترق جسم الإنسان وبإمكانك أن تخلط هذا المحلول مع شيء تريد وتكفي قطرة صغيرة منه توضع على ملابس أو حذاء شخص ما حتى تفعل فعلها وهذه الأداة هي الأساس لهذا العمل .

وقد استخدمت في البداية سم الأفعى المجفف ولكن هناك أفعى أخرى تسمى بالأفعى المجلجلة قمت في النهاية باستخدام سمومها التي تسبب نزفاً داخلياً ولا تتم الوفاة إلى بعد عدة أيام . كما أن هذا السم لا يحدث أي ألم .

س: ما العملية التي استخدمت فيها السم والمحلول ؟ .

ج: طلبت مني الوكالة أن أقتل رجلاً أسود يقود سيارة جاغورا وكان على هذا الرجل أن يموت بعد مرور خمس دقائق على انطلاقه بسيارته .

وقد احضروا لي مقود السيارة وأعددت لهم السم وطلبت منهم أن

يدهنوا به مقود السيارة حيث يضع يديه عادة .
ويبدو أن الوكالة كانت مسرورة من عملي فقد تم تسميم الرجل ومات وهو يقود سيارته بعد خمس دقائق بالضبط .

س: هل استخدمت أسلحة كيميائية في عملياتك ؟ .

ج: طلبت مني المخابرات أن أتدبر أمر مجموعة من الأشخاص في غرفة متوسطة الحجم ، فقلت لهم: هل تريدون أن يموتوا ؟ هل تريدونهم أن يصابوا بالعمى لفترة مؤقتة .
وهنا قال لي رئيس الوكالة : نريد أن نتخلص منهم جميعاً .
وقد قمت بابتكار قنبلة صغيرة جداً بحجم خرطوشة من عيار ١١,٤ ملم ومملوءة بمئات من القطع الفولاذية المغطاة بالسم وقمت بتفجيرها وسط هؤلاء الأشخاص فماتوا جميعاً . وقد أطلقت على هذه العملية (عملية طاقم الدناءات).

عملية تجنيد المرتزقة

إن القتل مقابل المال بمقدار ما يدفع تزهق أرواح وتدمر ممتلكات نعم .. لكل عملية سعرها.. ولكل روح ثمنها وحسب أهميتها ..

في فوكلاند بكاليفورنيا مركز لتجنيد هؤلاء المرتزقة سمي بمركز (عصفور الجو) انخرط إليه آلاف الشبان ومن كافة الأعمار .. بعد أن اطلعوا على الإعلانات في الصحف اليومية عن طلب مرتزقة .

تصوروا أن لعصفور الجو مجلة تغطي كافة نشاطاته وشعارها :
"في الحروب لا يوجد خير وشر وعدل وظلم بل هناك أبطال وجبناء، أولئك يمتلكون الشجاعة أم لا ؟ ومن بينهم جميعاً أولئك المرتزقة" .

ففـي أنغولا حوكمت مجموعة من المرزقة جـاءت للوقـوف ضـد الوطنيين والقيام بغزو عسكري شاركت فيه قوات من جنوب أفريقيا وعملائها.

يقول غوستافو مارسيللو من قوات المارينز الأمريكيـة سـابقاً أمـام المحكمة :

- من السهل أن يصبح الإنسان مرتزقاً فالمرتب الشهري والبدلات والتدريـب والإشراف على التسليح تتم عن طريق خبراء الـ CIA .

وعن الشركة التي تم تعيينهم فيها قال أحدهم :

الشركة هي خدمات الإرشاد الأمني تم تأسيسها من قبل لسن أسبن وهو بريطاني ومهنته تاجر أسلحة وجون بانكس جندي مظلـي سـابق وأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA قد مولت هذه الشركة بمبلـغ تأسيسي قدره (٥٦٠,٠٠٠) دولار أمريكي وتم تسليم هذا المبلغ بواسطة الضابط نورمان هول في الـ CIA عام ١٩٧٦ .

أما الامتيازات التي يحصل عليها المرتزق فيوضح أحدهم عن سـؤال وجه له من قبل المحكمة :

- إن الراتب هو ١٥٠ جنيهاً استرلينياً كنفقات سفر و٢٠جنيهاً استرلينياً بـدل راتب أسبوعياً مع إجازة شهر مدفوعة الأجر مضافاً بطاقة سـفر إلـى أي مكان في العالم للاستجمام مع تهد بإيجاد عمل للمرتـزق . أمـا الأجـور الإضافية فتشمل ٧٥٠ جنيهاً استرلينياً مقابل تدمير كل دبابة و ٢٥٠ جنيـهاً استرلينياً مقابل قتل جندي و ٢٠٠ جنيهاً مقابل أسر ضابط عدو .

وعن العمليات رد أحد الذين يتم التحقيق معهم : تحدث زميلـي عـن عملية أنغولا وأنا سأتحدث عن العمليات الأخرى فعملية القمر كان الهدف منـها التخلص من تشي غيفارا وقام بها رجال القبعات الخضـر التابعـة للـ CIA بإنشاء جسر جوي لدعم القوات البوليفية المطاردة لتشي غيفارا في إقليم سـانت

كروز وترأس هذه الحملة الميجور رالف شلتون مع ثلاثـــة آلاف رجــل مــن القوات الخاصة (المارينز) الأمريكية.

وعملية الذبابة السوداء : وكان الهدف منها التخلص من العقيد معمــــر القذافي وقد خطت الـــ CIA بالتسلل بواسطة أحد عملائها لمقر إقامــــة العقيــد واستخدام سم قاتل للتخلص منه ومن ميزات هذا السم أن مفعولـــــه بطـــئ وأن نتيجته تظهر بعد ثماني وأربعين ساعة من دس السم ودون أن يترك أي أثـــــر على حدوث التسمم وتم توكيل المهمة إلى ادويين وبلسون ولتسرب الخبر إلــــى الصحافة العالمية فقد ألغيت العملية بالكامل .

أقلام ويلسون المؤقتة : وقد استعملنا هذه المتفجرات الإلكترونية التـــي تفجر عن بعد بوساطة جهاز تحكم لاسلكي ، وهذه الأقلام صورة طبق الأصـــل بمظهرها الخارجي للأقلام المستعملة .

وعملية الجواهر : وكان أهدافها التخلص من بـــاتريس لومومبـــا فـــي الكونغو والجنرال رينيه شنايدر في تشيلي ونفوديين دييم في فيتنـــام الجنوبيـــة وفيدل كاستر في كوبا وروفائيل تروخيللو في الدومنيكان .. كان ذلـــك ١٩٧٣ وتم التخلص منهم جميعاً ما عدا فيدل كاستر رئيس كوبا .

أما عملية سير فيكال كاب : فهذه العملية كلفت فيـــها الــــ CIA أحـــد عملائها بغرس جهاز إلكتروني على شكل جذع شجرة صغير ضمـــن شـــجرة خارج قاعدة عسكرية جوية روسية في إحدى قواعدها بأوروبا الشرقية وهـــــذا الجهاز يجمع المعلومات والبيانات عن طائرات الميغ الروسية وإداراتها .

وهناك عملية نيكاراغـــوا والتي تم تجهيز فرقة من المرتزقـــة دربـــت على أيدي الـــ CIA للإغارة قبل الفجر على مستودعات الوقود فـــي كورينتـــو على ساحل المحيط الهادي في نيكاراغوا باستعمال زوارق سريعة لتنفيذ هــــذه الغارة وقد تم تفجير سبعة مستودعات تحتوي على كل احتياط النفط لنيكـاراغوا مما أدى إلى دمار المنطقة وإخلاء سكان المدينة نتيجة الدمار وكثافة النـــيران

وبعد أسبوع شنت الزوارق غارة على المرفأ الثاني لينكـــاراغوا وتـــم تدمـــير مستودعات النفط .

كما تم في عملية للـــ CIA تدمير أنابيب نقل النفط داخـــل نيكـــاراغوا وكان المشرف على هذه العمليات ويليام كايسي مدير المخـــابرات المركزيـــة الأمريكية وأن منفذ هذه العمليات هو الضابط جون هورتون .

كما زرعت ٣٠٠ طن من المتفجرات في أماكن أخرى من نيكـــاراغوا زرعت عن طريق الزوارق والهليكوبترات مما أدى إلى امتناع الدول المجاورة من تزويد نيكاراغوا بالنفط وامتناع شركة لويدز عن تأمين السفن المتجهة إلـــى المرافئ الملغمة في نيكاراغوا .

رأفت الهجان

أخرجت المخابرات العامة المصرية الملف ٣١٥ مـــن بيـــن ملفاتـــها وعرضت محتوياته للنشر للدلالة على قوة هذه المخـــابرات ضـــد معســكر الأعداء.

هو الشاب العربي المصري (رفعت الجمال) الرجل الموقف الذي خرج من أصعب المواقف ودخل في أحرج المآزق لذا فقد أتقن التهريب مـــن وإلـــى مصر (المحتلة من الإنجليز) وأتقن فنون التزوير والاحتيال على المستعمريـــن لم يكن يعرف به أو يكتشف أمره أحد إلا بعدها كشف هو نفسه لرجال الأمـــن المصريين .

وعندما طلبت المخابرات أحد الأشخاص ليقوم بمهمة معينـــة داخـــل أرض العدو كانت سلطات الأمن تشير للمخابرات على رفعت الجمال .

وسرعان ما كانت المخابرات المصرية تتطلع على ملفه قـــالوا : هـــو المطلوب.. قالوا هذا دون أن يروه .

وخضع رفعت لتدريبات عنيفة واختبارات عديدة وتم تغيير شخصيته وحفظ تأريخ غير تأريخه وأسماء لم يكن يعرفها .. وبين الخوف والقسوة .. بين كونه عربي وبين شخصيته كبطل يهودي .

بعد آلاف الساعات من العمل أصبح رفعت العربي رأفت اليهودي .

نزل على البر من الباخرة وأخذ يعيش الجو بحذر بين اليهود .. في إسرائيل .

وبدأت يجمع المعلومات ويصنفها ويرسل بها أولاً بأول بعد أن جند الخيرة من أبناء العدو ليسلب منهم أسرار قوتهم .

واتت بشائر النصر بانتصار العرب في معركة الكرامة في الأردن ويهزم موشي دايان المتغطرس .

وبعد .. جمع المعلومات عن أسرار الطيران الإسرائيلي .. المطارات .. الذخيرة .. الصواريخ وحتى عن خط بارليف الأسطوري .. المخططات .. الوثائق السرية عن كل شيء وأي شيء .

هكذا وبفضل علاقاته وحفلاته أصبح نجم المجتمع الإسرائيلي .. وانطلق بلا حدود وتحبه النساء إلا أنه يتزوج من امرأة ألمانية .

وتتوالى الانتصارات على الجبهات العربية في حرب الاستنزاف وكانت الكرامة أولها ..

ومات جمال عبد الناصر وجاء محمد أنور السادات .. وكان نصر أكتوبر وبقي رأفت الهجان يبكي فقد كان يتمنى أن يقابل الزعيم عبد الناصر ليطبع على وجنتيه قبلة الحب والوفاء والإخلاص ..

بكى رأفت وهو كان يتمنى أن يعود إلى مصر ليقول لرئيسه : رقبتي سدادة لك وللوطن وللشعب العربي عامة والشعب المصري خاصة .

ويداهم رأفت المرض .. ومات ولم يستطع أحد أن يكشف سره إلا عندما أرادت المخابرات المصرية إخراج الملف ٣١٥ من بين ملفاتها وتعرضه لوسائل الإعلام .

المصادر والمراجـــــع

جاسوس يتكلـــــم	دار المنارة – دمشق
جاسوس مع وقف التنفيذ	عبد الله عيسى
الجاسوسيات الفاتنات	موريس برآنس
أستاذ قانون وجاسوس ماهر	سعيد الجزائري
جاسوس فوق البحر الأحمر	ماهر عبدالجواد
الجاسوسية	دوغ ريتشاردسون
إيلي كوهين جاسوس من إسرائيل	بن بورات ويوري دان
الجاسوس المدلل	عبدالله عيسي
الجاسوسية من ضرورات الحياة	سعيد الجزائري
الجاسوسية	فواز البقور
الجاسوسية الإسرائيلية وحرب الأيام الستة	زفي الدوبي
الجاسوسية	فواز البقور
الجاسوسية القادمة من الصين	سعيد الجزائري
الجاسوسية الاقتصادية	محسن أحمد الخضيري
الجاسوسية تتحكم بمصائد الشعوب	فكتور مارشيتي
أقوى قصص الجاسوسية	سعيد الجزائري
أسرار الجاسوسية	لهيب خليل
الجاسوسية حرب الخفاء والمخابرات	عمر أبو النصر
الجاسوسية الشيوعية الدولية	دافيد ج. دالين
الجاسوسية . قصتها وعلاقتها بالمجتمع	محمد كامل البهنساوي

فهرس

****